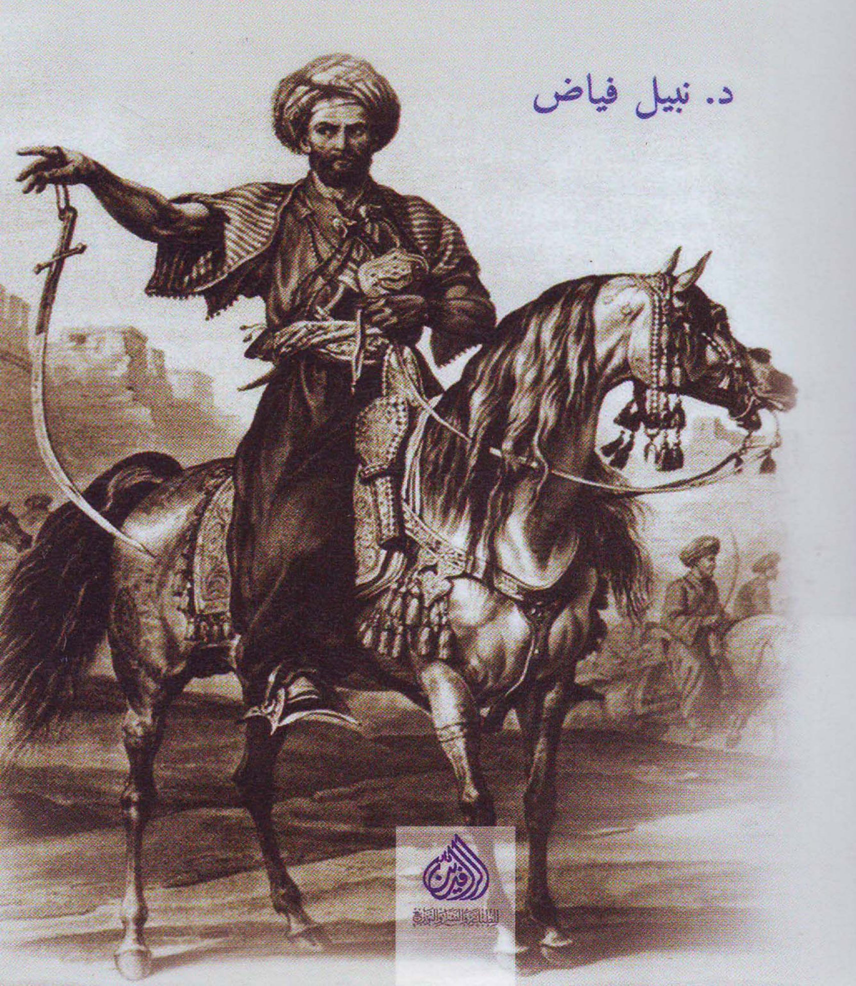
تاريخ
HISTORY

MUAWIYA ERA

زمن معاوية

د. نبيل فياض



زمن معاوية
Muawlya Era

د.نبيل فياض

الطبعة الأولى: بيروت ـ لبنان، 2017
First Edition: Beirut - Lebanon, 2017

جميع حقوق النشر محفوظة، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة، إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله، بأي شكل أو واسطة من وسائط نقل المعلومات، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك النسخ أو التسجيل أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من أصحاب الحقوق

All rights reserved, is not entitled to any person or institution or entity reissue of this book, or part thereof, or transmitted in any form or mode of modes of transmission of information, whether electronic or mechanical, including photocopying, recording, or storage and retrieval, without written permission from the rights holders



لبنان ـ بيروت / الحمرا
تلفون: 751055 1 961+ / 541980 1 961+

daralrafidain@yahoo.com
info@daralrafidain.com
www.daralrafidain.com
dar alrafidain
Dar.alrafidain1
DAR ALRAFIDAIN@maassourati

تنويه: إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبّر عن رأي كاتبها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي الناشر.

ISBN: 978- 1 - 77322 - 073 - 4

زمن معاوية

د.نبيل فياض



www.daralrafidain.com

زمن معاوية - مقدمة:

العقائد تحدّد التفكير!!

قد يختلف معنا كثيرون في أن العقيدة، مطلق عقيدة، تحدّد التفكير، لا بل قد تعيقه. إن الغالبيّة الساحقة من العقائد التي وثّنها الناس على مر العصور وما يزالون يتعبدون في مزاراتها ويقدمون الضحايا البريئة على مذابحها، ليست أكثر من ميثات ساهمت بدائيّة الوعي البشري، وبُعد الميثة - خاصّة زمنيّاً - عن حقبة «المعتقدين بها»، في إضفاء الطابع القدسي عليها ـ دون أن ننسى طبعاً الدور البارز للعنصر المصلحي، وتحديداً «لرجال العقائد»، في منع الاقتراب النقدي من سياج مطلق عقيدة.

بالانتقال إلى الواقع العملي ـ التطبيقي، هل يمكننا طرح السؤال الهام حول جدوى ما نقوم به من أبحاث مضنية سواء تلك المتعلقة بتاريخ النص القرآني أو بتاريخ الصراعات الإسلامية الداخلية، التي عادت لتطفو على السطح بعد وفاة النبي ـ المؤسس مباشرة، والتي تجلّت في سقيفة بني ساعدة حيث اصطرع ثلاثة أحزاب: حزب عُمري واجهته أبو بكر؛ حزب طالبي حمل رايته علي وزوجته ابنة النبي؛ وحزب خجول من أهل المدينة، انتهى بموت زعيمه على يد خالد بن الوليد!

لم تبدأ «محاولات» جمع وترتيب الحديث النبوي إلا في منتصف القرن الثاني الهجري على يد الربيع بن صبيح ثم سعيد بن أبي عروبة، تلاها ما جمعه ابن ريج في مكة، ومالك في موطأه في المدينة، والأوزاعي في الشام، وسفيان الثوري في الكوفة، وحماد بن سلمة في البصرة ومعمر بن راشد الصنعاني في اليمن والليث بن سعد في مصر بما تيسّر لهم من أحاديث. وقد صنّف هؤلاء ما جمعوه ورتّبوه وبوّبوه بحسب الأبواب والمواضيع الفقهية، وضمّوا إليها بعض أقوال الصحابة وفتاوى التابعين.

بالمقابل، فإنّ الحجاج بن يوسف الثقفي، وهو الذي هدم الكعبة وقتل بعضاً من أهم الصحابة والتابعين، هو من قام «بالتحرير» الأخير للقرآن، وهو الذي كان يلاحق بحرص شديد المصاحف غير العثمانية، خاصة مصحف عبد الله بن مسعود، من أجل تكريس المصحف العثماني ـ الأموي كنص معياري أوحد تجتمع حوله الأمة.

من ناحية أخرى، يعتبر ابن إسحاق، الذي ولد في المدينة سنة 85 هـ، أول مؤرخ عربي كتب سيرة النبي محمد بن عبد الله وأطلق تسمية «سيرة رسول الله» على كتابه. قضى ابن إسحاق معظم حياته في المدينة وبدأ بجمع الروايات المختلفة من مختلف المصادر الشفهية التي كانت متوفرة آنذاك ولم يكن اهتمامه الرئيسي منصباً على تدقيق صحة الروايات وإنما كان غرضه جمع كل ما يمكن جمعه من معلومات عن الرسول محمد. وفي عام 115 هـ، بدأ بالتنقل من المدينة إلى الإسكندرية ثم إلى الكوفة والحيرة ليستقر في بغداد حيث وفر له الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور كل الدعم الممكن لأن يكتب عن تاريخ الرسول محمد.

يرى بعض المستشرقين إن مدى صحة الحقائق التأريخية في كتابه قد

يكون مشكوكاً فيها لانقضاء ما يقارب 120 سنة بين وفاة الرسول محمد وبداية جمعه للروايات الشفهية، وأيضاً يشكك البعض في حيادية بعض المواضيع التي قد تكون غير منصفة لبني أمية لأن الكتاب كتب في عهد الخلفاء العباسيين والذين كان لهم خلافات مع من سبقهم من الأمويين. وبما أن الكتاب - على ما يبدو لنا - أقدم ما كتب عن سيرة محمد فقد استند عليه كتاب السيرة الذين أتوا بعده مثل ابن هشام والطبري بالرغم من تحفظهم على بعض الروايات، علماً إن ابن إسحاق نفسه ذكر في مقدمة كتابه أن «الله وحده عليم أي الروايات صحيحة».

إذن، ثمة عاملان بارزان يلعبان دوراً محوريّاً في هذه الرفضية الشكوكية المعندة، خاصة في الحقبة الأخيرة، من قبل عالم البحثية الغربي، لكل النصوص التراثية الإسلاميّة، سواء تلك التي تنتمي إلى الحديث النبوي، أم تلك المصنفة تحت عنوان، تاريخ: الفجوة التاريخية بين زمن النص أو الحدث من ناحية، وزمن تدوينه من ناحية أخرى؛ والصراعات السياسية التي كانت الهوية الملاصقة للتاريخ الإسلامي على مرّ العصور، ودور الأهواء والغايات في وضع حديث أو رواية. دون أن نتناسى مسألة ضعف الذاكرة البشرية في مسألة النقل الشفوي، والطعن الذي وجّه لكبار المحدثين على اعتبار أنهم وضّاعون كان همهم إرضاء الحاكم عبر اختلاق أحاديث وروايات تدعم سلطته لأسباب مادية ـ معنوية؛ ويضربون مثلاً على ذلك أبا هريرة، الذي طُعن في صدقيته منذ عمر وعائشة، حتى محمود أبو رية.

منذ البداية الأولى برز الصراع الأموي الطالبي بقوة في صدر الصورة الإسلامية تاريخياً؛ وكان كلّ طرف في هذا الصراع السلطوي ـ السياسي

بحاجة ماسّة إلى دعم لاهوتي في صيرورة حرب السلطة هذه. وبدأت عملية الوضع على أعلى مستوى. ومن ثم، ومع تضعضع الخلافة الأموية وظهور الطرف العباسي كعنصر أساسي في الصراع السياسي على السلطة، وصلت عملية الوضع إلى سوية غير مسبوقة يحدّدها الانتماء السياسي لهذا الوضّاع أو ذاك.

إذن، لماذا نعمل على هذه النصوص التي يعتبرها الباحثون الحقيقيون موضوعة وتنضح بالأكاذيب؟ كيف يمكن أن نركن إلى نصوص تتناقض داخلياً، مع إيراد الراوية ذاته لخبرين متناقضين في النص الواحد، وتتناقض خارجياً، مع تناقض الراوية في نصوصه مع راوية آخر يتناقض مع الراوية الأول سياسياً على نحو أساسي؟ باختصار، لأننا، في عملنا على «الحسم المعرفي» مع قوى الإسلام المسيس، لا نمتلك غير تلك النصوص التي هي ذاتها الأساس الذي يعتمد عليه الإسلام المسيس في صيرورة اجتياحه لعقول العوام. ـ دون أن نغفل الإشارة إلى استحالة تطبيق منهجية باتريشيا كرونه في الهاجريون على عملنا البحثي الحالي. لقد استخدمت باتريشيا كرونه منهجية التقاطع الداخلي، أي النصوص العربية ـ الإسلاميّة، الخارجي، أي النصوص التي ظهرت في الغرب زمن بدايات الإسلام وتحدّثت عن الإسلام عموماً، من أجل تكوين رأي هو الأقرب إلى الواقع. لكن هذه المنهجية قابلة للتطبيق فقط على الحوادث المحورية التي يمكن اعتبارها نقطة تحوّل في التاريخ العالمي القديم، مثل احتلال العرب ـ المسلمين للدول المجاورة، أو الحقيقة التاريخية لأهم رموز الإسلام، من النبي المؤسس إلى آخر الخلفاء؛ لكن هذه المنهجية غير قابلة للتطبيق على الإطلاق على حوادث فرعيّة يبدو من غير المحتمل،

في ظل القطيعة المعرفية التي سادت العالم القديم، أن تعرف بها الأقوام الأخرى غير العربية ـ الإسلامية.

العقيدة... والتفكير:

كلّ عقيدة لا بدّ أنها تعيق التفكير مهما اختلفت درجات تلك الإعاقة. العقيدة، بلغة فلاسفة الكينونة، هي أسر الآن واللحظة القادمة في أصفاد الأمس؛ وكلما كان ذلك الأمس بعيداً، كلما صدأت الأصفاد وثقلت على أصابع العقل واستعصت على الكسر. يزداد الطين بلّة مع إيهام تجّار الميثات المقدّسة لعوامهم أنه كلّما أوغلنا في القدم، كلما ارتفعت صدقيّة العقيدة، التي، أي الصدقيّة، تصل إلى حدّها الأعلى مع وصولنا إلى المؤسّس، صاحب النسخة الأصليّة للميثة [غالباً ما يكون مكشوفاً في وقته ولم تكن ميثته قد وصلت إلى طور القداسة بعد]، الذي قد يكون مختلفاً عنّا في الزمان والمكان والبيئة والمجتمع حتى تخوم التناقض. هذا التناقض، برأينا، هو السبب الأهم في ظهور ظاهرة الإرهاب الذي يلبس عباءة الدين: التناقض الذي لا يُحلّ بين ما يحمله واحدنا في داخله من أفكار وعقائد ماضويّة، والظروف والقواعد والأحكام الآنوية ـ المستقبليّة يوصل بنا إلى شرخ داخلي يمكن أن يكون الإرهاب [رفض الواقع الفعلي المتناقض مع واقع متخيّل] تجلّيه الأهم.

رجل العلم... ورجل الدين:

في الأزمنة الكلاسيكيّة القديمة، وكانت إسرائيل محاطة بحضارات شامخة، مثل آشور وفينيقيا وآرام وبابل، وكانت إسرائيل مقتصرة في

نتاجها «الحضاري» على أدبيات حاخاميّة عفا عليها الزمن مدوّنة على ورق أصفر؛ توصّل دهاة الحاخامية السياسية إلى آليّة دفاع نفسيّة لحماية عوامهم من أن تجذبهم أنوار الحضارات المحيطة خارج ظلمة الغيتو؛ وكانت تلك الآليّة، تقول: «إن الشعوب المحيطة متحضّرة [مقارنة باليهود البدو آنذاك] لكنها مينيم، أي، وفق القاموس الديني الإسلامي، كفرة!!!». ـ وهكذا، لم يكن لدى اليهودي البدوي ما يغطّي به عورة دونيته الحضاريّة أمام الآخرين غير إيهامه لنفسه أنه بدوي مؤمن وغيره حضري كافر!! وطبيعي أن أسوأ أنواع الكذب هو الكذب على الذات! وبرأينا غير المتواضع، والتواضع أو اصطناع التواضع خصلة حاخاميّة يهودية بامتياز، فإن الكذبة الحاخاميّة التي تمشي في دماء غيرهم، من أن غيري أفضل مني في كلّ شيء في هذه الحياة الدنيوية لكن الآخرة لي ـ الآخرة ميثة حاخاميّة أخرى تفسيرها النفسي مختصر بعبارة «من يفشل في الدنيا يبحث عن كذبة تعويض في الآخرة» ـ كوني مؤمناً وهو كافر، هي التي أعاقت اندماج اليهود وتعيق اليوم اندماج غير اليهود ممن تبنوا عقلية التكفير التلمودية[1] في مجتمعات الدول المتحضّرة، التي أوصلها غباؤها وسوء حظّها إلى استيرادهم من غيتوهاتهم ـ بلدانهم الأصليّة. وما دام واحدنا ينظر إلى الآخر عبر تلسكوب الإيمان والكفر، لن يكون بإمكاننا دخول بنيان الحضارة الشامخ، مهما أوهمنا ذاتنا بتفاهته.

إنّ معيارنا الأبرز للحقيقة هو الكهنوتي ـ الحاخام. الكهنوتي ـ

---

(1) منذ أكثر من ربع قرن، قمنا بترجمة الرسالة التلمودية، عبدة الأوثان [بالعبرية، العابودا زارا]، التي يمكن اعتبارها بحق أول وثيقة تكفيرية تفصيلية في التاريخ البشري.

الحاخام، الذي يعيش أصلاً في عالم افتراضي لا علاقة له بالواقع لا شكلاً ولا مضموناً، هو الأوحد الذي إذا عكست كلامه وصلت إلى الحقيقة. الكهنوتي ـ الحاخام، هو أفضل مسوّق للميثات على أنها حقائق على مرّ العصور. وهنا لا يتناقض الكهنوتي ـ الحاخام مع ذاته لأن جوهر وجوده، علته الأولى causa prima، ميثة: وإن كانت بنظر العوام مقدّسة. لا يمكنك إلا أن ترثي لحال الكهنوتي ـ الحاخام التقليدي الذي يكذب على الآخرين ـ وعلى نفسه طبعاً ـ ببراءة صبيانيّة لا مثيل لها؛ لكنك بالمقابل لا تستطيع أن تحول بينك وبين احتقار كافة أصناف رجال الكهنوت الآخرين من غير الحاخامات، الذين يكذبون، ويعرفون بوعي أفعوي أنهم يكذبون، بل إنهم أدخلوا الكذب في صلب العقيدة، وأعطوه هالات قدسيّة تحميها سيوف الحشوية، عبر أسوأ المفاهيم الدينيّة وأشدها خبثاً وفتكاً بالإنسان والحضارة!

إنهم يكذبون: أليس كذلك!

رغم كلّ ما يقوله رجال الدين في المنطقة، فلو أنّ أية دولة في الغرب «الكافر» فتحت أبوابها لاستقبال المهاجرين، لفرغت الدول الإسلاميّة من سكانها، عدا الحكام والمشايخ والتجّار ومن على شاكلتهم. بل إن شائعة سرت قبل أشهر في إحدى الدول المسمّاة عربيّة من أن واحدة من أغرب دول العالم الثالث وأكثرها احتواء للجريمة المنظمة، فنزويلا، ربما تسمح لمواطني تلك الدولة بالسفر إليها دون فيزا: ولكم أن تتصوّروا حجم الهرولة إلى السفارة الفنزويليّة من ذاك الشعب المتخم بالقوميّة والتأسلم!!

إذن، رغم كلّ أكاذيب ديوك الله الروميّة، فإن الشعوب تبحث عن الخبز والحريّة. فلماذا تفيض في أنهار الغرب الكافر مياه الخبز والحريّة، في حين لا تقبع في صحراء الشرق المؤمن غير مضارب القمع والفقر والاضطهاد؟؟!! ببساطة شديدة، ودون تسطيح أو استغباء للعقول، فإن السبب الأوحد لحضارة الغرب هو انفتاح الغربيين على المستقبل، والسبب الأوحد لتخلّف الشرق هو انغلاق الشرقيين على الماضي. بكلام أوضح: الغرب متحضّر لأنه يُقاد من قبل العلماء والمفكّرين والفلاسفة ورجال المعرفة، والشرق متخلّف لأنه يسحب من أنفه من قبل ديوك الله الروميّة. لكن الغرب دفع غالياً ثمن خصي رجال الدين وإلزامهم مزاراتهم فحسب؛ والثورة على تلك الكائنات المعاقة ذهنياً لم تأت في يوم وليلة، بل استغرقت زمناً طويلاً، لم يبدأ بسبينوزا ولم ينته بهربرت ماركيوزه. - لكن ما هو التفسير النفسي لرغبة هؤلاء المعاقين ذهنياً العارمة في التسلّط على الناس، عبر الأكاذيب الدينيّة؟

المجتمع البشري ينقسم منذ الأزل إلى نوعين من البشر لا ثالث لهما: نوع نادر للغاية، الفرصة الأندر في تاريخ أي ثقافة، يلعب دوراً بارزاً، إذا ساعدت الظروف الموضوعيّة في ذلك، في تغيير تاريخ ثقافة أو مجتمع أو جزء كبير من الكون، مثل الفلاسفة الأهم والعلماء الألمع والسياسيين الذين يكونون نقطة تحول في تاريخ شعوبهم وأحياناً العالم كلّه: من هؤلاء نذكر، من مرحلة ما بعد العصور الوسطى: كارل ماركس، فرويد، آينشتاين، نيتشه، هتلر؛ النوع الثاني، وهو غير هؤلاء من بقيّة الناس، الذين يمكن أن ندعوهم بالعامّة، رغم تباين مستوياتهم الذكائيّة، وخلفياتهم المعرفيّة. من الصنف الثاني يظهر باحثون ومفكّرون

وسياسيّون لامعون، لكن تأثيرهم يظلّ آنيّاً للغاية، محدوداً للغاية، لا يمكن مقارنتهم بالصنف الأوّل وتأثيره اللامحدود. وإلى هؤلاء ينتمي كلّ من كتب وفكّر بالعربيّة، بمن فيهم ابن رشد، الذي يرى فيه بعضهم مفكّراً من الدرجة الأولى، لكنه في نظرنا ليس أكثر من مفسّر لنصوص قديمة هامة ضمن شعب حُجر على عقوله من قبل نصّ أنهى صيرورة المعرفة مرّة وإلى الأبد؛ وهكذا فالأعور بين العميان مبصر. ابن رشد هام طبعاً: لكنه ليس سبينوزا أو كانط أو هيغل أو نيتشه.

ليس من المحرج القول إن نقصاً بعينه في دواخل المرء يدفعه نحو إثبات الذات عن طريق الظهور أو الشهرة عبر سلوك طريق العلم أو الثقافة أو السياسة أو الفن أو... الدين. وباستثناء الدين، فإن كلّ الحقول التي يطمح المرء إلى البروز عبرها ثقافيّاً تحتاج إلى حدّ أدنى من الجهد العقلي وألفابائيّة المعرفة، حتى يمكن للمرء إقناع الآخرين بأحقيته في أن يُشار إليه بأصابع اليد. مع ذلك، ثمة فرق سافر بين الدين، بالمعنى الأتفه لسوقيّة الروح، واللاهوت، بالمعنى العلمي للكلمة. ـ من هنا، فنحن لا نخجل من اعتبار شلايرماخر وبولتمان وهانس كونغ وفيلهاوزن وغيرهم، أساتذة لنا في مهمة نبش كوامن العقل.

يبدو لنا أحياناً أن هؤلاء، الناطقين بالعربيّة، بسبب هرولتهم المنحدرة نزولاً في نفق التفكير مسدود النهاية، المحمي من المشايخ ورجال السلطة، منذ ألف وخمسمئة سنة، أضحوا مهددين بالفعل من خطر فقدان العقل: تحوّله إلى عنصر أثري، تماماً كما هي الحال بالنسبة لحلمتي الثديين عند الذكر. ـ لا أدلّ على ذلك من تنامي صعوبة فهم أي طرح معرفي يتطلّب درجة من تفعيل التفكير، مقابل انتشار أفقي كاسح للآراء

المسطحة للعقل: هل يمكن أن نتوقع الفرق بين توزيع كتاب يتطلّب مستويات عقليّة راقية، مثل الكينونة والزمان لهايدغر، وأي كتاب ليوسف القرضاوي أو متولّي شعراوي أو محمد سعيد البوطي، في معرض كتاب مكتبة الأسد بدمشق؟ إن هذا الانتشار المَرَضي لكتب هؤلاء بين الناطقين بالعربيّة يعني بصريح العبارة أن المسلمين وصلوا الدرك الأسفل من الانهيار الثقافي المعرفي.

نعم! الغرب متقدّم لأنه يُقاد من قبل العلماء ـ بالمعنى الغربي للكلمة ـ والمفكّرين ومراكز البحوث؛ والشرق متخلّف لأنه يقاد من قبل العلماء ـ بالمعنى الإسلامي للكلمة ـ والعوالم والحوزات وكليّات الدعوة. لكن أليس من الأفضل، في ظلّ هذا الغياب الممنهج للوعي، أن يقود المجتمع رجال الدين ـ على الطريقة العراقيّة ـ من أن لا يكون فيه أي شكل للقادة؟ على الإطلاق: فالفوضى، التي يمكن أن تكون خلاّقة، أفضل من أن يقود المجتمع، أي مجتمع، رجال الدين. رجل الدين، الذي يعيش «إلى الوراء»؛ يفكّر «إلى الوراء»، لا بدّ أنه سيقود المجتمع كلّه حتماً إلى هاوية بلا قعر؛ في حين أنّ اختيار المرء لأن يقود ذاته بذاته يمكن أن يجعل من السقوط في تلك الهاوية أمراً نسبيّاً.

ثمة فرق أساسي آخر بين المجتمعات الغربيّة وتلك الإسلاميّة: مقاربة الشأن الديني. دون شك، فإن الدين، مطلق دين، لم يكن ليستمرّ لو كان يفتقد بالكامل لجرثومة «الحضارة». والحقيقة أن الدين، في صيرورة الزمن، يصل إلى شكل ثقافة خاص به، مهما اختلف كم التحضّر بين شكل ثقافة وآخر. في شكل الثقافة هذا يتناسب التحضّر عكساً مع التمسّك بحرفيّة الدين، كما كان منذ البداية الأولى؛ بكلمات أخرى،

الأصوليّة والتحضّر خطّان متوازيان لا يلتقيان بأية حال. الأصوليّة هي شكل للأحديّة السكونيّة المطلقة يقتل الروح والجسد؛ والتحضّر عمليّة صيرورة معرفيّة تتفاعل أبداً مع الزمكانيّة النسبيّة لتنتج على الدوام تجدديّة لا تعرف التعب. الأصوليّة، بلغة إسلاميّة، هي التمسّك بحرفيّة شرع قادم من زمن انتهى منذ قرون، والتحضّر هو الانفتاح اللامشروط على المستقبل بكلّ كمونياته المأمولة.

زمن معاوية: المنهج!

مما لا شكّ فيه أن زمن معاوية، كما توحي به التسمية، عمل همّه الأوحد إلقاء بعض الضوء العقلاني ـ التشكيكي على التسليميات الإسلامية العوامية. قد يكون الباحثون هدفاً لهذا الكتاب، لكن الحقيقة أن صاحب هذا النص لا يأخذهم بعين اعتباره هدفياً؛ إن ما يهمنا هو عامة الشعب، لأنهم الخزان الحقيقي للتطّرف ومن ثم الإرهاب.

في هذا العمل توخينا ملاحقة كلّ ما يمكن الوصول إليه من مراجع ومصادر بهدف إعطاء أعلى مدى من الصدقية لمشروعنا طويل الأمد هذا.

في هذا البحث لم نتناول شخصية معاوية من منظور بانورامي أوكرونولوجي؛ كلّ ما قمنا به هو تسليط الضوء على ممارساته الأسوأ بحق أهم رموز الإسلام وقتها عبر حشد ما أمكن ـ كما أشرنا ـ من شواهد ونصوص. وهكذا، فقد تنقلنا من جريمة إلى جريمة بحق رموز ذلك العصر من العرب ـ المسلمين؛ مع إضافات موثقة حول معاوية كشخص، ودور عبد الله بن جعفر الطيار في حياة هذا الخليفة ـ الملك على وجه التخصيص. قد تبدو النصوص متناقضة أحياناً، لكن ذلك التناقض هو جزء من الصراع السياسي الذي أشرنا إليه آنفاً.

الفصل الأول:

معاوية بن أبي سفيان!

«قال الحسن البصري: أربع خصال كن في معاوية لو لم تكن فيه إلا واحدة لكانت موبقة: افتراؤه على هذه الأمة بالسيف حتى أخذ الأمر من غير مشورة وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه ابنه بعلي سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير، وادعاؤه زياداً وقد قال رسول الله ﷺ: «الولد للفراش وللعاهر الحجر»، وقتله حجراً وأصحاب حجر، فيا ويلاه من حجر! ويا ويلاه من أصحاب حجر!!»[1].

من هو معاوية[2]؟

إنه «معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي العبشمي، يلتقي مع رسول الله ﷺ في جده عبد مناف بن قصي»[3].

---

(1) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، 57.

(2) لا بد أن نذكر هنا هو أننا لا نتدخل بآرائنا الشخصية في هذا النص والنصوص التي تتلوه إلا بالحد الأدنى؛ فكلّ ما نفعله هو ربط الفقرات المختارة بعناية الواحدة بالأخرى، تاركين لذكاء القارئ أن يستنبط بحرية.

(3) العصامي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، 547؛ الجاحظ، المحاسن والأضداد، 88؛ الخرائطي، هواتف الجنان، 15؛ البري، الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، 34؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 2977، 2978.

مع ذلك، ثمة آراء كثيرة في حقيقة نسبه، مع اتفاق الجميع على أنّ أمّه هي هند بنت عتبة!

قصص هند أم معاوية:

«كان الفاكه بن المغيرة المخزومي أحد فتيان قريش، وكان قد تزوج هند بنت عتبة، وكان له بيت للضيافة يغشاه الناس فيه بلا إذن، فقام يوماً في ذلك البيت، وهند معه، ثم خرج عنها وتركها نائمة، فجاء بعض من كان يغشى البيت فلما وجد المرأة نائمةً ولى عنها. فاستقبله الفاكه بن المغيرة، فدخل على هند وأنبهها، وقال: من هذا الخارج من عندك؟ قالت: والله ما انتبهت حتى أنبهتني، وما رأيت أحداً قط. قال: الحقي بأبيك. وخاض الناس في أمرهم. فقال لها أبوها: يا بنية: أنبئيني شأنك، فإن كان الرجل صادقاً دسست عليه من يقتله فينقطع عنك العار، وإن كان كاذباً حاكمته إلى بعض كهان اليمن؛ قالت: والله يا أبت إنه لكاذب. فخرج عتبة، فقال: إنك رميت ابنتي بشيء عظيم، فإما أن تبين ما قلت، وإلا فحاكمني إلى بعض كهان اليمن. قال: ذلك لك. فخرج الفاكه في جماعة من رجال قريش، ونسوة من بني مخزوم، وخرج عتبة في رجال ونسوة من بني عبد مناف، فلما شارفوا بلاد الكاهن تغيّر وجه هند، وكسف بالها. فقال لها أبوها: أي بنية، ألا كان هذا قبل أن يشتهر في الناس خروجنا؟ قالت: يا أبت، والله ما ذلك لمكروه قبلي، ولكنكم تأتون بشراً يخطئ ويصيب، ولعله أن يسمني بسمة تبقى على ألسنة العرب. فقال لها أبوها: صدقت، ولكني سأخبره لك. فصفر بفرسه، فلما أدلى، عمد إلى حبة بر فأدخلها في إحليله، ثم أوكى عليها وسار. فلما نزلوا على الكاهن أكرمهم ونحر لهم.

فقال له عتبة: إنا أتيناك في أمر قد خبأنا لك خبية، فما هي؟ قال: ثمرة في كمرة. قال: أريد أبين من هذا. قال: حبة بر في إحليل مهر. قال: صدقت فانتظر في أمر هؤلاء النسوة، فجعل يمسح رأس كل واحدة منهن، ويقول: قومي لشأنك، حتى إذا بلغ إلى هند مسح يده على رأسها، وقال: قومي غير رسحاء ولا زانية، وستلدين ملكاً يسمّى معاوية. فلما خرجت أخذ الفاكه بيدها فنترت يده من يدها، وقالت: والله لأحرصن أن يكون ذلك الولد من غيرك. فتزوجها أبو سفيان فولدت معاوية. وذكروا أن هند بنت عتبة بن ربيعة قالت لأبيها: يا أبت، إنك زوجتني من هذا الرجل ولم تؤامرني في نفسي، فعرض لي معه ما عرض فلا تزوجني من أحد حتى تعرض علي أمره، وتبين لي خصاله. فخطبها سهيل بن عمرو وأبو سفيان بن حرب»[1].

القصّة السابقة تبدو وكأنها قد وضعت بطلب من معاوية ذاته؛ يقول مرجع آخر أكثر موثوقية من تلك السابقة:

«وكان معاوية يعزي إلى أربعة: إلى مسافر بن أبي عمرو، وإلى عمارة بن الوليد، وإلى العباس بن عبد المطلب، وإلى الصباح مغن أسود كان لعمارة. قالوا: كان أبو سفيان دميماً قصيراً، وكان الصباح عسيفاً لأبي سفيان شاباً وسيماً، فدعته هند إلى نفسها. وقالوا أن عتبة ابن أبي سفيان من الصباح أيضاً، وأنها كرهت أن تضعه في منزلها، فخرجت إلى أجياد

(1) العقد الفريد 921؛ أنظر: القلقشندي، صبح الأعشى، 165؛ ابن حبيب، المنمق في أخبار قريش، 26؛ الآبي، نثر الدر، 496؛ الخرائطي، هواتف الجنان، 15؛ الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، 318؛ الجاحظ، المحاسن والأضداد، 88؛ الأغاني 963؛ ابن رأس غنمة الاشبيلي، مناقل الدرر ومنابت الزهر، 41؛ البري، الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، 34؛ السيرة الحلبية، 781.

فوضعته هناك»[1]. ويكمل معتزلي آخر، هو ابن أبي الحديد، ما قاله الزمخشري، المعتزلي الشهير: «في هذا المعنى يقول حسان أيام المهاجاة بين المسلمين والمشركين في حياة رسول الله ﷺ قبل عام الفتح:

لمن الصبيّ بجانب البطحاء   في التراب ملقى غير ذي مهد
نـجـلـت بــه بـيـضـاء آنسة   من عبد شمس صلتة الخد»[2].

والقصيدة معروفة للغاية ضمن ما تبقى لنا من تراث حسّان بن ثابت، شاعر الرسول.

يقول البلاذري: «كانت هند بنت عتبة قبل أبي سفيان عند حفص بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، ثم خلف عليها الفاكه بن المغيرة فقتلته بنو كنانة بالغميصاء في الجاهلية، ويقال: بل تزوجها الفاكه بن حفص ثم خطبها أبو سفيان وسهيل بن عمرو فأخبرها أبوها بذلك وقال: خطبك من قومك كفؤان كريمان، فقالت: صفهما لي، فقال: أحدهما سهيل بن عمرو وهو موسر سخي سيد مفوض يحكم في ماله، والآخر أبو سفيان بن حرب وهو شريف سيد حازم، قالت: الحازم أحبهما إلي، فتزوجها أبو سفيان فولدت له معاوية، وعتبة، وأم الحكم؛ ويقال إنه قال لها: قد خطبك رجلان، أما أحدهما فخضم تخالين به غفلةً للينه، ليس بالغضبة الغلق ولا المغيار النزق، وأما الآخر ففي الحسب الحسيب والرأي الأريب، شديد الغيرة سريع الطيرة، مكرم للكريمة حسن الصحبة، وكيد العهد، فاختارته»[3].

---

(1) الزمخشري، ربيع الأبرار 363
(2) شرح النهج 95.
(3) البلاذري، أنساب الأشراف، 579؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، 81.

وفي نص آخر، نقرأ: «وهند فيه في القائلة... فتزوجها أبو سفيان، فجاءت بمعاوية. قالت هند لأبيها: إني امرأة قد ملكت أمري، فلا تزوجني رجلاً حتى تعرضه علي، فقال لها: ذلك لك، ثم قال لها يوماً: إنه قد خطبك رجلان من قومك، ولست مسمياً لك واحداً منهما حتى أصفه لك: أما الأوّل ففي الشرف الصميم، والحسب الكريم، تخالين به هوجاً من غفلته، وذلك إسجاج من شيمته، حسن الصحابة، حسن الإجابة، إن تابعته تابعك، وإن ملت كان معك، تقضين عليه في ماله، وتكتفين برأيك في ضعفه. وأما الآخر ففي الحسب الحسيب، والرأي الأريب، بدار أرومته، وعز عشيرته، يؤدب أهله، ولا يؤدبونه، إن اتبعوه أسهل بهم، وإن جانبوه توعر بهم، شديد الغيرة، سريع الطيرة، شديد حجاب القبة، إن حاج فغير منزور، وإن نوزع فغير مقهور. قد بينت لك حالهما. قالت: إما الأوّل فسيد مطيع لكريمته، مواتٍ لها فيما عسى ـ إن لم تعصم ـ أن تلين بعد إبائها، ويضع تحت جناحها. إن جاءت له بولد أحمقت، وإن أنجبت فعن خطأ ما أنجبت، اطو ذكر هذا عني، فلا تسمه لي. وأما الآخر فبعل الحرة الكريمة، إني لأخلاق هذا لوامقة، وإني له لموافقة، وإني لآخذه بأدب البعل مع لزومي قبتي، وقلة تلفتي، وإن السليل بيني وبينه لحري أن يكون المدافع عن حريم عشيرته، الذائد عن كتيبتها، المحامي عن حقيقتها، الرأس لأرومتها، غير مواكل ولا زميل عند صعصعة الحوادث، فمن هو؟ قال: أبو سفيان بن حرب، قالت: فزوجه، ولا تلقني إليه إلقاء المتسلس السلس، ولا تسمه سمة المواطس الضرس، استخر الله في السماء يخر لك بعلمه في القضاء. زاد في حديث بمعناه، وسمى فيه الرجلين: سهيل بن عمرو، وأبو سفيان بن حرب»[1].

(1) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 3672؛ الميمني، سمط اللآلي، 156، 212؛ طبقات

وفي نص مشابه، نقرأ: «وذكروا أن هند بنت عتبة بن ربيعة قالت لأبيها: يا أبت، إنك زوجتني من هذا الرجل ولم تؤامرني في نفسي، فعرض لي معه ما عرض فلا تزوجني من أحد حتى تعرض علي أمره، وتبين لي خصاله. فخطبها سهيل بن عمرو وأبو سفيان بن حرب»[1].

مسافر بن أبي عمرو هو أحد الذين نسبت المراجع معاوية إليه؛ يقول أحد النصوص: «مسافر بن أبي عمرو بن أمية... خطب هنداً بنت عتبة ولما تزوجت أبا سفيان مرض واعتل حتى مات: وله شعر ليس بالكثير. والأبيات التي فيها الغناء يقولها في هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، وكان يهواها. فخطبها إلى أبيها بعد فراقها الفاكه بن المغيرة، فلم ترض ثروته وماله. فوفد على النعمان يستعينه على أمره ثم عاد، فكان أوّل ما لقيه أبو سفيان، فأعلمه بتزويجه من هند.... أن مسافر بن أبي عمرو بن أمية كان من فتيان قريش جمالاً وشعراً وسخاء. قالوا: فعشق هنداً بنت عتبة بن ربيعة وعشقته، فاتهم بها وحملت منه... فلما بان حملها أو كاد قالت له: اخرج، فخرج حتى أتى الحيرة، فأتى عمرو بن هند فكان ينادمه. وأقبل أبو سفيان بن حرب إلى الحيرة في بعض ما كان يأتيها، فلقي مسافراً، فسأله عن حال قريش والناس، فأخبره وقال له فيما يقول: وتزوجت هنداً بنت عتبة. فدخله من ذلك ما اعتل معه حتى استسقى بطنه... فدعا له عمرو بن هند الأطباء، فقالوا: لا دواء له إلا الكي. فقال له: ما ترى؟ قال: افعل.

ابن سعد 1481؛ 212؛ أنظر أيضاً: الحافظ الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، 1724؛ الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، 64

(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد، 921؛ شرح النهج، 96؛ القلقشندي، صبح الأعشى، 165؛ الأبشيهي،المستطرف، 318؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 288.

فدعا له الذي يعالجه فأحمى مكاويه، فلما صارت كالنار قال: ادع أقواماً يمسكونه. فقال لهم مسافر: لست أحتاج إلى ذلك. فجعل يضع المكاوي عليه. فلما رأى صبره ضرط الطبيب... فخرج يريد مكة. فلما انتهى إلى موضع يقال له هبالة مات فدفن بها، ونعي إلى قريش»[1].

يقول الميداني عن مسافر: «فرحل إلى الحيرة وافداً على النعمان فبينما هو مقيم عنده إذ قدم عليه قادم من مكة فسأله عن خبر أهل مكة بعده، فأخبره بأشياء وكان فيها أن أبا سفيان تزوج هنداً، فطعن مسافر من الغم»[2].

وقال عبد القاهر البغدادي عن مسافر: «قال النوفلي في خبره وحدثني أبي: أنه إنما كان مسافر خرج إلى النعمان بن المنذر يتعرض لإصابة مال ينكح به هنداً، فأكرمه النعمان واستظرفه ونادمه وضرب عليه قبةً من أدمٍ حمراء. وكان الملك إذا فعل ذلك برجل عرف قدره منه ومكانه عنده. وقدم أبو سفيان بن حرب في بعض تجاراته، فسأله مسافر عن حال الناس بمكة، فذكر له أنه تزوج هنداً؛ فاضطرب مسافر حتى مات. وقال بعض الناس: إنه استسقى بطنه فكوي فمات بهذا السبب. قال النوفلي: فهو أحد من قتله العشق... [إن] مسافر بن أبي عمرو كان من فتيان قريش جمالاً وسخاء وشعراً، عشق بنت عتبة بن ربيعة، فعشقته واتهم بها، فحملت منه، فلما بان حملها أو كاد، قالت: اخرج. فخرج حتى أتى الحيرة. ثم إنه ألقى أبا سفيان فسأله عن حال قريش والناس فأخبره، وقال فيما قاله: وتزوجت هند بنت عتبة. فدخله من ذلك ما أعله حتى استسقى بطنه... فخرج يريد

(1) الأغاني، 962، شرح النهج، 96.
(2) الميداني، مجمع الأمثال، 238.

مكة، فلما انتهى إلى موضع يقال له: هبالة مات فدفن بها، ونعي إلى قريش... فمات بهذا السبب. ثم أورد صاحب الأغاني حكاية هند بنت عتبة، وطلاقها من زوجها الفاكه بن المغيرة، وتزوجها بأبي سفيان... وكذا أورد الحكاية المفضل بن سلمة في كتاب الفاخر، قال: روى أبو الحسن الدمشقي أن مسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس، كان يهوى هنداً بنت عتبة، وكانت تهواه، فقالت له: إن أهلي لا يزوجونني منك لأنك معسر، فلو وفدت إلى بعض الملوك لعلك تصيب مالاً. فرحل إلى الحيرة وافداً إلى النعمان، فبينا هو مقيم عنده. إذ قدم عليه قادم من مكة، فسأله عن خبر أهل مكة بعده، فأخبره بأشياء كان فيها أن أبا سفيان تزوج هنداً. فطعن من الغم»[1].

اعتناق أهله للإسلام:

كان أبو سفيان وزوجته هند بنت عتبة من أكثر القرشيين عداء لمحمد ورسالته. يروي أحد المراجع أنه بعد معركة أحد «وقف رسول الله ﷺ على عمه حمزة، وقد جدعوا أنفه وقطعوا مذاكيره وبقروا بطنه، وأخذت هند بنت عتبة قطعة من كبده فمضغتها ثم استرطتها لتأكلها، فلم تلبث في بطنها حتى رمت بها»[2]؛ ويضيف آخر أن «نذرت هند بنت عتبة لوحشي[3]

(1) عبد القادر البغدادي، خزانة الأدب، 1588.
(2) الواحدي،أسباب نزول القرآن، 102
(3) رجل قد غلبت عليه الخمر، فإن تجداه صاحياً تجدا رجلاً عربيّاً، وتجدا عنده بعض ما تريدان، وتصيبا عنده ما شئتما من حديث تسألانه عنه، وإن تجداه وبه بعض ما يكون به، فانصرفا عنه ودعاه. السيرة 2: 70 ـ 71؛ عمر بن الخطاب: ما زالت لوحشي في نفسي حتى أخذ قد شرب الخمر بالشام، فجلد الحد، فحططت عطاءه إلى ثلاث مئة... وكان فرض عمر له في ألفين. مختصر ابن منظور 226:26.

نذوراً إن قتل حمزة بأبيها يوم أحد فلما قتله بقرت بطنه ولاكت كبده»[1]؛ وكان السبب كما تقول هند ذاتها: «أنا هند بنت عتبة أعظم العرب مصيبةً، وقد بلغني أنك تعاظمين العرب بمصيبتك، فبم تعاظمينهم؟ فقالت الخنساء: بعمرو بن الشريد، وصخرٍ ومعاوية ابني عمرو، وبم تعاظمينهم أنت؟ قالت: بأبي عتبة بن ربيعة، وعمي شيبة بن ربيعة»[2]؛ وقد قتلهم محمد يوم بدر. يروي الزركلي أنّ «هِنْد بنت عُتْبَة [كانت] تقول الشعر الجيد. وأكثر ما عرف من شعرها مراثيها لقتلى بدر من مشركي قريش، قبل أن تسلم. ووقفت بعد وقعة بدر في وقعة أُحُد ومعها بعض النسوة، يمثّلن بقتلى المسلمين، ويجدعن آذانهم وأنوفهم، وتجعلها هند قلائد وخلاخيل. وترتجز في تحريض المشركين، والنساء من حولها يضربن الدفوف... ثم كانت ممن أهدر النبيﷺ دماءهم، يوم فتح مكة، وأمر بقتلهم ولو وجدوا تحت أستار الكعبة... وكان لها صنم في بيتها تعبده، فلما أسلمت عادت إليه وجعلت تضربه بالقدوم حتى فلذته»[3].

«فجاءته [محمد] مع بعض النسوة في الأبطح، فأعلنت إسلامها، ورحب بها. وأخذ البيعة عليهن، ومن شروطها ألا يسرقن ولا يزنين [!]، فقالت: هل تزني الحرة أو تسرق يا رسول الله؟ قال: ولا يقتلن أوّلادهن، فقالت: وهل تركت لنا ولداً إلا قتلته يوم بدر؟ وفي رواية: ربيناهم صغاراً وقتلتهم أنت ببدر كباراً!، وهي تقول: كنا منك في غرور! ومن كلامها: المرأة غل لا بد للعنق منه، فانظر من تضعه في عنقك!

(1) الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، 32
(2) الأغاني، 416
(3) الأعلام، 1298.

ورؤى معها ابنها معاوية، فقيل لها: إن عاش ساد قومه، فقالت: ثكلته إن لم يسد قومه! وكانت لها تجارة في خلافة عمر. وشهدت اليرموك وحرضت على قتال الروم»[1].

من مواقفها الشهيرة من النبي ما روته مراجع عديدة؛ قيل: «أقبل أبو سفيان من الشام ومعه هند ومعاوية على حمار، فلما دنوا من مكة لقيهم رسول الله ﷺ، فقال أبو سفيان لمعاوية: انزل يركب محمد، فقالت هند: أينزل ابني لهذا الصابئ؟!»[2].

يبدو أن هنداً أجبرت على اعتناق الإسلام؛ يقال إنه بعد أن دخل محمد مكّة «خرج أبو سفيان فتقدم الناس كلهم حتى دخل من كداءٍ وهو يقول: من أغلق بابه فهو آمن! حتى انتهى إلى هند بنت عتبة، فأخذت برأسه فقالت: ما وراءك؟ قال: هذا محمد في عشرة آلافٍ عليهم الحديد، وقد جعل لي: من دخل داري فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمنٌ، ومن طرح السلاح فهو آمنٌ. قالت: قبحك الله رسول قوم. قال: وجعل يصرخ بمكة: يا معشر قريش، ويحكم! إنه قد جاء ما لا قبل لكم به! هذا محمد في عشرة آلافٍ عليهم الحديد، فأسلموا! قالوا: قبحك الله وافد قومٍ! وجعلت هند تقول: اقتلوا وافدكم هذا، قبحك الله وافد قومٍ. قال: يقول أبو سفيان: ويلكم، لا تغرنكم هذه من أنفسكم! رأيت ما لم تروا! رأيت الرجال والكراع والسلاح، فلا لأحدٍ بهذا طاقة!»[3]. وفي نص آخر، «قالت هند

(1) الزركلي، الأعلام، 1298.

(2) البلاذري، أنساب الأشراف، 579؛ ابن حبيب، المنمق في أخبار قريش، 96؛ ابن حبيب، المحبر، 118؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، 81؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 930؛ الحافظ الهيثمي، مجمع الزواد ومنبع الفوائد، 1724.

(3) الواقدي، المغازي، 333.

بنت عتبة لأبي سفيان بن حرب لما رجع مسلماً من عند النبي ﷺ إلى مكة في ليلة الفتح، فصاح: يا معشر قريش، ألا إني قد أسلمت فأسلموا، فإن محمداً قد أتاكم بما لا قبل لكم به فأخذت هند برأسه، وقالت: بئس طليعة القوم أنت والله ما خدشت خدشاً، يا أهل مكة، عليكم الحميت الدسم فاقتلوه»[1].

مع ذلك، أسلمت هند؛ يقول بعض المؤرخين إنه بعد فتح مكّة، «لما فرغ رسول الله ﷺ من بيعة الرجال بايع النساء وفيهن هند بنت عتبة... متنقبة متنكرة خوفاً من رسول الله ﷺ! فلما دنين من رسول الله ﷺ قال لهن: بايعنني على أن لا تشركن بالله شيئا ولا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن أوّلادكن؛ أي: وذلك إسقاط الأجنة!! زاد في لفظ: ولا تلحقن بأزواجكن غير أوّلادهم، أي: ولا تقعدن مع الرجال في خلاء أي لا تجتمع امرأة مع رجل في خلوة؛ ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن... وجاء أن هندا قالت له ﷺ: إنك لتأخذ علينا مالا تأخذه على الرجال؛ أي لان الرجال كان ﷺ يبايعهم على الإسلام وعلى الجهاد فقط! وإنها قالت لما قال ﷺ ولا تسرقن: والله إني كنت أصيب من مال أبي سفيان الهنة بعد الهنة وما كنت أدري أكان ذلك حلالاً أم لا؟ فقال أبو سفيان وكان حاضراً: أما ما أصبت فيما مضى فأنت منه في حل! عفا الله عنك... فضحك النبي ﷺ وعرفها فقال لها: وإنك لهند بنت عتبة؟ قالت: نعم؛ فاعف عما سلف عفا الله عنك يا نبي الله! وأنها قالت لما قال ﷺ ولا تزنين: أو تزني الحرة يا رسول الله؟ ولما قال ولا تقتلن أوّلادكن قالت: ربيناهم صغاراً وقتلتهم كباراً؛ وفي لفظ: هل تركت لنا ولداً إلا قتلته يوم

(1) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، 65؛ أنظر أيضاً: ربيع الأبرار 364.

بدر؟ وفي لفظ: أنت قتلت آباءهم يوم بدر وتوصينا بأوّلادهم! وفي لفظ: ربيناهم صغاراً وقتلتهم كباراً! فضحك عمر رضي الله تعالى عنه حتى استلقى وتبسم ﷺ؛ وفي لفظ: فضحك ﷺ ولما قال ﷺ ولا تأتين ببهتان تفترينه والله إن اتيان البهتان لقبيح زاد في لفظ: وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق؛ ولما قال ﷺ ولا تعصينني في معروف؛ قالت: والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في معروف؛ وفي لفظ: أنها أتته منتقبة بالأبطح وقالت: إني امرأة مؤمنة أشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله؛ ثم كشفت عن نقابها وقالت: أنا هند بن بنت عتبة! فقال رسول الله ﷺ: مرحبا بك؛ قال بعضهم: وفي إسلام أبي سفيان قبل هند وإسلامها قبل انقضاء عدتها أي لأنها أسلمت بعده بليلة واحدة»[1].

يبدو أن مسألة طلب النبي الشخصي من هند أن لا تزني، كان إشارة إلى الأقوال التي أحاطت بها التي أشرنا إليها لاحقاً، وكذلك قوله لها، «ولا تلحقن بأزواجكن غير أوّلادهم»[2].

«أسلم معاوية عام الفتح [مكة]، ورُوي عنه أنه قال: أسلمت يوم القضية»[3].

من هو معاوية؟

«أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية:

(1) السيرة الحلبية، 782؛ ابن رأس غنمة الاشبيلي، مناقل الدرر ومنابت الزهر، 42؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 2977.

(2) أنظر: طبقات ابن سعد، 1482؛ الكامل في التاريخ، 332؛ الكشاف، 1250؛ تفسير القرطبي، 3384؛ الشافعي، الرسالة، 63.

(3) ابن كثير، البداية والنهاية، 2078؛ سعد الله الدجاجي، سفط الملح، 85ـ86.

مؤسس الدولة الأموية بالشام، وأحد دهاة العرب المتميزين الكبار، حكم الشام حكماً مستمراً، دام ما يزيد على الأربعين سنة، قضى بعضها (18 ـ 35) أميراً، وقضى الباقي متغلباً، ولاه على الشام الخليفة عمر، ولما ولي عثمان جمع له الديار الشامية كلها، ولما ولي علي عزله، فخرج على علي بحجة المطالبة بدم عثمان»[1]، «حتى إذا قتل علي، وتمكّن من السيطرة ترك المطالبة بدم عثمان»[2]. «وهو أوّل من لعن المسلمين على المنابر»[3]؛ «وأوّل من حبس النساء بجرائر الرجال، إذ طلب عمرو بن الحمق الخزاعي، لموالاته علياً، وحبس امرأته بدمشق، حتى إذا قطع عنقه، بعث بالرأس إلى امرأته وهي في السجن، وأمر الحرس أن يطرح الرأس في حجرها»[4]. «وكان يفرض على الناس لعن علي والبراءة منه، ومن أبى، قتله، أو بعث به إلى عامله زياد ليدفنه حياً»[5]. «وهو أوّل من سخر الناس، واستصفى أموالهم، وأخذها لنفسه»[6]؛ «وهو أوّل من حبس على معارضيه أعطياتهم»[7]؛ «محتجاً بأن العطاء ينزل من خزائن الله، فقال له الأحنف: إنا لا نلومك على ما في خزائن الله، ولكن على ما أنزله الله من خزائنه، فجعلته في خزائنك، وحلت بيننا وبينه»[8].

«وقيل لشريك بن عبد الله، إن معاوية كان حليماً، فقال: كلا، لو كان

---

(1) الأعلام، 172.
(2) البصائر والذخائر، 586.
(3) العقد الفريد 4 ـ 366 و5 ـ 91.
(4) بلاغات النساء، 64؛ اليعقوبي، تاريخ، 2 ـ 232؛ الديارات 179 و180
(5) العقد الفريد 3 ـ 234 و4 ـ 34؛ الأغاني 18 ـ 150، 17 ـ 153؛ ابن الأثير، 3 ـ 485.
(6) اليعقوبي، تاريخ، 2 ـ 232.
(7) الصولي، أدب الكتاب، 2 ـ 224.
(8) البصائر والذخائر، م2 ق2 ص689.

حليماً ما سفه الحق ولا قاتل علياً»[1]. «ولما قتل علي بن أبي طالب، وتغلب معاوية بن أبي سفيان على السلطة، تغير الأمر عما كان عليه في عهد الخلفاء الراشدين وأخذ معاوية يحاسب أصحاب علي، على تصرفاتهم السابقة، ويطالبهم بالبراءة من علي، فإن لم يبرأوا، جرد لهم السيف، وأعد لهم أكفانهم، وحفر لهم قبورهم، وقتلهم أمام قبورهم المحفورة، وأكفانهم المنشورة»[2]؛ «وكان زياد ابن أبيه يدفن الناس أحياء»[3]، «وتابعه في ذلك ولده عبيد الله»[4]؛ «وزاد عليه بأنه كان يرمي أسراه من شاهق»[5]؛ «وكان يقتل الصبية، ويتلذذ بمشاهدة مقتلها»[6].

«قال سعيد بن المسيب إنّ معاوية أوّل من غيّر قضاء رسول الله ﷺ، وأوّل من خطب قاعداً لأنه كان بطيناً بادناً، وأوّل من قدم الخطبة على الصلاة خشي أن يتفرق الناس عنه قبل أن يقول ما بدا له، وأوّل من نصب المحراب في المسجد؛ وتوفي وله من الأموال التي استصفاها من مال كسرى وقيصر خمسون ألف ألفَ درهم.

أخذ البيعة ليزيد بن معاوية ثم دعا الناس إلى بيعة يزيد فأوّل من بايع يزيد معاوية؛ وكتب إلى مروان بن الحكم بأخذ بيعة أهل المدينة ليزيد عليه اللعنة فغضب مروان إذ لم يجعل إليه الأمر فسار إلى الشام

(1) جعفر، كتاب الآداب، 22، 23؛ البغدادي، خزانة الأدب، 2: 518 و519؛ القاضي التنوخي، الفرج بعد الشدّة، 214.
(2) العقد الفريد، 3: 234.
(3) الجاحظ، المحاسن والأضداد، 27 ؛ الأغاني، 17: 153.
(4) المحاسن والمساوئ، 2: 165.
(5) ابن الأثير 4 ـ 35،36.
(6) القاضي التنوخي، الفرج بعد الشدّة، 252.

فكلمه وجعله ولي عهد يزيد بعده ورده إلى المدينة؛ فامتنع أهل المدينة من بيعته فجاء معاوية حاجاً في ألف فارس إلى المدينة وتلقاه الحسين وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن الزبير فسلموا عليه فلم يرد جواب سلامهم وأغلظ بهم في القول وعنف وذلك حيلة منه، فتوجه القوم إلى مكة لما رأوا من جفائه؛ ودخل معاوية المدينة ولم يبق بها أحد لم يبايعه وأخذ بيعة أهلها ليزيد وفرّق فيهم أموالاً عظيمةً؛ ثم خرج إلى مكة فتلقاه الحسين بن علي فلما وقع بصره عليه؛ قال: مرحباً بابن رسول الله وسيد شباب أهل الجنة! دابةً لأبي عبد الله! ثم طلع عليه عبد الله بن الزبير؛ فقال: مرحباً بابن حواري رسول الله وابن عمته! دابةً لأبي خبيب! ثم كذلك كلما طلع عليه طالع حياه وأمر له بدابةٍ وصلةٍ ثم دخل مكة وهداياه وجوائزه يروح عليهم ويغدو حتى أنماهم الأموال؛ ثم أمر برواحله فعلقت بباب المسجد وجمع الناس وأمر بصاحب حرسه أن يقيم على رأس كل رجل من الأشراف رجلاً بالسيف؛ وقال: إن ذهب واحد منهم إلى أن يراجعني في كلامي فاضربوا عنقه! ثم صعد المنبر وخطب، فقال: إن هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم ولا يبتز أمر دونهم ولا يقضى أمر عن غير مشورتهم وقد بايعوا يزيد فبايعوه بسم الله! فأما الأشراف فلم يكن يمكنهم تكذيبه ومراجعته وأما سائر الناس فلا جرأة لهم على الكلام ولا علم لهم بشيء مما يقول؛ فأخذ البيعة وركب رواحله وضرب إلى الشام؛ وكان يقول: لولا هواي في يزيد لأبصرت رشدي! وفيه يقول بعضهم:

فإن تأتوا برملة أو بهند ... نبايعها أميرة مؤمنينا
إذا ما مات كسرى قام كسرى ... بنوه بعده متناسقينا
خشينا الغيظ حتى لو سقينا ... دماء بني أمية ما شفينا

... ومات معاوية بدمشق سنة ستين وهو ابن ثمانين سنة؛ وكان رجلاً طوالاً جسيماً بادناً أبيض جميل الوجه إذا ضحك انقلبت شفته العلياء وبايع أهل الشام يزيد بن معاوية على الوفاء بما أخذ له معاوية من بيعتهم»[1].

من هنا، فقد نُسب للنبي عدد من الأحاديث تحط من شأن معاوية، ولا نعتقد إلا أنها موضوعة نتيجة للحرب السياسية التي كانت قائمة وقتئذٍ، والتي حاول أطرافها استخدام كل ما تحت أيديهم من ترسانات لاهوتية؛ يقال «إنّ رسول الله ﷺ دعا معاوية ليكتب بين يديه، فدافع بأمره واعتل بطعامه؟ فقال ﷺ: «لا أشبع الله بطنه». فبقي لا يشبع وهو يقول: والله ما أترك الطعام شبعاً، ولكن إعياء! ومنها أن رسول الله ﷺ قال: «يطلع من هذا الفج رجل من أمتي يحشر على غير ملتي»، فطلع معاوية. ومنها أن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه». ومنها الحديث المشهور المرفوع أنه ﷺ قال: «إن معاوية في تابوت من نار، في أسفل درك من جهنم، ينادي: يا حنان يا منان. فيقال له: الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين».

«ومنها أفتراؤه بالمحاربة لأفضل المسلمين في الإسلام مكاناً... علي بن أبي طالب... وقد قال [النبي] لعمار بن ياسر: «تقتلك الفئة الباغية»، «تدعوهم إلى الجنة ويدعونك إلى النار»[2] ـ ومعروف أن معاوية هو من قتل عمّار بن ياسر.

---

(1) المطهر بن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ، 330؛ أنظر: أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية، 557.
(2) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1613.

معاوية والنساء والخمر:

معروف أنّ معاوية تزوج من ميسون بنت بحدل الكلبيّة، التي أنجبت له ابنه يزيداً. يروي الدميري: «لما أتصلت ميسون بنت بحدل الكلبية أم يزيد بن معاوية بمعاوية، وكانت ذات جمال باهر، وحسن غامر، أعجب بها معاوية ﷺ، وهيأ لها قصراً مشرفاً على الغوطة، وزينه بأنواع الزخارف، ووضع فيه من أواني الفضة والذهب ما يضاهيه، ونقل إليه من الديباج الرومي الملون والموشى ما هو لائق به، ثم أسكنها، مع وصائف لها، كأمثال الحور العين... [لكن ميسون لم ترض باستبدال حياة البداوة بحياة المدينة وقالت في ذلك شعراً لا يخلو من نقد لمعاوية]، فلما دخل معاوية، عرفته الحظية بما قالت، وقيل: إنه سمعها، وهي تنشد ذلك، فقال: ما رضيت ابنة بحدل حتى جعلتني علجاً عنوفاً، هي طالق ثلاثاً، مروها فلتأخذ جميع ما في القصر، فهو لها ثم سيرها إلى أهلها بنجد. وكانت حاملا بيزيد فولدته بالبادية، وأرضعته سنتين ثم أخذه معاوية ﷺ منها بعد ذلك»[1].

يروى أيضاً: «حدثني حديج خصي لمعاوية، قال: اشترى لمعاوية جارية بيضاء جميلة، فأدخلها عليه مجردة وبيده قضيب، فجعل يهوي به إلى متاعها ويقول: هذا المتاع لو كان له متاع! اذهب بها إلى يزيد بن معاوية. ثم قال: لا، ادع لي ربيعة بن عمرو الجرشي وكان فقيهاً، فلما دخل عليه قال: إن هذه أتيت بها مجردة فرأيت متها ذلك وذلك، وإني أردت أن أبعث بها إلى يزيد. قال: لا تفعل يا أمير المؤمنين، فإنها لا تصلح له. قال: نعم ما رأيت. ثم قال: ادع لي عبد الله بن مسعدة الفزاري، فدعوته

---

(1) الدميري، حياة الحيوان الكبرى، 608.

ـ وكان آدم شديد الأدمة ـ فقال: دونك هذه بيّض بها ولدك. وهو عبد الله بن مسعدة بن حكمة بن بدر»[1].

ويروى أيضاً: «خلا معاوية بجاريةٍ له خراسانيّة، فما همَّ بها نظر إلى وصيفةٍ في الدّار، فترك الخراسانيّة وخلا بالوصيفة ثمّ خرج فقال للخراسانيّة: ما اسم الأسد بالفارسيّة؟ قال: كَفْتار، فخرج وهو يقول: ما الكفتار؟ فقيل له: الكفتار الضّبع، فقال: ما لها قاتلها الله، أدركتْ بثأرها والفُرْسُ إذا استقبحت وجه الإنسان قالت: رُوي كَفْتار، أي وجه الضبع»[2].

من المهم أن نلاحظ، من منظور موضوعي ـ حيادي، هو أنّ معاوية بن أبي سفيان، مقارنة بمن جاء بعده من خلفاء أمويين وعباسيين، ربما باستثناء عمر الثاني، كان الأقل تهتكاً وخلاعة في مسألة العلاقات النسائية؛ بل حتى في النصوص التي تحكي عن تماس له بالنساء فإنّ العنصر لجنسي الواضح مفتقد على نحو شبه دائم؛ وهذا مردّه، برأينا، أحد أسباب ثلاثة:

- إمّا أن معاوية كان ما يزال متأثراً بالجو البيوريتاني جنسياً للخلفاء الراشدين، فآثر أن يكون أكثر التزاماً في علاقاته الخاصة من غيره من الخلفاء.
- أو أنّه كان حريصاً على إبعاد حياته الخاصّة عن أعين الرواة والنقاد والعداء، مع ملاحظة أن هكذا مسألة كانت أقل من عادية في ذلك الزمن.

(1) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 852.
(2) الجاحظ، الحيوان، 591.

- أو أن الطعنة التي تلقاها في محاولة اغتياله الفاشلة التي قال له الطبيب بعدها إنه سيفقد قدرته على الإنجاب، كما ذكرت مراجع كثيرة، أفقدته قدرته الجنسية بالكامل؛ والدليل توقفه بعدها عن إنجاب الأطفال.

من النصوص النادرة التي تناقش علاقات معاوية النسائية، الرواية التالية: «حكى أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزيّ في كتابه المترجم بذم الهوى بسند رفعه إلى هشام بن عروة، قال: أذن معاوية بن أبي سفيان يوماً للناس، فكان فيمن دخل عليه فتى من بني عذرة. فلما أخذ الناس مجالسهم، قام الفتى العذريّ بين السماطين فأنشأ يقول:

مُعاوي، يا ذا الفضل والحلم والعقلِ		وذا البرّ والإحسان والجود والبذل!
أتيتك لمّا ضاق في الأرض مسكني		وأنكرت مما قد أُصبت به عقلي.

فقال معاوية: ادن بارك الله عليك! ما خطبك؟ فقال: أطال الله بقاء أمير المؤمنين! إنني رجل من بني عذرة، تزوجت ابنة عمّ لي. وكانت صرمةٌ من الإبل وشويهات فأنفقت ذلك عليها، فلما أصابتني نائبة لي الزمان وحادثات الدهر، رغب عني أبوها. وكانت جارية فيها الحياء والكرم، فكرهت مخالفة أبيها. فأتيت عاملك مروان بن الحكم مستصرخاً به راجياً لنصرته. فذكرت له قصتي، فأحضر أباها وسأله عن قضيتي. وكان قد بلغه جمالها، فدفع لأبيها عشرة آلاف درهم، وقال له: هذه لك، وزوّجني بها وأنا أضمن خلاصها من هذا الأعرابيّ! فرغب أبوها في البذل فصار الأمير لي خصماً وعليّ منكرا! فانتهرني وأمر بي إلى السجن وأرسل إليّ أن أطلقها فلم أفعل. فحبسني وضيق عليّ وعذبني بأنواع العذاب،

فلما أصابني مسُّ الحديد وألم العذاب ولم أجد بدّاً عن ذلك، طلقتها. فما استكملت عدّتها حتّى تزوج بها. فلما دخل بها أرسل إليّ فأطلقني. وقد أتيتك يا أمير المؤمنين مستجيراً بك، وأنت غياث المكروب، وسند المسلوب. فهل من فرج؟ وبكى

...فرقَّ له معاوية وكتب إلى ابن الحكم كتاباً غليظاً... ثم طوى الكتاب ودفعه إلى الكميت ونصر بن ذبيان وقال: اذهبا به إليه! فلما ورد كتاب معاوية على ابن الحكم وقرأه تنفس الصعداء، وقال: وددت أن أمير المؤمنين خلَّى بيني وبينها سنة ثم عرضني على السيف! وجعل يؤامر نفسه في طلاقها فلا يقدر. فلما أزعجه الوفد طلقها وأسلمها إليهما. فلما رآها الوفد على هذه الصورة العظيمة وما اشتملت عليه من الجمال المفرط، قالوا: لا تصلح هذه إلا لأمير المؤمنين! وكتب ابن الحكم كتاباً لأمير المؤمنين معاوية، ودفعه إليهما مع الجارية. فلما ورد الكتاب على معاوية وقرأه، قال: لقد أحسن في الطاعة، ولكن أطنب في ذكر الجارية! ولئن كانت أعطيت حسن النَّغمة مع هذا الوصف الحسن فهي أكمل البرية! فأمر بإحضارها، فلما مثلت بين يديه، استنطقها فإذا هي أحسن الناس كلاماً وأكملهم شكلاً ودلالاً. فقال: يا أعرابيّ، هذه سعدي! ولكن هل لك عنها من سلوة بأفضل الرغبة؟ قال نعم، إذا فرَّقت بين رأسي وجسدي! فقال: أعوّضك عنها يا أعرابيّ بثلاث جوارٍ ومع كل واحدة ألف دينار وأقسم لك من بيت المال ما يكفيك في كل سنة ويعينك على صحبتهنّ. فشهق شهقة ظن معاوية أنه مات. فقال له: ما بالك يا أعرابيّ؟ قال: أشرُّ بال وأسوأ حال، استجرت بعدلك من جور ابن الحكم، فعند من أستجير من جورك؟ قال: فغضب معاوية غضباً شديداً، ثم قال: يا

أعرابيّ، أنت مقرٌّ بأنك طلقتها! ومروان مقرٌّ بأنه طلقها، ونحن نخيرها فإن اختارتك أعدناها إليك بعقد جديد، وإن اختارت سواك زوّجناه بها. ثم التفت إليها أمير المؤمنين وقال: ما تقولين، يا سعدى؟ أيما أحبُّ إليك، أمير المؤمنين في عزه وشرفه وسلطانه وما تصيرين إليه عنده، أو مروان بن الحكم في عسفه وجوره، أو هذا الأعرابي في فقره وسوء حاله؟... قالت: والله يا أمير المؤمنين، ما أنا بخاذلته لحادثة الزمان ولا لغدرات الأيام! وإن لي معه صحبة لا تنسى ومحبة لا تبلى! والله إني لأحق من صبر معه الضراء كما تنعَّمت معه السرَّاء! فعجب كلُّ من كان حاضراً. فأمر له بها ثم أعادها له بعقد جديد، وأمر لهما بألف دينار»[1].

مقاطع نادرة تلك التي حكت عن دور الخمور في حياة معاوية، منها ما يقوله الراغب الأصبهاني: «كانت الخلفاء من بني أميّة لا يظهرون للندماء والمغنين، وكان بينهم وبين ندمائهم ستارة؛ وكان بنو العبّاس يظهرون ثم احتجبوا، ولم ير أبو جعفر قط يشرب إلا الماء، وكان المهدي في أوّل أمره يحتجب متشبهاً بمن قبله، ثم ظهر لهم؛ وقال: اللذة في مشاهدة السرور والدنو من الأحباب»[2].

«أمّا معاوية ومروان وعبد الملك والوليد وسليمان وهشام ومروان بن محمّد، فكان بينهم وبين الندماء ستارة. وكان لا يظهر أحد من الندماء على ما يفعله الخليفة، إذا طرب للمعنى والتذّه حتى ينقلب ويمشي ويحرّك كتفيه ويرقص ويتجرّد من ثيابه حيث لا يراه إلاّ خواص جواريه.

(1) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 173.
(2) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والخلفاء، أبو القاسم حسين بن محمد المعروف بالراغب الأصبهاني المتوفي عام 502 هـ 1: 331.

إلاّ أنه كان إذا ارتفع من خلف الستارة صوت أو نعير طرب أو رقص أو حركة بزفير تجاوز المقدار، قال لصاحب الستارة: حسبك يا جارية! كفى! انتهي! أقصري! يوهم الندماء أن الفاعل لذلك بعض الجواري.

أما الباقون من بني أميّة فلم يكونوا يتحاشون أن يرقصوا ويتجرّدوا عراة بحضرة الندماء والمغنين. وعلى ذلك، لم يكن أحد منهم في مثل حال يزيد بن عبد الملك والوليد بن يزيد في المجون والرفث بحضرة الندماء والتجرّد، لا يباليان ما صنعا»[1].

معاوية ووصيته وخلافة يزيد:

يروي خليفة في تاريخه: «سمعت أشياخاً من أهل المدينة يحدثون أن معاوية لما حضرته الوفاة دعا يزيداً؛ فقال له: إن لك من أهل المدينة يوماً، فإن فعلوها فارمهم بمسلم بن عقبة، فإنه رجل قد عرفنا نصيحته»[2]؛ وفي نص مشابه، نقرأ: «أن معاوية لما حضره الموت؛ قال ليزيد بن معاوية: قد وطأت لك البلاد وفرشت لك الناس ولست أخاف عليكم إلا أهل الحجاز، فإن رابك منهم ريب فوجه إليهم مسلم بن عقبة المري، فإني قد جربته غير مرة، فلم أجد مثلاً لطاعته ونصيحته»[3].

يروى أيضاً: «قال معاوية ليزيد: إذا دليتني في قبري فأدخل عمرو بن العاص القبر، ووله أن يسويني في قبري واخرج أنت من الحفرة عمراً

---

(1) الجاحظ، التاج، 32

(2) (تاريخ خليفة 238:1؛ راجع: البداية والنهاية 3048؛ أنساب الأشراف 697؛ العقد الفريد 638؛ تاريخ الطبري 359:3؛ سمط العوالي في أنباء الأوائل والتوالي 591.

(3) الحافظ الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، 1296؛ راجع أيضاً: ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانيّة، 43.

واسلل سيفك وأمر عمراً أن يبايع، فإن فعل وإلا دفنته قبلي؛ ففعل يزيد ما أمره به معاوية، فلما نظر عمرو إلى السيف بايعه، وقال: يا يزيد! هذا عمل صاحب الحفرة وما هو من كيسك»[1].

لعن معاوية:

هذا كلّه دفع بأحد خلفاء بني العبّاس إلى محاولة لعن معاوية على المنابر، أسوة بما فعله مؤسس الخلافة الأموية بعلي بن أبي طالب: «قال ابن جرير الطبري: وفيها [السنة] عزم المعتضد على لعن معاوية على المنابر، فخوفه عبيد الله الوزير اضطراب العامة. فلم يلتفت... واجتمع الناس يوم الجمعة بناء على أن الخطيب يقراه، فما قرأه، وكان من إنشاء الوزير عبيد الله، وفيه: «وقد انتهى إلى أمير المؤمنين ما عليه جماعة من العامة من شبهه قد دخلتهم في أديانهم، على غير معرفة ولا روية، خالفوا السنن، وقلدوا فيها أئمة الضلالة، ومالوا إلى الأهواء، وقد قال الله تعالى: «ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله» خروجاً عن الجماعة، ومسارعة إلى الفتنة، وإظهار لموالاة من قطع الله عنه الموالاة. وبتر منه العصمة، وأخرجه من الملة. قال الله تعالى: «والشجرة الملعونة في القرآن» وإنما أراد بني أمية الملعونين على لسان نبيه. وهو كانوا أشد عداوة من جميع الكفار. ولم يرفع الكفار راية يوم بدر وأحد والخندق إلا وأبو سفيان وأشياعه أصحابها وقادتها». ثم ذكر أحاديث واهية وموضوعة في ذم أبي سفيان وبني أمية، وحديث: «لا أشبع الله بطنه»، عن معاوية وأنه نازع علياً حقه، وقد قال عليه السلام لعمار: «تقتلك الفئة الباغية». وأن

(1) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، 341.

معاوية سفك الدماء، وسبى الحريم، وانتهب الأموال المحرمة، وقتل حجراً، وعمرو بن الحمق، وادعى زياد بن أبيه جرأة على الله، والله يقول: «أدعوهم لآبائهم» والنبي ﷺ يقول: «الولد للفراش». ثم دعى إلى بيعة ابنه يزيد، وقد علم فسقه، ففعل بالحسين وآله ما فعل؛ ويوم الحرة، وحرق البيت الحرام. وهو كتاب طويل فيه مصائب. فلما كتبه الوزير قال للقاضي يوسف بن يعقوب: كلم المعتضد فيه هذا. قال له: يا أمير المؤمنين، أخاف الفتنة عند سماعه. فقال: إن تحركت العامة وضعت السيف فيها. قال: فما نصنع بالعلويين الذين هم في كل ناحية قد خرجوا عليك؟ وإذا سمع الناس هذا من فضائل أهل البيت كانوا إليهم أميل وصاروا أبسط ألسنة. فأمسك المعتضد»[1].

مع ذلك، يبدو أن مسألة لعن معاوية أكثر قدماً من زمن المعتضد؛ نقرأ: «وتحدث الناس أن الكتاب الذي أمر المعتضد بإنشائه بلعن معاوية يقرأ بعد صلاة الجمعة على المنبر، فلما صلى الناس بادروا إلى المقصورة ليسمعوا قراءة الكتاب فلم يقرأ. فذكر أن المعتضد أمر بإخراج الكتاب الذي كان المأمون أمر بإنشائه بلعن معاوية، فأخرج له من الديوان، فأخذ من جوامعه نسخة هذا الكتاب، وذكر أنها نسخة الكتاب الذي أنشيء للمعتضد بالله»[2]. ورد في الكتاب بحسب الطبري: «قال الله عز وجل: «بسم الله الرحمن الرحيم» ومن أضل ممن أتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين «صدق الله العظيم» خروجاً عن الجماعة، ومسارعة إلى الفتنة وإيثاراً للفرقة، وتشتيتاً للكلمة وإظهاراً لموالاة من قطع الله عنه الموالاة،

(1) الذهبي، تاريخ الإسلام، 2161.
(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 2514.

وبتر منه العصمة، وأخرجه من الملة، وأوجب عليه اللعنة، وتعظيماً لمن صغر الله حقه، وأوهن أمره، وأضعف ركنه، من بني أمية الشجرة الملعونة، ومخالفة لمن استنقذهم الله به من الهلكة، وأسبغ عليهم به النعمة؛ من أهل بيت البركة والرحمة»[1]. «وأشدهم في ذلك عداوة وأعظمهم له مخالفة، وأوّلهم في كل حرب ومناصبة، لا يرفع على الإسلام راية إلا كان صاحبها وقائدها ورئيسها، في كل مواطن الحرب، من بدر وأحد والخندق والفتح أبو سفيان بن حرب وأشياعه من بني أمية، الملعونين في كتاب الله، ثم الملعونين على لسان رسول الله في عدة مواطن، وعدة مواضع، لماضى علم الله فيهم وفي أمرهم، ونفاقهم وكفر أحلامهم؛ فحارب مجاهداً، ودفع مكابداً، وأقام منابذاً حتى قهره السيف، وعلا أمر الله وهم كارهون؛ فتقول الإسلام غير منطو عليه، وأسر الكفر غير مقلع عنه، فعرفه بذلك رسول الله ﷺ والمسلمون، وميز لهم المؤلفة قلوبهم، فقبله وولده على علم منه؛ فمما لعنهم الله به على لسان نبيه ﷺ، وأنزل به كتاباً قوله: «بسم الله الرحمن الرحيم» والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً «صدق الله العظيم». ولا اختلاف بين أحد انه أراد بها بني أمية. ومنه قول الرسول عليه السلام وقد رآه مقبلاً على حمار ومعاوية يقود به ويزيد ابنه يسوق به: لعن الله القائد والراكب والسائق. ومنه ما يرويه الرواة من قوله: يا بني عبد مناف تلقفوها تلقف الكرة، فما هناك جنة ولا نار. وهذا كفر صراح يلحقه به اللعنة من الله كما لحقت «بسم الله الرحمن الرحيم» الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون «صدق الله العظيم». ومنه ما يروون من وقوفه على ثنية أحد بعد ذهاب

(1) السابق، 2515.

بصره، وقوله لقائده: ها هنا ذبينا محمداً وأصحابه... ومنه أن رسول الله ﷺ دعا بمعاوية ليكتب بأمره بين يديه، فدافع بأمره، واعتل بطعامه، فقال النبي: «لا أشبع الله بطنه»، فبقي لا يشبع، ويقول: والله ما أترك الطعام شبعاً؛ ولكن إعياء. ومنه أن رسول الله ﷺ قال: «يطلع من هذا الفج رجل من أمتي يحشر على غير ملتي»، فطلع معاوية. ومنه أن رسول الله ﷺ، قال: «إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه». ومنه الحديث المرفوع المشهور أنه قال: «إن معاوية في تابوت من نار في أسفل درك منها ينادي: يا حنان يا منان، الآن وقد عصيت قبل وكنت كن المفسدين. ومنه انبراؤه بالمحاربة لأفضل المسلمين في الإسلام مكاناً، وأقدمهم إليه سبقا، وأحسنهم فيه أثراً وذكراً؛ علي بن أبي طالب، ينازعه حقه بباطله، ويجاهد أنصاره بضلاله وغواته، ويحاوّل ما لم يزل هو أبوه يحاوّلانه، من إطفاء نور الله وجحود دينه، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون. يستهوى أهل الغباوة، ويمون على أهل الجهالة بمكره وبغيه، الذين قدم رسول الله ﷺ الخبر عنهما، فقال لعمار: «تقتلك الفئة الباغية تدعوهم إلى الجنة ويدعونك إلى النار»، مؤثراً للعاجلة، كافراً بالآجلة، خارجاً من ربقة الإسلام، مستحلاً للدم الحرام، حتى سفك في فتنته، وعلى سبيل ضلالته ما لا يحصى عدده من خيار المسلمين الذابين عن دين الله والناصرين لحقه، مجاهداً لله، مجتهداً في أن يعصي الله فلا يطاع، وتبطل أحكامه فلا تقام، ويخالف دينه فلا يدان»[1]. «ثم أوجب الله له به اللعنة، قتل من قتل صبراً من خيار الصحابة والتابعين وأهل الفضل والديانة؛ مثل عمرو بن الحمق وحجر بن عدي، فيمن قتل من أمثالهم، في أن تكون له العزة والملك والغلبة، ولله العزة والملك والقدرة، والله عز وجل يقول:

---

(1) السابق، ص 2516.

«بسم الله الرحمن الرحيم» ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً «صدق الله العظيم». ومما استحق به اللعنة من الله ورسوله ادعاؤه زياد بن سمية، جرأه على الله؛ والله يقول: «بسم الله الرحمن الرحيم» ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله «صدق الله العظيم». ورسول الله ﷺ، يقول: «ملعون من ادعى إلى غير أبيه، أو انتمى إلى غير مواليه»، ويقول: «الولد للفراش وللعاهر الحجر»، فخالف حكم الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ جهاراً، وجعل الولد لغير الفراش، والعاهر لا يضره عهره، فأدخل بهذه الدعوة من محارم الله ومحارم رسوله في أم حبيبة زوجة النبي ﷺ وفي غيرها من سفور وجوه ما قد حرمه الله، وأثبت بها قربي قد باعدها الله، وأباح بها ما قد حظره الله، مما لم يدخل على الإسلام خلل مثله، ولم ينل الدين تبديل شبهه. ومنه إيثاره بدين الله، ودعاؤه عباد الله إلى ابنه يزيد المتكبر الخمير، صاحب الديوك والفهود والقرود، وأخذه البيعة له على خيار المسلمين بالقهر والسطوة والتوعيد والإخافة والتهدد والرهبة، وهو يعلم سفهه ويطلع على خبثه ورهقه، ويعاين سكرانه وفجوره وكفره»[1].

«اللهم إلعن أبا سفيان بن حرب، ومعاوية ابنه، ويزيد بن معاوية، ومروان بن الحكم وولده؛ اللهم إلعن أئمة الكفر، وقادة الضلالة، وأعداء الدين، ومجاهدي الرسول، ومغيري الأحكام، ومبدلي الكتاب وسفاكي الدم الحرام.

اللهم إنا نتبرأ إليك من موالاة أعدائك، ومن الإغماض لأهل معصيتك»[2].

---

(1) السابق، 2517.

(2) السابق، 2518.

الفصل الثاني:
بسر بن أرطأة

من هو بسر بن أرطاة، مكانته من معاوية، وماذا فعل؟

«بُسْر بن أرْطأة (00 ـ 86هـ، 00 ـ 705م) (أو ابن أبي أرطأة[1]) العامري

---

(1) بسر بن أرطاة أو بن أرطاة قال ابن حبان من قال ابن أبي أرطاة فقد وهم. واسم أبي أرطاة عمير بن عويمر بن عمران بن الحليس بن سيار بن نزار بن معيص بن عامر بن لؤي القرشي العامري يكنى أبا عبد الرحمن. مختلف في صحبته فقال أهل الشام: سمع من النبي ﷺ وهو صغير. وفي سنن أبي داود بإسناد مصري قوي عن جنادة بن أبي أمية قال كنا مع بسر بن أبي أرطاة في البحر فأتى بسارق فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لا تقطع الأيدي في «السفر». وروى ابن حبان في صحيحه من طريق أيوب بن ميسرة بن حليس سمعت بسر بن أبي أرطاة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها الحديث. وأما الواقدي فقال: ولد قبل النبي ﷺ بسنتين. وقال يحيى بن معين: مات النبي ﷺ وهو صغير. وقال الدارقطني: له صحبة. وقال ابن يونس: كان من أصحاب رسول الله ﷺ شهد فتح مصر واختط بها وكان من شيعة معاوية وكان معاوية وجهه إلى اليمن والحجاز في أول سنة أربعين وأمره أن ينظر من كان في طاعة علي فيوقع بهم ففعل ذلك. وقد ولي البحر لمعاوية ووسوس في آخر أيامه. قال ابن السكن: مات وهو خرف. وقال ابن حبان: كان يلي لمعاوية الأعمال وكان إذا دعا ربما استجيب له وله أخبار شهيرة في الفتن لا ينبغي التشاغل بها وقيل: مات أيام معاوية قاله ابن السكن وقيل: بقي إلى خلافة عبد الملك بن مروان وهو قول خليفة وبه جزم ابن حبان وقيل: مات في خلافة الوليد سنة ست وثمانين حكاه المسعودي. (ابن حجر العسقلاني، الإصابة في معرفة الصحابة، 98).

القرشي، أبو عبد الرحمن: قائد فتاك من الجبارين. ولد بمكة قبل الهجرة وأسلم صغيراً، وروى عن النبي ﷺ حديثين «في مسند أحمد» ثم كان من رجال معاوية بن أبي سفيان[1]؛ وشهد فتح مصر؛ ووجهه معاوية سنة 39هـ في ثلاثة آلاف إلى المدينة فأخضعها. وإلى مكة فاحتلها، وإلى اليمن فدخلها؛ وكان معاوية قد أمره بأن يوقع بمن يراه من أصحاب عليّ، فقتل منهم جمعاً. وعاد إلى الشام، فولاه معاوية على البصرة سنة41هـ بعد مقتل عليّ وصلح الحسن، فمكث يسيراً وعاد إلى الشام؛ فولاه البحر، فغزا الروم سنة 50 هـ فبلغ القسطنطينية. وأصيب بعد ذلك في عقله، فلم يزل معاوية مقرباً له، مدنياً منزلته، وهو على تلك الحال، إلى أن مات،

(1) من النصوص التي تحكي عن مكانة بسر عند معاوية، نقرأ: بسر بن أبي أرطاة القرشي أبو عبد الرحمن كان يلي لمعاوية الأعمال ويعمل فيها بالعجائب مات في ولاية عبد الملك بن مروان. (ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، 18)؛ ودعا معاوية يزيد بن أسد، وبسر بن أرطأة، وعمرو بن سفيان، ومخارق بن الحارث الزبيدي، وحمزة بن مالك، وحابس بن سعد الطائي ـ وهؤلاء رؤوس قحطان واليمن، وكانوا ثقات معاوية وخاصته وبني عم شرحبيل بن السمط ـ فأمرهم أن يلقوه ويخبروه أن علياً قتل عثمان. (ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 127)؛ معاوية... جعل على ساقته بسر بن أرطأة العامري. (ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 297)؛ وأما معاوية... وعلى رجالة أهل دمشق بسر بن أبي أرطأة العامري. (ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 350)؛ كتب معاوية إلى شرحبيل يسأله القدوم عليه وهيأ له رجالاً يخبرونه أن علياً قتل عثمان، منهم يزيد بن أسد البجلي وبسر بن أرطأه وأبو الأعور السلمي. (ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 3757)؛ قال نصر: وحدثنا عمر بن سعد، قال: عقد معاوية يوماً من أيام صفين الرياسة على اليمن من قريش، قصد بذلك إكرامهم ورفع منازلهم منهم عبيد الله بن عمر بن الخطاب، ومحمد وعتبة ابنا أبي سفيان، وبسر بن أبي أرطاة، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وذلك في الوقعات الأولى من صفين، فغم ذلك أهل اليمن، وأرادوا ألا يتأمر عليهم أحد إلا منهم.(ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة 818).

في دمشق، وقيل في المدسنة، عن نحو تسعين عاماً»[1] «فولد عويمر بن عمران: أرطاة، واسمه عمير[2]؛ وعويمراً، أمهما: عاتكة بنت وهبان بن جابر بن وهب بن ضباب. فولد أبو أرطاة بن عويمر بن عمران بن الحليس بن سيار بن نزار بن معيص بن عامر: بسر بن أبي أرطاة، وبسر الذي قتل ابني عبد الله بن عباس باليمن، وكان معاوية بن أبي سفيان وجهه يتبع شيعة علي بن أبي طالب»[3].

في نص آخر نقرأ: «بسر بن أبي أرطاة ـ عمير ـ بن عويم بن عمران بن نزار ـ ويقال: بسر بن أرطاة ـ أبو عبد الرحمن العامري، القرشي: نزيل دمشق، روى عن النبي ﷺ، وقال الواقدي، وأحمد، وابن معين إنه لم يسمع منه[4]، لأنه ﷺ توفي وهو صغير، قال الواقدي: كان ابن سنتين... قال ابن يونس: كان صحابياً، شهد فتح مصر، وله بها دار وحمام، وكان من شيعة معاوية، وولي الحجاز واليمن، ففعل أفعالاً قبيحة، ووسوس

(1) الزركلي، الأعلام، 183

(2) بسر بن أبي أرطاة واسم أبي أرطاة عمير وله صحبة القرشي الشامي ويكنى أبا عبد الرحمن روى عنه جنادة بن أبي أمية وأيوب بن ميسرة بن حلبس الجبلاني سمعت أبي يقول ذلك. حدثنا عبد الرحمن سمعت أبا زرعة يقول سمعت بكار بن عبد الله الدمشقي من ولد بسر بن أبي أرطاة يقول اسم أبي أرطاة عمير وكنيته بسر أبو عبد الرحمن وهو من قريش من بني عامر بن لؤي. حدثنا عبد الرحمن قال قرئ على العباس بن محمد الدوري قال سمعت يحيى بن معين قال بسر بن أبي أرطاة رجل سوء.(أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الحنظلي التميمي، الجرح والتعديل، 259).

(3) مصعب الزبيري، نسب قريش، 145.

(4) بسر بن أبي أرطاة. له صحبة فيما قيل. وقيل: لا، وأورده ابن عدي في الكامل. وقال الواقدي: قبض النبي ﷺ وبسر صغير لم يسمع منه. وقال ابن معين: كان رجل سوء، أهل المدينة ينكرون أن يكون له صحبة. (الذهبي، ميزان الاعتدال، 106).

في آخر أيامه، وقال غيره، كان أميراً سرياً، بطلاً شجاعاً فاتكاً، خرج إلى اليمن في ألف فارس يطلب بدم عثمان، ساق ابن عساكر في تاريخه أخباره، وكان قد سكن الشام، ويروى عن الشعبي: أنه هدم بالمدينة دوراً كثيراً، وصعد المنبر وصاح: يا دينار، يا زريق، شيخ شمخ، عهدته هنا بالأمس ما فعل؟ ـ يعني: عثمان ـ بأهل المدينة، لولا عهد أمير المؤمنين ما تركت بها أحداً إلا قتلته، ثم مضى إلى اليمن، وكان إذا دعا ربما يجاب، مات في إمارة عبد الملك بن مروان بالمدينة، وقيل بالشام، وهو أيضاً في التهذيب، لرواية أبي داود، والترمذي، والنسائي له حديث واحد، وفي الإصابة وغيرهما»[1].

نجد ذكراً له ضمن قوات خالد بن الوليد التي أرسلها أبو بكر إلى الشام: «فوجه أبو بكر خالد بن الوليد أميراً على الأمراء الذين بالشأم، ضمهم إليه؛ فشخص خالد من الحيرة في ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة في ثمانمائة ـ ويقال في خمسمائة ـ واستخلف على عمله المثنى بن حارثة، فلقيه عدو بصندوداء، فظفر بهم، وخلف بها ابن حرام الأنصار؛ ولقى جمعاً بالمصيخ والحصيد، عليهم ربيعة بن بجير التغلبي، فهزمهم وسبى وغنم، وسار ففوز من قراقر إلى سوى؛ فأغار على أهل سوى؛ واكتسح أموالهم، وقتل حرقوص ابن النعمان البهراني، ثم أتى أرك فصالحوه، وأتى تدمر فتحصنوا، ثم صالحوه؛ ثم أتى القريتين، فقاتلهم فظفر بهم وغنم، وأتى حوارين؛ فقاتلهم فهزمهم وقتل وسبى، وأتى قصم فصالحه بنو مشجعة من قضاعة، وأتى مرج راهط، فأغار على غسان في يوم فصحهم فقتل وسبى، ووجه بسر بن أبي أرطاة وحبيب بن

(1) السخاوي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، 142.

مسلمة إلى الغوطة، فأتوا كنيسة فسبوا الرجال والنساء، وساقوا العيال إلى خالد»[1].

عن حياته نقرأ أيضاً: «قال الواقدي: ولد قبل وفاة النبي ﷺ بسنتين، وقال يحيى بن معين، وأحمد بن حنبل وغيرهما: قبض رسول الله ﷺ وهو صغير، وقال أهل الشام: سمع من رسول الله ﷺ وهو أحد من بعثه عمر بن الخطاب[2] مدداً لعمرو بن العاص لفتح مصر، على اختلاف فيه أيضاً فمن ذكره فيهم قال: كانوا أربعة: الزبير، وعمير بن وهب، وخارجة بن حذافة، وبسر بن أرطاة[3]، والأكثر يقولون: الزبير والمقداد، وعمير،

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 710.

(2) «بسر ـ بضم الباء الموحدة وسكون السين المهملة وبعدها راء ـ ابن أرطأة ابن أبي أرطأة عمير. وقيل عويمر القرشي العامري، أبو عبد الرحمن؛ يقال إنه لم يسمع من النبي ﷺ لأنه قبض وهو صغير، هذا قول الواقدي وابن معين وأحمد وغيرهم، وقالوا: خرف في آخر عمره. وهو أحد الذين بعثهم عمر بن الخطاب مدداً إلى عمرو بن العاص لفتح مصر، على اختلاف فيه. قيل كانوا أربعة: الزبير وعمير بن وهب وخارجة بن حذافة وبسر بن أرطأة، والأكثرون على أنهم: الزبير والمقداد وعمير وخارجة. ولبسر بن أرطأة حديثان، أحدهما لا تقطع الأيدي في المغازي والثاني: أن رسول الله ﷺ، كان يقول: اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة. وكان ابن معين يقول: لا تصح له صحبة؛ وكان يقول فيه: رجل سوء. (الصفدي، الوافي بالوفيات، 1372).

(3) وكان بسر من الأبطال الطغاة، وشهد مع معاوية صفين. وهو أحد الذين بعثهم عمر بن الخطاب مددا إلى عمرو بن العاصي لفتح مصر على اختلاف في ذلك. فمن ذكره فيهم فقال: كانوا أربعة: الزبير وعمير بن وهب وخارجة بن حذافة وبسر بن أرطأة. ومنهم من يجعل بدل بسر المقداد، وعليه أكثر الرواة، وهو أول بالصَّواب إن شاء الله. ولم يتخلفوا أن المقداد شهد فتح مصر. وكان بسر سفاكا للدماء، جريئا على المحظور. قال أبو الحسن الدارقطنيُّ: بسر بن أرطأة له صحبة، ولم تكن له استقامة بعد النبي ﷺ. وكان يحى بن... يقول: لا تصح له صحبة. وكان يقول فيه: رجل سوء. (البري، الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، 202).

وخارجة. قال أبو عمر: وهو أولى بالصواب، قال: ولهم يختلفوا أن المقداد شهد فتح مصر. عن جنادة بن أبي أمية قال: كنا مع بسر بن أبي أرطاة في البحر، فأتى بسارق يقال له: مصدر، قد سرق، فقال: سمعت[1] رسول الله ﷺ يقول: «لا تقطع الأيدي في السفر». وشهد صفين مع معاوية، وكان شديداً على علي[2] وأصحابه»[3].

اتفق كثيرون أن ليس له صحبة: «توفي أبو مسلم الخولاني بأرض الروم في حملة بسر في خلافة معاوية. فقال لبسر بن أرطأة ـ وكان رجل سوء ويزعم كثير من أهل الشام له صحبة وهو باطل»[4].

وقيل عنه أيضاً: «مختلف في صحبته. روى عن: النبي ﷺ حديثين أحدهما: «لا تقطع الأيدي في الغزو». [روى له أبو داود حديثاً واحداً عن جنادة بن أبي أمية عن بسر بن أرطاة عن النبي ﷺ: «لا تقطع الأيدي في السفر»[5].] والآخر «اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا ومن عذاب الآخرة».

---

(1) لا يعقل منطقياً أن يكون حفظ أحاديث عن النبي وهو في الثانية من العمر كما قال الواقدي.
(2) وكان علي عليه السلام يقنت في صلاة الفجر وفي صلاة المغرب، ويلعن معاوية، وعمراً، والمغيرة، والوليد ابن عقبة، وأبا الأعور، والضحاك بن قيس؛ وبسر بن أرطأة، وحبيب بن مسلمة، وأبا موسى الأشعري، ومروان بن الحكم، وكان هؤلاء يقنتون عليه ويلعنونه. (ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 370)؛ ولما قنت علي عليه السلام على خمسة ولعنهم وهم: معاوية، وعمرو بن العاص، وأبو الأعور السلمي، وحبيب بن مسلمة، وبسر بن أرطاة، قنت معاوية على خمسة، وهم: علي، والحسن، والحسين ـ عليهم السلام ـ وعبد الله بن العباس، والأشتر، ولعنهم. (ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1587).
(3) ابن الأثير، المؤرخ، أسد الغابة، 112.
(4) الفسوي، المعرفة والتاريخ، 292.
(5) المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، 3663.

قال أبو القاسم: سكن دمشق وشهد صفين مع معاوية وكان على رجالة أهل دمشق وداره بدرب الشعارين؛ وولاه معاوية اليمن وكانت له بها آثار غير محمودة وقيل: إنه خرف قبل موته. وذكره محمد بن سعد في الطبقة الخامسة قال: وأمه بنت الأبرص بن الحليس بن سيار؛ قال: فولد بسر الوليد لأم ولد. قال محمد بن عمر: قبض رسول الله ﷺ وبسر صغير ولم يسمع من رسول الله ﷺ شيئاً في روايتنا؛ قال: وفي غير رواية محمد بن عمر: أنه سمع من النبي ﷺ وأدركه وروى عنه.

وقال أبو سعيد بن يونس: بسر بن أبي أرطاة يكنى أبا عبد الرحمن من أصحاب رسول الله ﷺ شهد فتح مصر واختط بها وكان من شيعة معاوية بن أبي سفيان وشهد مع معاوية صفين وكان معاوية وجهه إلى اليمن والحجاز في أول سنة أربعين وأمره أن يتقرى من كان في طاعة علي فيوقع بهم ففعل بمكة والمدينة واليمن أفعالاً قبيحة. وقد ولي البحر لمعاوية وكان قد وسوس في آخر أيامه فكان إذا لقي إنساناً قال: أين شيخي؟ أين عثمان؟ ويسيل سيفه فلما رأوا ذلك جعلوا له في جفنه سيفاً من خشب وكان إذا ضرب به لم يضر. حدث عنه أهل مصر. وأهل الشام. وتوفي بالشام في آخر أيام معاوية وله عقب ببغداد والشام. وقال الدارقطني: له صحبة ولم تكن له استقامة بعد النبي ﷺ. وقال أبو أحمد بن عدي: مشكوك في صحبته النبي ﷺ ولا أعرف له إلا هذين الحديثين وأسانيده من أسانيد الشام ومصر لا أرى بإسناديه هذين بأساً.»[1]

«عن يزيد بن أبي يزيد عن بسر بن أبي أرطاة، أنه كان يدعو: اللّهم

(1) المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، 303

أحسن عاقبتنا في الأمور كلها أجرنا من خزي الدنيا ومن عذاب الآخرة؛ فقيل له: يا أبا عبد الرحمن ما تزال تردّد هذه الدّعوات! فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يدعو بهن، فلن أدعهنّ حتى أموت. وروى عن يونس بن حلبس، بسنده عن أبي حوالة، قال: قال النّبيّ ﷺ: «عليك بالشام»[1].

«روى عن النبي ﷺ حديثين. روي عن بسر بن أرطاة: أنه كان يدعو كلما ارتحل: اللهم إنا نستعينك على أمرنا كله، فأحسن عونك، ونسألك خير المحيا وخير الممات. فقال له عبيدة المليكي: أمن النبي ﷺ سمعتها؟ قال بسر: نعم، كان النبي ﷺ يدعو بها. وكان بسر كلما ارتحل يقول: إنا مرتحلون وربنا محمود»[2].

«قال الحافظ: هذا إسنادٌ غريب، ومتنٌ غير محفوظ، والمحفوظ عن بسر بن أرطاة، أنه سمع النبي ﷺ يدعو: «اللهم أحسن عاقبتي في الأمور كلها، وأجرني من خزي الدنيا وعذاب الآخرة».

وعن جنادة بن أبي أمية: أنه قال على المنبر برودس حين جلد الرجلين اللذين سرقا غنائم الناس فقال: إنه لم يمنعني من قطعهما إلا أن بسر بن أبي أرطاة وجد رجلاً سرق في الغزو يقال له مصدر، فجلده ولم يقطع يده وقال: نهانا رسول الله ﷺ عن القطع في الغزو.

وحدث بسر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا تقطع الأيدي في الغزو»[3].

يُقال بالمقابل إن «يزيد بن أبي يزيد مولى بسر بن أبي أرطاة؛ حدث عن

---

(1) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 472.
(2) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 675.
(3) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 676.

بسر، عن النبي ﷺ: أنه كان يدعو: اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة»[1].

حول حربه في صفين بجانب معاوية، يقال: «وشهد صفين مع معاوية من الصحابة: عمرو بن العاص السهمي، وابنه عبد الله، وفضالة بن عبيد الأنصاري، ومسلمة بن مخلد، والنعمان بن بشير، ومعاوية بن حديج الكندي، وأبو غادية الجهني قاتل عمار، وحبيب ابن مسلمة الفهري، وأبو الأعور السلمي، وبسر بن أرطأة العامري»[2].

«وقال الكلبي: لم يمت حتى جن فكان يأخذ قضيباً، ويضرب به الوسادة توضع له بين يديه، وكان يسكن الشام وقد كان من غزاة أرض المغرب مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وله هناك ذكر ومواضع تنسب إليه، وروي عنه أنه كان يقول إذا رأى الموالي: قاتلكم الله غلب الرقاب، ألسن العرب وأحلام فارس!»[3].

«قال ابن عساكر سكن دمشق وشهد صفين مع معاوية، وكان على الرجالة ولاه معاوية اليمن وكانت له بها آثار غير محمودة... وقال ابن يونس: بسر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شهد فتح مصر واختط بها وكان من شيعة معاوية وكان معاوية وجهه إلى اليمن والحجاز في أول سنة وأمره أن يتقرى من كان في طاعة علي[4] فيوقع بهم

---

(1) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 3757.

(2) الذهبي، تاريخ الإسلام، 467

(3) البلاذري، أنساب الأشراف، 1462

(4) وصلت الحرب اللاهوتية بين علي ومعاوية إلى درجة أن مرجعاً موسوعياً يخبرنا أنّ عليّاً «له من الصحابة جماعة يشهدون له بذلك فقد كان قادراً على أن يقطع عصمة

ففعل بمكة والمدينة واليمن أفعالاً قبيحة وقد ولي البحر لمعاوية وكان قد وسوس في آخر أيامه؛ وقال البخاري في التاريخ الصغير: بعث معاوية بسر بن أرطاة سنة «39». فقدم المدينة فبايع ثم انطلق إلى مكة واليمن فقتل عبد الرحمن وقثم ابني عبيد الله بن عباس؛ وقال الدوري عن ابن معين: أهل المدينة ينكرون أن يكون بسر سمع من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل الشام يروون عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ قال وسمعت يحيى يقول: كان بسر بن أرطأة رجل سوء وقال خليفة: مات في ولاية عبد الملك بن مروان وقد خرف»[1].

بسر في المدينة:

«ووجه معاوية بسر بن أبي أرطأة، وقيل ابن أرطأة العامري، من بني عامر ابن لؤي، في ثلاثة آلاف رجل[2]، فقال له: سر حتى تمر بالمدينة،

أم حبيبة، ويبيح نكاحها الرجال عقوبة لها ولمعاوية أخيها، فإنها كانت تبغض علياً كما يبغضه أخوها، ولو فعل ذلك لانتهس لحمه، وهذا قول الإمامية، وقد رووا عن رجالهم أنه ﷺ تهدد عائشة بضرب من ذلك، وأما نحن فلا نصدق هذا الخبر، ونفسر كلامه على معنى آخر، وهو أنه قد كان معه من الصحابة قوم كثيرون سمعوا من رسول الله ﷺ يلعن معاوية بعد إسلامه، ويقول: إنه منافق كافر، وإنه من أهل النار، والأخبار في ذلك مشهورة... فيقول لعمرو بن العاص وحبيب بن مسلمة وبسر بن أبي أرطأة وأبي الأعور وأمثالهم: ارووا أنتم عن النبي ﷺ أن علياً ﷺ منافق من أهل النار، ثم يحمل ذلك إلى أهل العراق، فلهذا السبب أبقى عليه». (ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1896).

(1) ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، 145

(2) أن معاوية بن أبي سفيان بعث بسر بن أرطاة، أحد بني عامر بن لؤي، بعد تحكيم الحكمين، وعلي بن أبي طالب ﷺ يومئذ حي، وبعث معه جيشاً، ووجه برجل من غامد ضم إليه جيشاً آخر. ووجه الضحاك بن قيس الفهري في جيش آخر، وأمرهم أن يسيروا في البلاد، فيقتلوا كل من وجدوه من شيعة علي بن أبي طالب ﷺ وأصحابه،

فاطرد أهلها، وأخف من مررت به، وأنهب مال كل من أصبت له مالا ممن لم يكن دخل في طاعتنا، وأوهم أهل المدينة[1] أنك تريد أنفسهم، وأنه لا براءة لهم عندك، ولا عذر، وسر حتى تدخل مكة، ولا تعرض فيها لأحد،

وأن يغيروا على سائر أعماله، ويقتلوا أصحابه، ولا يكفو أيديهم عن النساء والصبيان. فمضى بسر لذلك على وجهه، حتى انتهى إلى المدينة، فقتل بها ناساً من أصحاب علي عليه السلام، وأهل هواه، وهدم بها دوراً من دور القوم.(أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، 1835)؛ وقد كان معاوية في سنة أربعين بعث بُسْرَ بن أرطاة في ثلاث آلاف حتى قَدِم المدينة وعليها أبو أيوب الأنصاري فتنحَّى، وجاء بُسْر حتى صعد المنبر وتهدَّد أهل المدينة بالقتل، فأجابوه إلى بيعة معاوية، مروج الذهب المسعودي،الصفحة: 357 ؛ قال وكان معاوية بعث بسر بم أرطاة، أحد بني عامر بن لوئي بعد تحكيم الحكمين، ووجه رجلا من عامر، وضم إليه جيشا آخر، ووجه الضحاك بن قيس بجيش ثالث، وأمرهم أن يسيروا في البلاد، فيقتلوا كل من وجدوا من شيعة علي وأصحابه، فمضوا على وجوههم يشنون الغارات، ولا يكفون أيديهم عن النساء والصبيان، فانتهى بسر إلى المدينة.(ابن سعد الخير، القرط على الكامل، 194).

(1) ولأبن زبالة عن سعيد بن المسيب أن رسول الله ﷺ أشرف على المدينة فرفع يديه حتى رؤى عفرة إبطه، ثم قال: اللهمّ من أرادني وأهل بلدي بسوء فعجل هلاكه؛ وفي الأوسط للطبراني برجال الصحيح حديث: اللهمّ من ظلم أهل المدينة وأخافهم فأخفه وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل! وفي رواية لغيره: من أخاف أهل المدينة أخافه الله يوم القيامة وغضب عليه ولم يقبل منه صرفاً ولا عدلاً؛ وللنسائي: من أخاف أهل المدينة ظالماً لهم أخافه الله وكانت عليه لعنة الله! ولأبن حبان نحوه. ولا حمد برجال الصحيح عن جابر أنّ أميراً من أمراء الفتنة قدم المدينة وكان قد ذهب بصر جابر، فقيل لجابر: لو تنحيت عنه؟ فخرج يمشي بين ابنيه فنكب فقال: تعس من أخاف رسول الله ﷺ! فقال أبناه أو أحدهما: يا أبت وكيف أخاف رسول الله؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أخاف أهل المدينة فقد أخاف ما بين جنبي؛ قلت: ولعل هذا الأمير بسر بن أرطاة كما رواه أبن عبد البر من إرسال معاوية ﷺ له إلى المدينة في جيش بعد تحكيم الحكمين وإنه أرسل إلى بني سلمة: ما لكم عندي أمان ولا بيعة حتى تأتون بجابر، وروى أن أهل المدينة فرّوا يومئذ حتى دخلوا حرّة بني سليم.(السمهودي، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، 12).

وأرهب الناس فيما بين مكة والمدينة، واجعلهم شرادات، ثم امض حتى تأتي صنعاء، فإن لنا بها شيعة، وقد جاءني كتابهم، فخرج بسر، فجعل لا يمر بحي من أحياء العرب إلا فعل ما أمره معاوية، حتى قدم المدينة، وعليها أبو أيوب الأنصاري، فتنحى عن المدينة، ودخل بسر، فصعد المنبر ثم قال: يا أهل المدينة! مثل السوء لكم، قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان، فكفرت بأنعم الله، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون، ألا وإن الله قد أوقع بكم هذا المثل وجعلكم أهله، شاهت الوجوه، ثم ما زال يشتمهم حتى نزل. قال: فانطلق جابر بن عبد الله الأنصاري إلى أم سلمة زوج النبي، فقال: إني قد خشيت أن أقتل، وهذه بيعة ضلال، قالت: إذا فبايع، فإن التقية حملت أصحاب الكهف على أن كانوا يلبسون الصلب ويحضرون الأعياد مع قومهم، وهدم بسر دوراً بالمدينة»[1].

حول الأسباب المباشرة لحملة بسر على الحجاز واليمن، نقرأ: «كان عبيد الله بن العباس[2] بن عبد المطلب ـ عامل علي على اليمن ـ أشتد

(1) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 186

(2) كان رسول الله ﷺ يصف عبد الله وعبيد الله، وكثيراً بني العباس، ثم يقول: من سبق إلي فله كذا. فيستبقون إليه، فيقعون على ظهره وصدره، فيقبلهم ويلزمهم». وكان عظيم الكرم والجود، يضرب به المثل في السخاء. واستعمله علي بن أبي طالب على اليمن، وأمّره على الموسم، فحج بالناس سنة ست وثلاثين، وسنة سبع وثلاثين. فلما كان سنة ثمان وثلاثين بعثه علي على الموسم، وبعث معاوية «يزيد بن شجرة الرهاوي» ليقيم الحج، فاجتمعا فاصطلحا على أن يصلي بالناس «شيبة بن عثمان». وقيل: كان هذا مع قثم بن العباس. ولم يزل على اليمن حتى قتل علي، ﷺ، لكنه فارق اليمن لما سار «بسر بن أرطاة» إلى اليمن لقتل شيعة علي. فلما رجع بسر إلى الشام عاد «عبيد الله» إلى اليمن، وفي هذه الدفعة قتل «بسر» ولدي «عبيد الله». (ابن الأثير

على أهل صنعاء فيما يجب عليهم، وطرد قوماً من شيعة عثمان عنها، وكان سعيد بن نمران الهمداني على الجند، فصنع مثل ذلك، فتجمعت العثمانية وادعت أن الأمر قد أفضى إلى معاوية واجتمع الناس عليه، فكتبا بذلك إلى علي فوجه إليهما جبر بن نوف أبا الوداك بكتاب ينسبهما فيه إلى العجز والوهن، فأرجف عبيد الله وسعيد بن نمران بأن يزيد بن قيس الأرحبي قد فصل من عند علي في جيش عظيم يريدهم، وسألا أبا الوداك أن يحدث بذلك ويشيعه ففعل فكتبوا إلى معاوية:

معاوي إلا تسرع السير نحونا نبايع علياً أو يزيد اليمانيا
وإن كان فيما عندنا لك حاجة فأرسل أميراً لا يكن متوانيا»[1]

ردّ علي بكتاب يقول: «من عبد الله علي أمير المؤمنين، إلى من شاق وغدر من أهل الجند وصنعاء. أما بعد، فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، الذي لا يعقب له حكم، ولا يرد له قضاء، ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين.

وقد بلغني تجرؤكم وشقاقكم وإعراضكم عن دينكم، بعد الطاعة وإعطاء البيعة، فسألت أهل الدين الخالص، والورع الصادق، واللب الراجح، عن بدء محرككم، وما نويتم به، وما أحمشكم له؛ فحدثت عن ذلك بما لم أر لكم في شيء منه عذراً مبيناً، ولا مقالاً جميلاً، ولا حجة ظاهرة، فإذا أتاكم رسولي فتفرقوا وانصرفوا إلى رحالكم أعف عنكم، وأصفح عن جاهلكم، وأحفظ قاصيكم، وأعمل فيكم بحكم الكتاب،

المؤرخ، أسد الغابة، 726)؛ وفيها توفي عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب بالمدينة. وله صحبة. ورواية. وكان أحد الأجواد. (الذهبي، العبر في خبر من غبر، 11).

(1) البلاذري، أنساب الأشراف، 365.

فإن لم تفعلوا، فاستعدوا لقدوم جيشٍ جم الفرسان، عظيم الأركان، يقصد لمن طغى وعصى، فتطحنوا كطحن الرحا، فمن أحسن فلنفسه، ومن أساء فعليها، وما ربك بظلام للعبيد.

ووجه الكتاب مع رجل من همدان، فقدم عليهم بالكتاب فلم يجيبوه إلى خير، فقال لهم: إني تركت أمير المؤمنين يريد أن يوجه إليكم يزيد بن قيس الأرحبي في جيش كثيف، فلم يمنعه إلا انتظار جوابكم، فقالوا: نحن سامعون مطيعون، إن عزل عنا هذين الرجلين: عبيد الله وسعيداً، فرجع الهمداني من عندهم إلى علي عليه السلام فأخبره خبر القوم.

قالوا: وكتبت تلك العصابة حين جاءها كتاب علي عليه السلام إلى معاوية يخبرونه، وكتبوا في كتابهم:

معاوي ألا أسرع السير نحونا نبايع علياً أو يزيد اليمانيا

فلما قدم كتابهم، دعا بسر بن أبي أرطأة ـ وكان قاسي القلب فظاً سفاكاً للدماء، لا رأفة عنده ولا رحمة ـ فأمره أن يأخذ طريق الحجاز والمدينة ومكة حتى ينتهي إلى اليمن، وقال له: لا تنزل على بلد أهله على طاعة علي، إلا بسطت عليهم لسانك؛ حتى يروا أنهم لا نجاء لهم، وأنك محيط بهم. ثم أكفف عنهم، وادعهم إلى البيعة لي، فمن أبى فاقتله، واقتل شيعة علي حيث كانوا»[1].

وحول أسباب تلك الحملة نقرأ أيضاً: «فأما خبر بسر بن أرطأة العامري... وبعث معاوية له ليغير على أعمال أمير المؤمنين عليه السلام، وما عمله من سفك الدماء وأخذ الأموال فقد ذكر أرباب أن الذي هاج معاوية

(1) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 101.

على تسيير بسر بن أرطأة ـ ويقال ابن أبي أرطأة ـ إلى الحجاز واليمن، أن قوماً بصنعاء كانوا من شيعة عثمان، يعظمون قتله، لم يكن لهم نظام ولا رأس، فبايعوا لعلي عليه السلام على ما في أنفسهم؛ وعامل علي عليه السلام على صنعاء يومئذ عبيد الله بن عباس وعامله على الجند سعيد بن نمران»[1].

تقول الجماعة التي جاءت إلى معاوية: «فخرجنا من عنده ونحن نعرف الفضل فيما ذكر، فجلسنا ناحيةً، وبعث معاوية عند خروجنا من عنده إلى بسر بن أبي أرطأة، فبعثه في ثلاثة آلاف[2]، وقال: سر حتى تمر بالمدينة، فاطرد الناس، وأخف من مررت به، وانهب أموال كل من أصبت له مالاً؛ ممن لم يكن دخل في طاعتنا؛ فإذا دخلت المدينة، فأرهم أنك تريد أنفسهم، وأخبرهم أنه لا براءة لهم عندك ولا عذر، حتى إذا ظنوا أنك موقع بهمم فاكفف عنهم، ثم سر حتى تدخل مكة، ولا تعرض فيها لأحد، وأرهب الناس عنك فيما بين المدينة ومكة، واجعلها شرداً، حتى تأتي صنعاء والجند، فإن لنا بهما شيعة، وقد جاءني كتابهم.

فخرج بسر[3] في ذلك البعث، حتى أتى دير مروان، فعرضهم فسقط

---

(1) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 100.

(2) ثم دخلت سنة أربعين: ذكر ما كان فيها من الأحداث؛ فما كان فيها من ذلك توجيه معاوية بسر بن أبي أرطاة في ثلاثة آلاف من المقاتلة إلى الحجاز.(الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1144).

(3) وكان معاوية يبعث الغارات فيقتلون من كان في طاعة علي، ومن أعان على قتل عثمان؛ فبعث بسر بن أرطاة العامري إلى المدينة واليمن ومكة يستعرض الناس، فقتل باليمن عبد الرحمن وقثماً ابني عبيد الله بن عباس. (ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 3330)؛ وقال البخاري في التاريخ الصغير: حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد عن زياد عن بن إسحاق قال: بعث معاوية بسر بن أبي أرطاة سنة تسع وثلاثين فقدم المدينة فبايع ثم انطلق إلى مكة واليمن فقتل عبد الرحمن وقثم ابني عبيد الله بن عباس. (المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، 304).

منهم أربعمائة، فمضى في ألفين وستمائة، فقال الوليد بن عقبة: أشرنا على معاوية برأينا أن يسير إلى الكوفة، فبعث الجيش إلى المدينة، فمثلنا ومثله، كما قال الأول: أريها السها وتريني القمر.

فبلغ ذلك معاوية، فغضب وقال: والله لقد هممت بمساءة هذا الأحمق الذي لا يحسن التدبير، ولا يدري سياسة الأمور. ثم كف عنه.

قلت: الوليد كان لشدة بغضه علياً عليه السلام القديم التالد، لا يرى الأناة في حربه، ولا يستصلح الغارات على أطراف بلاده، ولا يشفي غيظه ولا يبرد حزازات قلبه، إلا باستئصاله نفسه بالجيوش، وتسييرها إلى دار ملكه، وسرير خلافته، وهي الكوفة، وأن يكون معاوية بنفسه هو الذي يسير بالجيوش إليه، ليكون ذلك أبلغ في هلاك علي عليه السلام، واجتثاث أصل سلطانه. ومعاوية كان يرى غير هذا الرأي، ويعلم أن السير بالجيش للقاء علي عليه السلام خطر عظيم؛ فاقتضت المصلحة عنده وما يغلب على ظنه من حسن التدبير، أن يثبت بمركزه بالشام في جمهور جيشه، ويسرب الغارات على أعمال علي عليه السلام وبلاده، فتجوس خلال الديار وتضعفها؛ فإذا أضعفتها بيضة ملك علي عليه السلام؛ لأن ضعف الأطراف يوجب ضعف البيضة، وإذا أضعفت البيضة كان على بلوغ إرادته، والمسير حينئذ ـ إن استصوب المسير ـ أقدر.

ولا يلام الوليد على ما في نفسه؛ فإن علياً عليه السلام قتل أباه عقبة بن أبي معيط صبراً يوم بدر وسمي الفاسق بعد ذلك في القرآن، لنزاع وقع بينه وبينه، ثم جلده الحد في خلافة عثمان، وعزله عن الكوفة، وكان عاملها. وببعض هذا عند العرب أرباب الدين والتقى تستحل المحارم، وتستباح الدماء، ولا تبقى مراقبة في شفاء الغيظ لدين ولا لعقاب ولا لثواب،

فكيف الوليد المشتمل على الفسوق والفجور، مجاهراً بذلك! وكان المؤلفة قلوبهم، مطعوناً في نسبه، مرمياً بالإلحاد والزندقة.

[ثم] أن بسراً لما أسقط من أسقط من جيشه، سار بمن تخلف معه، وكانوا إذا وردوا ماء أخذوا إبل أهل ذلك الماء فركبوها، وقادوا خيولهم حتى يردوا الماء الآخر، فيردون تلك الإبل، ويركبون إبل هؤلاء، فلم يزل يصنع ذلك حتى قرب إلى المدينة.

قال: وقد روى أن قضاعة استقبلتهم؛ ينحرون لهم الجزر، حتى دخلوا المدينة قال: فدخلوها، وعامل علي عليها أبو أيوب الأنصاري، صاحب منزل رسول الله ﷺ، فخرج عنها هارباً، ودخل بسر المدينة، فخطب الناس وشتمهم وتهددهم يومئذ وتوعدهم، وقال: شاهت الوجوه! إن الله تعالى قال: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا...﴾ الآية، وقد أوقع الله تعالى ذلك المثل بكم وجعلكم أهله؛ كان بلدكم مهاجر النبي صلى الله عليه ومنزله، وفيه قبره ومنازل الخلفاء من بعده؛ فلم تشكروا نعمة ربكم، ولم ترعوا حق نبيكم، وقتل خليفة الله بين أظهركم، فكنتم بين قاتلٍ وخاذل، ومتربص وشامت، إن كانت للمؤمنين، قلتم: ألم نكن معكم! وإن كان للكافرين نصيب، قلتم: ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين! ثم شتم الأنصار، فقال: يا معشر اليهود وأبناء العبيد: بني زريق، وبني النجار، وبني سليمة، وبني عبد الأشهل، أما والله لأوقعن بكم وقعة تشفي غليل صدور المؤمنين وآل عثمان؛ أما والله لأدعنكم أحاديث كالأمم السالفة»[1].

ويضيف نص آخر: «فتهددهم حتى خاف الناس أن يوقع بهم، ففزعوا

(1) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 102.

إلى حويطب بن عبد العزى - ويقال إنه زوج أمه - فصعد إليه المنبر، فناشده، وقال: عترتك وأنصار رسول الله، وليسوا بقتلة عثمان؛ فلم يزل به حتى سكن، ودعا الناس إلى بيعة معاوية فبايعوه. ونزل فأحرق دوراً كثيرة، منها دار زرارة بن حرون، أحد بني عمرو بن عوف، ودار رفاعة بن رافع الزرقي، ودار أبي أيوب الأنصاري. وتفقد جابر بن عبد الله، فقال: ما لي لا أرى جابراً يا بني سلمة! لا أمان لكم عندي، أو تأتوني بجابر؛ فعاذ جابر بأم سلمة ﵂، فأرسلت إلى بسر بن أرطأة، فقال: لا أؤمنه حتى يبايع، فقالت له أم سلمة: اذهب فبايع، وقالت لابنها عمر: اذهب فبايع، فذهبا فبايعاه.

عن وهب بن كيسان، قال: سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: لما خفت بسراً وتواريت عنه، قال لقومي: لا أمان لكم عندي حتى يحضر جابر، فأتوني وقالوا: ننشدك الله لما انطلقت معنا فبايعت، فحقنت دمك ودماء قومك، فإنك إن لم تفعل قتلت مقاتلينا، وسبيت ذرارينا. فاستنظرتهم الليل، فلمّا أمسيت دخلت على أم سلمة فأخبرتها الخبر، فقالت: يا بني، انطلق فبايع، احقن دمك ودماء قومك؛ فإني قد أمرت ابن أخي أن يذهب فيبايع، وإني لأعلم أنها بيعة ضلالة.

قال إبراهيم: فأقام بسر بالمدينة أياماً ثم قال لهم: إني قد عفوت عنكم، وإن لم تكونوا لذلك بأهل؛ ما قوم قتل إمامهم بين ظهرانيهم بأهلٍ أن يكف عنهم العذاب؛ ولئن نالكم العفو مني في الدنيا؛ إني لأرجو ألّا تنالكم رحمة الله عز وجل في الآخرة، وقد استخلفت عليكم أبا هريرة، فإياكم وخلافه. ثم خرج إلى مكة.

وروى الوليد بن هشام، قال: أقبل بسر، فدخل المدينة، فصعد منبر

الرسول ﷺ ثم قال: يا أهل المدينة، خضبتم لحاكم، وقتلتم عثمان مخضوباً، والله لا أدع في المسجد مخضوباً إلا قتلته، ثم قال لأصحابه: خذوا بأبواب المسجد ـ وهو يريد أن يستعرضهم ـ فقام إليه عبد الله بن الزبير وأبو قيس أحد بني عامر بن لؤي، فطلبا إليه حتى كف عنهم. وخرج إلى مكة، فلما قرب منها هرب قثم بن العباس ـ وكان عامل علي عليه السلام ـ ودخلها بسر، فشتم أهل مكة وأنبهم. ثم خرج عنها، واستعمل عليها شيبة بن عثمان»[1].

نص مشابه يقول: «عن الشعبي أن معاوية بن أبي سفيان أرسل بسر بن أبي أرطاة القرشي ثم العامري في جيش من الشام، فسار حتى قدم المدينة وعليها يومئذ أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري صاحب النبي ﷺ فهرب منه أبو أيوب إلى علي بالكوفة، فصعد بسر منبر المدينة[2] ولم يقاتله بها أحد، فجعل ينادي: يا دينار! يا رزيق! يا نجار! شيخ سمح عهدته هاهنا بالأمس ـ يعني عثمان رضي الله تعالى عنه ـ وجعل يقول: يا أهل المدينة والله لولا ما عهد إلي أمير المؤمنين ما تركت بها محتلماً إلا قتلته. وبايع أهل المدينة لمعاوية وأرسل إلى بني سلمة فقال: لا والله ما لكم عندي من

(1) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 103.

(2) ودخل بسر المدينة؛ قال: فصعد منبرها ولم يقاتله بها أحد، فنادى على المنبر: يا دينار، ويا نجار، ويا زريق، شيخي شيخي! عهدي به بالأمس، فأين هو! يعني عثمان، ثم قال: يا أهل المدينة، والله لولا ما عهد إلي معاوية ما تركت بها محتلماً إلا قتلته. ثم بايع أهل المدينة، وأرسل إلى بني سلمة، فقال: والله ما لكم عندي من أمان ولا مبايعة حتى تأتوني بجابر بن عبد الله، فانطلق جابر إلى أم سلمة زوج النبي ﷺ فقال لها: ماذا تريدين؟ إني قد خشيت أن أقتل، وهذه بيعة ضلالة، قالت: أرى أن تبايع، فإني قد أمرت ابني عمر بن أبي سلمة أن يبايع، وأمرت ختني عبد الله بن زمعة ـ وكانت ابنتها زينب ابنة أبي سلمة عند عبد الله بن زمعة ـ فأتاه جابرٌ فبايعه، وهدم بسر دوراً بالمدينة. (الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1145).

أمان ولا مبايعة حتى تأتوني بجابر بن عبد الله صاحب النبي ﷺ فخرج جابر بن عبد الله حتى دخل على أم سلمة خفياً فقال لها: يا أمه إني قد خشيت على ديني وهذه بيعة ضلالة فقالت له: أرى أن يبايع فقد أمرت ابني عمر بن أبي سلمة أن يبايع؛ فخرج جابر بن عبد الله فبايع بسر بن أبي أرطاة لمعاوية وهدم بسر دوراً كثيرة بالمدينة»[1].

حول بيعة جابر، نقرأ أيضاً: «وعن جابر بن عبد الله قال: لما قدم بسر بن أرطاة المدينة أخذ الناس بالبيعة، قال: فجاءت بنو سلمة وتغيب جابر فقال: لا أبايعكم حتى يجيء جابر، قال: فانطلق جابر إلى أم سلمة فسألها، فقالت: هذه بيعة لا أرضاها، إذهب فبايع تحقن بها دمك»[2].

ويقول نص غيره: «عن عطاء بن أبي مروان، قال: أقام بسر بن أبي أرطاة بالمدينة شهراً يستعرض الناس، ليس أحدٌ ممن يقال هذا أعان على عثمان إلا قتله. وقال عطاء بن أبي مروان: أخبرني حنظلة بن علي الأسلمي، قال: وجد قوماً من بني كعب وغلمانهم على بئرٍ لهم فألقاهم في البئر»[3].

في نص نقرأ معلومة غير دقيقة، سنعرف لاحقاً أن مسرح حدثها كان اليمن لا المدينة: «وسار بسر حتى أتى المدينة، فقتل ابني عبيد الله بن العباس، وفر أهل المدينة ودخلوا الحرة حرة بني سليم»[4].

---

(1) المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، 305؛ النص ذاته حرفياً تقريباً في ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 677؛ راجع أيضاً: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، 50؛ البري، الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، 203؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، 49.

(2) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 750؛ أنظر: المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، 305.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1161.

(4) أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، 487.

وفي نص أن معاوية قال لبسر: «يا بسر إن مصر قد فتحت فعز ولينا وذل عدونا، فسر على اسم الله، فمر بالمدينة فأخف أهلها وأذعرهم وهول عليهم حتى يروا أنك قاتلهم، ثم كف عنهم وصر إلى مكة فلا تعرض فيها لأحد، ثم امض إلى صنعاء فإن لنا بها شيعة فانصرهم واستعن بهم على عمال علي وأصحابه فقد أتاني كتابهم، واقتل كل من كان في طاعة علي إذا امتنع من بيعتنا، وخذ ما وجدت لهم من مال.

فلما دخل بسر المدينة أخاف أهلها وقال: إن بلدكم كان مهاجر نبيكم ومحل أزواجه والخلفاء الراشدين بعده، فكفرتم نعمة الله عليكم ولم تحفظوا حق أئمتكم حتى قتل عثمان بينكم، فكنتم بين خاذل له ومعين عليه، ولم يزل يرهبهم حتى ظنوا أنه موقع بهم، ثم دعا الناس إلى بيعة معاوية فبايعه قوم وهرب منه قوم فهدم منازلهم. وكان عامل علي على المدينة يومئذ أبا أيوب خالد بن زيد الأنصاري فتوارى فأمر بسر أبا هريرة أن يصلي بالناس»[1].

ويقال: «بعث معاوية بسر بن أبي أرطاة... في ثلاثة آلاف، فسار حتى قدم المدينة، وبها أبو أيوب الأنصاري عامل علي عليها، فهرب أبو أيوب فأتى علياً بالكوفة، ودخل بسر إلى المدينة ولم يقاتله أحد، فصعد منبرها فنادى عليه: يا دينار يا نجار يا زريق![2] وهذه بطون من الأنصار، شيخي! شيخي! عهدته ها هنا بالأمس فأين هو؟ يعني عثمان. ثم قال: والله لولا

(1) البلاذري، أنساب الأشراف، 366.

(2) ودخل بسر المدينة ولم يقاتله أحد، فصعد منبرها فنادى على المنبر: يا دينار، ويا نجار، ويا رزيق شيخي شيخي عهدي به ها هنا بالأمس فأين هو؟ ـ يعني: عثمان بن عفان. (ابن كثير، البداية والنهاية، 2867؛ أنظر أيضاً: ابن كثير، البداية والنهاية،: 2868؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 2378، 2393، 2394.

ما عهد إلي معاوية ما تركت بها محتلماً إلا قتلته. فأرسل إلى بني سلمة فقال: والله ما لكم عندي أمان حتى تأتوني بجابر بن عبد الله! فانطلق جابر إلى أم سلمة زوج النبي، ﷺ، فقال لها: ماذا ترين؟ إن هذه بيعة ضلالة وقد خشيت أن أقتل. قالت: أرى أن تبايع فإني قد أمرت ابني عمر وختني ابن زمعة أن يبايعا، وكانت ابنتها زينب تحت ابن زمعة، فأتاه جابر فبايعه. وهدم بالمدينة دوراً ثم سار إلى مكة»[1].

«عن عمرو بن دينار، قال: بعث معاوية بسر بن أرطاة إلى المدينة وأمره أن يستشير رجلاً من بني أسد واسمه الأسود بن فلان فلما دخل المسجد سد الأبواب وأراد قتلهم حتى نهاه ذلك الرجل؛ وكان معاوية قد أمره أن ينتهي إلى أمره... وكان الناس قد اصطلحوا عليه أيام علي ومعاوية رضي الله عنهما»[2].

يقول أحد المراجع: «لما وجه معاوية بن أبي سفيان بسر بن أرطاة الفهري لقتل شيعة علي، قام إليه معن أو عمرو بن يزيد بن الأخنس السلمي وزياد بن الأشهب الجعدي فقالا: «يا أمير المؤمنين نسألك بالله والرحم ألا تجعل لبسرٍ على قيس سلطاناً، فيقتل قيساً بما قتلت بنو سليم من بني فهر وكنانة يوم دخل رسول الله ﷺ مكة». فقال له معاوية: يا بسر، لا أمر لك على قيس. فسار حتى أتى المدينة فقتل ابني عبيد الله بن عباس، وفر أهل المدينة ودخلوا الحرة: حرة بني سليم»[3].

---

(1) ابن الأثير المؤرخ، الكامل في التاريخ، 600؛ أنظر: ابن الجوزي، المنتظم، 628.

(2) ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، 29؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 1256؛ أنظر أيضاً: ابن حجر العسقلاني، الإصابة في معرفة الصحابة، 22؛ ابن الأثير المؤرخ، أسد الغابة، 51.

(3) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 2395؛ راجع أيضاً: البري، الجوهرة في نسب

ممن هدم بسر داره في المدينة زرارة بن جرول: «جرول ويقال جرو بن مالك بن عمرو بن عويمر بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري. ذكره ابن الكلبي وأن بسر بن أبي أرطاة هدم دار ولده زرارة بن جرول بالمدنية لما غزاها من قبل معاوية في أواخر خلافة علي ﷺ لأنه كان ممن أعان على عثمان ﷺ»[1].

ممن قتل بسر نذكر: «عمرو بن عميس بن مسعود: كان من عمال علي فقتله بسر بن أرطاة لما أرسله معاوية للغارة على عمال علي فقتل كثيراً من عماله من أهل الحجاز واليمن؛ ذكره المفيد بن النعمان الرافضي في كتابه مناقب علي وقصة بسر في الأصل مشهورة عند غيره»[2].

من القصص التي حفظتها لنا المراجع حول ممارسات بسر في المدينة، ما قيل: «قدمت المدينة فأتيت منزل زينب بنت فاطمة بنت عليٍّ لأسلم عليها، فدخلت عليها الدار، فإذا عندها جماعةٌ عظيمة، وإذا هي جالسة مسفرة، وإذا امرأةٌ ليست بالجليلة، ولم تطعن في السن؛ فاحتملتني الحمية والغضب لها فقلت: سبحان الله! قدرك قدرك، وموضعك موضعك وأنت تجلسين للناس كما أرى مسفرة؟! فقالت: إن لي قصة، قال: قلت: وما تلك القصة؟ قالت: لما كان أيام الحرة، وفد أهل الشام المدينة، وفعلوا فيها ما فعلوا، وكان لي يومئذ ابنٌ قد ناهز الاحتلام.

النبي وأصحابه العشرة، 203؛ أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، 1835؛ أنظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، 49؛ البري، الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، 48.

(1) ابن حجر العسقلاني، الإصابة في معرفة الصحابة، 155؛ راجع: الزركلي، الأعلام، 621؛ ابن دريد، الاشتقاق، 137؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، 139؛ السخاوي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، 240.

(2) ابن حجر العسقلاني، الإصابة في معرفة الصحابة، 801.

قالت: فلم أشعر به يوماً وأنا جالسةٌ في منزلي إلا وهو يسعى وبسر بن أرطاة يسعى خلفه حتى دخل علي فألقى نفسه علي وهو يبكي، يكاد البكاء أن يفلق كبده، فقال لي بسر: ادفعيه إليّ: فأنا خيرٌ له.

قالت: فقلت له: اذهب مع عمك، قالت: فقال: لا والله لا أذهب معه يا أمة، هو والله قاتلي.

قالت فقلت: أترى عمك يقتلك!؟ لا، اذهب معه.

قالت فقال: لا والله يا أمة لا أذهب معه هو والله قاتلي.

قالت: وهو يبكي يكاد البكاء أن يفلق كبده، قالت: فلم أزل أرفق به وأسكته حتى سكن.

قالت: ثم قال لي بسر: ادفعيه إليّ فأنا خير له؛ قال فقلت: اذهب مع عمك، قالت: فقام فذهب معه، قالت: فلما خرج من باب الدار قال للغلام: امش بين يدي، قالت: وإذا بسرٌ قد اشتمل على السيف فيما بينه وبين ثيابه؛ فلما ظهر إلى السكة، رفع بسرٌ ثيابه وشهر السيف عليه من خلفه ثم علاه به، فلم يزل يضربه حتى برد.

قالت: فجاءتني الصيحة: أدركي ابنك قد قطع.

قالت: فقمت أتعثر في ثيابي، ما معي عقلي.

قالت: فإذا جماعةٌ قد أطافوا به، وإذا هو قتيل قد قطع، قالت: فألقيت نفسي عليه، وأمرت به يحمل.

قالت: فجعلت على نفسي من يومئذ لله أن لا أستتر من أحد، لأن بسراً هو أول من هتك ستري وأخرجني للناس، فالله حسيبه»[1].

---

(1) ابن منظور، *مختصر تاريخ دمشق*، 678.

امرأة أخرى تذكرها النصوص؛ قيل: «استأذنت سودة بنت عمارة بن الأسك الهمدانية على معاوية بن أبي سفيان فأذن لها فلما دخلت عليه قالت: إنك أصبحت للناس سيداً ولأمرهم متقلداً والله سائلك من أمرنا وما افترض عليك من حقنا؛ ولا يزال يقدم علينا من ينوء بعزك ويبطش بسلطانك فيحصدنا حصد السنبل ويدوسنا دوس البقر ويوسمنا الخسيسة ويسلبنا الجليلة ـ هذا بسر بن أرطاة قدم علينا من قبلك فقتل رجالي وأخذ مالي؛ يقول لي فوهى بما استعصم الله منه وألجأ إليه فيه ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة فأما عزلته عنا فشكرناك وأما لا فعرفناك؛ فقال لها معاوية لقد لمظكم ابن أبي طالب الجرأة على السلطان فبطيأ ما تفطمون، ثم قال: اكتبوا لها برد مالها والعدل عليها! قالت: إليّ خاص أم لقومي عام؟ قال: ما أنت وقومك؟ قالت: هي والله أذن الفحشاء واللوم إن لم يكن عدلاً شاملاً وإلاّ فأنا كسائر قومي؛ قال: اكتبوا لها ولقومها»[1].

بسر في مكّة واليمن:

«ثم انطلق حتى أتى مكة وبها أبو موسى الأشعري، فخافه أبو موسى على نفسه أن يقتله، فهرب فقيل ذلك لبسر؛ فقال: ما كنت لأقتله وقد خلع علياً ولم يطلبه. وكتب أبو موسى إلى اليمن إن خيلاً مبعوثة من عند معاوية تقتل الناس من أبى أن يقر بالحكومة. ثم مضى بسر إلى اليمن وعامل اليمن لعلي ﷺ عبيد الله بن العباس[2]، فلما بلغه أمر بسر فر إلى الكوفة

---

(1) ابن طيفور، بلاغات النساء، 14؛ أنظر أيضاً: ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 140؛ الصحاري، الأنساب، 137.

(2) فوجه معاوية بسر بن أرطاة فتنحى عبيد الله وأقام بسر. فبعث علي جارية بن قدامة فهرب بسر ورجع عبيد الله. (خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، 47)؛ فكان يبعث

حتى أتى علياً[1] واستخلف على اليمن عبد الله بن عبد المدان الحارثي[2]،

الغارات فيقتلون من كان في طاعة علي أو من أعان على قتل عثمان وبعث بسر بن أبي أرطاة إلى الحجاز واليمن يستعرض الناس فقتل باليمن عبد الرحمن وقثماً ولدي عبيد الله بن عباس ثم استشهد علي في رمضان سنة أربعين.(الذهبي، سير أعلام النبلاء، 294)؛ وبعث معاوية بسر ابن أبي أرطاة على اليمن، فهرب عبيد الله منه فأصاب له ولدين صغيرين فذبحهما ثم وفد بعد معاوية وقد هلك بسر فذكرهما لمعاوية، فقال: ما عزلته إلا لقتلهما. وكان عبيد الله ينحر كل يوم جزوراً.(الصفدي، الوافي بالوفيات، 2810).

(1) عن أبي وداك، قال: كنت عند علي عليه السلام لما قدم عليه سعيد بن نمران الكوفة، فعتب عليه وعلى عبيد الله ألا يكونا قاتلا بسراً، فقال سعيد: قد والله قاتلت، ولكن ابن عباس خذلني وأبى أن يقاتل، ولقد خلوت به حين دنا منا بسر، فقلت: إن ابن عمك لا يرضى مني ومنك بدون الجد في قتالهم، قال: لا والله ما لنا بهم طاقة ولا يدان، فقمت في الناس، فحمدت الله ثم قلت: يا أهل اليمن، من كان في طاعتنا وعلى بيعة أمير المؤمنين عليه السلام فإلي إلي فأجابني منهم عصابة، فاستقدمت بهم، فقاتلت قتالاً ضعيفاً، وتفرق الناس عني وانصرفت. (ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 105).

(2) عبد الله بن عبد المدان، واسم عبد المدان عمرو بن الديان، واسم الديان يزيد بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن جلد الحارثي. وفد على النبي ﷺ، قاله الطبري، فقال له رسول الله ﷺ: «ما اسمك»؟ قال: عبد الحجر. فقال: «أنت عبد الله». قتله بسر بن أبي أرطاة لما سيّره معاوية إلى الحجاز، واليمن ليقتل شيعة علي، وكان عبيد الله بن العباس أميراً لعلي على اليمن، وهو زوج ابنة عبد الله، فقتله. أخرجه أبو عمر.(ابن الأثير المؤرخ، أسد الغابة، 635)؛ عبد الله بن عبد المدان: واسمه عمرو بن الديان واسمه يزيد بن قطن بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث الحارثي. قال ابن حبان: له صحبة وقال ابن سعد والطبري: وفد على النبي ﷺ. وقال ابن الكلبي: كان اسمه عبد الحجر فغيره النبي ﷺ. وذكر وثيمة أنه قام في قومه بعد النبي ﷺ فنهاهم عن الردة ويقال: إنه عاش إلى خلافة علي فقتله بسر بن أبي أرطاة لما غزا اليمن من قبل معاوية. وذكره المرزباني وقال: كان هو وابنه مالك بن عبد الله صديقين لعبد الله بن جعفر وكان عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب لما صاهر عبد الله على ابنته واستعانه على اليمن لما أمره علي عليها ولما بلغه مسير بسر بن أبي أرطاة من قبل معاوية إلى اليمن خرج عنها عبيد الله واستخلف صهره هذا فقدم بسر فقتل عبد الله وابنه مالكا وولدي

فأتى بسر فقتله وقتل ابنه، ولقي ثقل عبيد الله بن العباس وفيه ابنان صغيران لعبيد الله بن العباس فقتلهما ورجع إلى الشام»[1].

يفصّل نصّ آخر بالقول: «فيه ابنان صغيران لعبيد الله بن العباس[2] فقتلهما، وهما عبد الرحمن وقثم. وقيل: إنهما كانا عند رجل من بني

عبد الله ابن العباس ابن أخت مالك فلما بلغ ذلك عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال يرثيهم من أبيات... وكذا ذكر ابن الكلبي أن بسرا قتل مالكا وأباه عبد الله. عبد الله بن عبد المدان: أخو الذي قبله وكان الأكبر. (ابن حجر العسقلاني، الإصابة في معرفة الصحابة، 648)؛ مالك بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي تقدم ذكر والده وانه كان اسمه عبد الحجر فغيره النبي صلى الله عليه وآله وسلم واما ابنه فذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتاب النواشر انه كان في الجاهلية منازع عمرو بن معد يكرب وذكر أيضا أن بسر بن أبي أرطاة قتله لما بعثه معاوية إلى اليمن ليتسمع شيعة على وقتل ابني عبيد الله بن العباس وغيرهم والقصة مشهورة وهرب عبد الرحمن بن مالك هذا من بسر إلى البصرة فأقام بها وتزوج فاطمة بنت أبي صفرة أخت المهلب في قصة طويلة. (ابن حجر العسقلاني، الإصابة في معرفة الصحابة، 1041)؛ فمن رجالهم: الربيع بن عُبيد الله بن عبد الله بن عبد المَدَان، قتله بُسرُ ابن أبي أرطاةَ لَمّا بعثه معاويةُ إلى اليَمن؛ وله حديث. (ابن دريد، الاشتقاق، 125)؛ عبد الله بن عبد المدان الحارثي: صحابي من سادات العرب في اليمن. ولاه علي بن ابي طالب على الديار اليمنية، فأغار عليه بسر بن ابي ارطأة، زاحفاً من الشام بجيش معاوية، وقاتله، فقتل عَبْد الله الذَبِيح (81ق هـ - 53ق هـ 544 - 571م) (الزركلي، الأعلام، 547).

(1) ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، 50.

(2) وكان عبيد الله كريماً جميلاً وسيماً يشبه أباه في الجمال، روينا أن رسول الله ﷺ كان يصف عبد الله وعبيد الله وكثيراً صفاً ويقول: (من سبق إليّ فله كذا) فيستبقون إليه فيقعون على ظهره وصدره فيقبلهم ويلتزمهم. وقد استنابه علي بن أبي طالب في أيام خلافته على اليمن. وحج بالناس سنة ست وثلاثين وسنة سبع وثلاثين، فلما كان سنة ثمان وثلاثين اختلف هو ويزيد بن سمرة الرهاوي الذي قدم على الحج من جهة معاوية. ثم اصطلحا على شيبة بن عثمان الحجبي، فأقام للناس الحج عامئذ، ثم لما صارت الشوكة لمعاوية تسلط على عبيد الله بسر بن أبي أرطأة فقتل له ولدين، وجرت أمور باليمن قد ذكرنا بعضها.(ابن كثير، البداية والنهاية، 2960).

كنانة[1] بالبادية، فلما أرادا قتلهما قال له الكناني: «لم تقتل هذين ولا ذنب لهما؟ فإن كنت قاتلهما فاقتلني معهما!»، فقتله، وقتلهما بعده.

وقيل: إن الكناني أخذ سيفه وقاتل على الغلامين... فقاتل حتى قتل وأخذ بسر الغلامين فذبحهما[2]، فخرج نسوة من بني كنانة، فقالت امرأة منهن: «ما هذا؟ قتلت الرجال فعلام تقتل الولدان؟ والله ما كانوا يقتلون في جاهلية ولا إسلام! والله إن سلطاناً لا يقوم إلا بقتل الضرع الصغير والشيخ الكبير وبرفع الرحمة وعقوق الأرحام لسلطان سوء!» فقال لها بسر: والله لقد هممت أن أضع فيكن السيف. فقالت له: تالله إنها لأخت التي صنعت وما أنا لها منك بآمنة! ثم قالت للنساء التي حولها: ويحكن! تفرقن!.

وقتل بسر في مسيره جماعةً من شيعة علي باليمن.

وبلغ علياً الخبر، فأرسل جارية بن قدامة[3] في ألفين، ووهب ابن

(1) «أنه وجد ابني عبيد الله بن عباس عند رجل من بني كنانة من أهل البادية، فلما أراد قتلهما قال الكناني: علام تقتل هذين ولا ذنب لهما! فإن كنت قاتلهما فاقتلني، قال: أفعل؛ فبدأ بالكناني فقتله، ثم قتلهما ثم رجع بسر إلى الشأم. وقد قيل: إن الكناني قاتل عن الطفلين حتى قتل».(الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1145).

(2) فعثر بولديه المذكورين فذبحهما بشفرة كانت معه. (زينب فواز، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، 37).

(3) جارية بن قدامة، التميمي السعدي، أبو أيوب، ويقال أبو يزيد. له صحبة، وكان بطلاً شجاعاً شريفاً مطاعاً من كبار أمراء علي، شهد معه صفين، ثم وفد بعده على معاوية مع ابن عمه الأحنف. وكان سفاكاً فاتكاً، ويدعى محرقاً لأن معاوية وجه ابن الحضرمي إلى البصرة بنعي عثمان وليستنفرهم، فوجه علي جارية هذا، فتحصن منه ابن الحضرمي كما ذكرنا، فأحرق عليه الدار، فاحترق فيها خلق. ويروى أن علياً بلغه ما صنع بسر بن أرطأة من السفك بالحجاز، فبعث جارية هذا، فجعل لا يجد أحداً خلع علياً إلا قتله وحرقه بالنار حتى انتهى إلى اليمن، فسمي محرقاً. (الذهبي، تاريخ الإسلام، 496).

مسعود في ألفين، فسار جارية حتى أتى نجران، فقتل بها ناساً من شيعة عثمان، وهرب بسرٌ منه، واتبعه جارية إلى مكة، فقال: بايعوا أمير المؤمنين. فقالوا: قد هلك فلمن نبايع؟ قال: لمن بايع له أصحاب علي فبايعوا خوفاً منه.

ثم سار حتى أتى المدينة، وأبو هريرة يصلّي بالناس، فهرب منه، فقال جارية: لو وجدت أبا سنور لقتلته. ثم قال لأهل المدينة: بايعوا الحسن بن علي، فبايعوا، وأقام يومه، ثم عاد إلى الكوفة، ورجع أبو هريرة يصلي بهم. وكانت أم ابني عبيد الله أم الحكم جويرية بنت خويلد بن قارظ، وقيل: عائشة بنت عبد الله بن عبد المدان[1]، فلما قتل ولداها ولهت عليها، فكانت لا تعقل ولا تصغي، ولا تزال تنشدهما في المواسم...

---

(1) وولد لعبيد الله بن العباس، العباس، وعبد الله، وجعفر، والعالية، أمهم عائشة بنت عبد الله بن عبد المدان بن الديان الحارثي، والعالية هي أم محمد بن علي بن عبد الله بن العباس. وعبد الرحمن بن عبيد الله، وقثم بن عبيد الله، وأمهما أم حكيم بنت قارظ واسمها جويرية، وهما اللذان ذبحهما بسر بن أبي أرطاة، وقد كتبنا خبرهما في الغارات بين علي ومعاوية. وميمونة تزوجها عبد الله بن علي بن أبي طالب، وقتل مع مصعب بن الزبير، ثم خلف عليها أبو سعيد بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، ثم نافع بن جبير بن مطعم. (البلاذري، أنساب الأشراف، 471)؛ وكانت عائشة بنت عبد الله بن عبد المدان قد ولدت من عبيد الله غلامين... ويقال: إن أم عبد الرحمن وقثم ابني عبيد الله بن العباس جويرية بنت قارظ الكنانية وآل قارظ حلفاء لبني زهرة بن كلاب؛ قال هشام بن الكلبي: من قال: إن أمهما عائشة بنت عبد الله بن عبد المدان بن الديان فقد أخطأ لم تلد عائشة الحارثية إلا ابنه العباس وابنته العالية. (المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، 305)؛ راجع: ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 677؛ وكانت عند عبيد الله بن العباس عائشة الحارثية فولدت له غلامين باليمن فوجه معاوية بسر بن أرطأة مكانه فهرب عبيد الله وأخذ بسر ابنيه فقتلهما. (ابن قتيبة الدينوري، المعارف، 26).

قال: فلما سمع علي بقتلهما جزع جزعاً شديداً، ودعا على بسرٍ فقال: اللهم اسلبه دينه وعقله. فأصابه ذلك، وفقد عقله، فكان يهذي بالسيف فيطلبه، فيؤتى بسيف من خشب، ويجعل بين يديه زق منفوخ، فلا يزال يضربه، فلم يزل كذلك إلى أن مات. وقيل: إن مسير بسر إلى الحجاز كان في سنة اثنتين وأربعين، وإنه أقام بالمدينة شهراً يستعرض الناس، لا يقال له عن أحد «إنه شرك في دم عثمان» إنه قتله[1]. ويقول نص إن بسر «أخذ الغلامين فدفنهما»[2].

«حدث بكار بن بلال عن أبي عمرو الأنصاري أن علياً قال لأهل العراق: إن بسر بن أبي أرطاة قد صعد إلى اليمن، ولا أحسب هؤلاء القوم إلا ظاهرين عليكم - يعني أهل الشام - وما ذلك أنهم أولى بالحق منكم، ولكن ذاك لاجتماعهم على أميرهم وافتراقكم، وإصلاحهم في بلادهم، وفسادكم في بلادكم، وأدائهم الأمانة وخيانتكم، والله لقد فلاناً فخانني، وفلاناً فخانني - يعدد - وفلاناً وليته، فجمع ما جمع من المال فانطلق به إلى معاوية؛ ولقد خيل لي أني لو ائتمنت أحدكم على قدحٍ لسرق علاقته»[3]. ويضيف نص أنه «رجع عبيد الله بن عباس إليها [اليمن]، فلم يزل عليها حتى قتل عليٌّ ﷺ»[4].

ثمة تفاصيل نجدها في أحد المراجع: «قال الكلبي وأبو مخنف: فندب علي عليه السلام أصحابه لبعث سرية في إثر بسر. فتثاقلوا، وأجابه جارية بن قدامة

(1) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 2394.
(2) ابن الأثير المؤرخ، الكامل في التاريخ،600.
(3) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 696.
(4) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 751؛ راجع: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، 310.

السعدي، فبعثه في ألفين، فشخص إلى البصرة، ثم أخذ طريق الحجاز حتى قدم اليمن، وسأل عن بسر فقيل: أخذ في بلاد بني تميم؛ فقال: أخذ في ديار قوم يمنعون أنفسهم. وبلغ بسراً مسير جارية، فانحدر إلى اليمامة، وأغذ جارية بن قدامة السير، ما يلتفت إلى مدينة مر بها ولا أهل حصن، ولا يعرج على شيء إلا أن يرمل بعض أصحابه من الزاد فيأمر أصحابه بمواساته، أو يسقط بعير رجل أو تحفى دابته، فيأمر أصحابه بأن يعقبوه، حتى انتهوا إلى أرض اليمن؛ فهربت شيعة عثمان حتى لحقوا بالجبال، واتبعهم شيعة علي عليه السلام، وتداعت عليهم من كل جانب، وأصابوا منهم، وصمد نحو بسر، وبسر بين يديه يفر من جهة إلى جهة أخرى، حتى أخرجه من أعمال علي عليه السلام كلها.

فلما فعل به ذلك، أقام جارية بحرس نحواً من شهر، حتى استراح وأراح أصحابه، ووثب الناس ببسر في طريقه لما انصرف من بين يدي جارية، لسوء سيرته وفظاظته وظلمه وغشمه؛ وأصاب بنو تميم ثقلاً من ثقله في بلاده وصحبه إلى معاوية ليبايعه على الطاعة ابن مجاعة رئيس اليمامة، فلما وصل بسر إلى معاوية قال: يا أمير المؤمنين، هذا ابن مجاعة قد أتيتك به فاقتله، فقال معاوية: تركته لم تقتله، ثم جئتني به فقلت اقتله! لا لعمري لا أقتله. ثم بايعه ووصله، وأعاده إلى قومه.

وقال بسر: أحمد الله يا أمير المؤمنين أني سرت في هذا الجيش أقتل عدوك ذاهباً جائياً لم ينكب رجل منهم نكبة، فقال معاوية: الله قد فعل ذلك لا أنت.

وكان الذي قتل بسر في وجهه ذلك ثلاثين ألفاً، وحرق قوماً بالنار»[1].

(1) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 105.

تفاصيل إضافية، تقول: «وسار جارية بن قدامة السعدي حتى أتى اليمن فحرق بها وقتل قوماً من شيعة عثمان، وطلب بسراً فهرب فاتبعه إلى مكة، وظفر بقوم من أصحابه فقتلهم. وقال جارية لأهل مكة: يا عباد الله بايعوا أمير المؤمنين علياً، فقالوا: إنه قد هلك. قال: فبايعوا لمن بايعه أصحاب علي، ففعلوا ذلك، ثم أتى المدينة وقد اصطلح أهلها أن يصلي بهم أبو هريرة، فقال لهم جارية: يا عباد الله بايعوا للحسن بن علي. فبايعوه ثم أقبل نحو الكوفة وتركهم فردوا أبا هريرة فصلى بهم حتى اصطلح الناس.

وأما وهب بن مسعود الخثعمي فسار فلم يلحق بسراً، ولم يظفر بأحد من أصحابه؛ ويقال: إن علياً رده من الطريق.

وحدثنا أبو مسعود الكوفي، عن عوانة، أن وائل بن حجر الحضرمي، كان عثمانياً فاستأذن علياً في إتيان اليمن ليصلح له ما هناك، ثم تعجل الرجوع فأذن له في ذلك، فمالأ بسراً وأعانه على شيعة علي.

[ويقال] إن علياً لما بلغه خبر بسر بن أبي أرطاة، وتوجيه معاوية إياه صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال[1]: أما بعد فإني دعوتكم عوداً وبدءاً وسراً وجهراً، في الليل والنهار، والغدو والآصال، فما زادكم دعائي

(1) وبلغ علياً الخبر، فقام خطيبا فقال: أيها الناس! إن أول نقصكم ذهاب أولي النهي والرأي منكم الذين يحدثون فيصدقون، ويقولون فيفعلون، وإني قد دعوتكم عودا وبدا، وسراً وجهراً، وليلاً ونهاراً، فما يزيدكم دعائي إلا فراراً، ما ينفعكم الموعظة ولا الدعاء إلى الهدى والحكمة، أما والله إني لعالم بما يصلحكم، ولكن في ذلك فسادي، أمهلوني قليلاً، فو الله لقد جاءكم من يحزنكم ويعذبكم ويعذبه الله بكم، إن من ذل الإسلام وهلاك الدين إن ابن أبي سفيان يدعو الأراذل والأشرار فيجيبون، وأدعوكم، وأنتم لا تصلحون، فتراعون، هذا بسر قد صار إلى اليمن وقبلها إلى مكة والمدينة. (اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 186).

إلا فراراً؛ وإدباراً، أما ينفعكم العظة والدعاء إلى الهدى؟ وإني لعالم بما يصلحكم ويقيم أودكم، ولكني والله لا أرى إصلاحكم بفساد نفسي، إن من ذل المسلمين وهلاك هذا الدين أن ابن أبي سفيان يدعو الأشرار فيجاب وأدعوكم وأنتم الأفضلون الأخيار فتراوغون وتدافعون»[1].

وفي نص مختصر، نقرأ: «فيها بعث معاوية إلى اليمن بسر بن أبي أرطأة القرشي العامري في جنود، فتنحى عنها عامل علي عبيد الله بن عباس، وبلغ علياً فجهز إلى اليمن جارية بن قدامة السعدي فوثب بسر على ولدي عبيد الله بن عباس صبيين، فذبحهما بالسكين وهرب[2]، ثم رجع عبيد الله على اليمن»[3].

يُقال بشأن الطفلين: «فذكر [الأب] ولديه لمعاوية، فقال: ما عزلته إلا لقتلهما»[4].

يُقال إن جارية قال لأهل مكة: «بايعوا! فقالوا: لمن نبايع وقد هلك أمير المؤمنين فلمن نبايع؟ فقال: بايعوا لمن بايع له أصحاب علي، فتثاقلوا ثم بايعوا من خوف. ثم سار حتى أتى المدينة وأبو هريرة يصلي بهم فهرب منه فقال جارية: والله لو أخذت أبا سنور لضربت عنقه، ثم قال لأهل المدينة: بايعوا للحسن بن علي، فبايعوا وأقام عندهم ثم خرج منصرفاً إلى الكوفة، وعاد أبو هريرة يصلي بهم»[5].

---

(1) البلاذري، أنساب الأشراف، 471.

(2) وبعث معاوية بسر بن أرطاة إلى اليمن، فقتل ابني عبيد الله بن العباس، وهما غلامان لم يبلغا الحلم، وقتل عبيد الله بن زياد يوم الطف تسعة من صلب علي ﷺ، وسبعة من صلب عقيل. (ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1637).

(3) الذهبي، تاريخ الإسلام، 479.

(4) الذهبي، تاريخ الإسلام، 540.

(5) ابن كثير، البداية والنهاية، 2868.

«روى عوانة عن الكلبي أن بسراً لما خرج من المدينة إلى مكة قتل في طريقه رجالاً، وأخذ أموالاً، وبلغ أهل مكة خبره، فتنحى عنها عامة أهلها، وتراضى الناس بشيبة بن عثمان أميراً؛ لما خرج قثم بن العباس عنها، وخرج إلى بسر قوم من قريش، فتلقوه، فشتمهم، ثم قال: أما والله لو تركت ورأيي فيكم لتركتكم وما فيكم روح تمشي على الأرض.

فقالوا: ننشدك الله في أهلك وعترتك! فسكت ثم دخل وطاف بالبيت، وصلى ركعتين، ثم خطبهم، فقال: الحمد لله الذي أعز دعوتنا، وجمع ألفتنا، وأذل عدونا بالقتل والتشريد، هذا ابن أبي طالب بناحية العراق في ضنك وضيق، قد ابتلاه الله بخطيئته، وأسلمه بجريرته؛ فتفرق عنه أصحابه ناقمين عليه، وولي الأمر معاوية الطالب بدم عثمان؛ فبايعوا ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً. فبايعوا.

وتفقد سعيد بن العاص فطلبه فلم يجده، وأقام أياماً ثم خطبهم فقال: يا أهل مكة، إني قد صفحت عنكم، فإياكم والخلاف، فوالله إن فعلتم لأقصدن منكم إلى التي تبير الأصل، وتحرب المال، وتخرب الديار.

ثم خرج إلى الطائف، فكتب إليه المغيرة بن شعبة حين خرج من مكة إليها: أما بعد، فقد بلغني مسيرك إلى الحجاز، ونزولك مكة، وشدتك على المريب، وعفوك عن المسيء، وإكرامك لأولي النهى، فحمدت رأيك في ذلك، قدم على صالح ما كنت عليه، فإن الله عز وجل لن يزيد بالخير أهله إلا خيراً؛ جعلنا الله وإياك من الآمرين بالمعروف، والقاصدين إلى الحق، والذاكرين الله كثيراً»[1].

---

(1) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 103.

وفي نص: «لما قرب بسر من مكة توارى قثم بن العباس، وكان عليها، فكان شيبة بن عثمان العبدري يصلي بالناس حتى قدم بسر، فلما قدم لم يهج أهل مكة ولم يعرض لهم.

وقدم على علي بن أبي طالب عين له بالشام فأخبره بخبر بسر ـ يقال إنه قيس بن زرارة بن عمرو بن حطيان الهمداني، وكان قيس هذا عيناً له بالشام يكتب إليه بالأخبار ـ ويقال: إن كتابه ورد عليه بخبر بسر، فخطب علي الناس ووبخهم وندبهم للشخوص إليه، فانتدب جارية بن قدامة التميمي فأمره ان يأتي البصرة فيكون شخوصه لطلب بسر منها. ووجه إليه وهب بن مسعود الخثعمي من الكوفة.

ثم لما قرب بسر من الطائف تلقاء المغيرة بن شعبة ـ وكان مقيماً بالطائف معتزلاً لأمورهم لم يشخص إلى البصرة ولا حضر صفين، إلا إنه شخص مع من شهد أمر الحكمين ثم انصرف إلى الطائف ـ فقال له: أحسن الله جزاك فقد بلغتني شدتك على العدو، وإحسانك إلى الولي، فدم على صالح ما أنت عليه فإنما يريد الله بالخير أهله. فقال: يا مغيرة إني أريد أن أوقع بأهل الطائف حتى يبايعوا لأمير المؤمنين معاوية. فقال: يا بسر ولم؟ أتثب على أوليائك بما تثب على أعدائك؟ لا تفعل فيصير الناس جميعاً أعداؤك. فقال: صدقتني ونصحت لي.

وقتل بسر كعب بن عبدة وهو ذو الحبكة، بتثليث.

ومضى بسر حتى إذا شارف اليمن؛ هرب عبيد الله وسعيد ـ وذلك الثبت ـ ويقال: أقاما حتى قدم فتحصنا، ثم خرجا ليلاً فلحقا بعلي، وخلف عبيد الله بن العباس على اليمن عبد الله بن عبد المدان الحارثي، فلما قدمها بسر قتله وقتل ابنه مالك بن عبد الله.

ثم دعا الناس إلى بيعة معاوية فبايعوه له، وقتل جماعة من شيعة علي.

وقال الهيثم بن عدي: حدثني يعقوب بن داود: أن عبيد الله كان عاملاً لعلي على اليمن، فخرج إلى علي وخلف على صنعاء عمرو بن أراكة الثقفي[1]، فقدم عليه بسر من قبل معاوية فقتله، فخرج عليه أخوه عبد الله... وكان عبيد الله بن العباس قد جعل ابنيه عبد الرحمن وقثم في قوم أمهما - وهي أم حكيم واسمها جويرية بنت قارظ الكناني - فلما انتهى بسر إلى بلاد قومها قال: ائتوني بابني عبيد الله فلما أتي بهما قدمهما له فقتلهما فخرج نسوة من بني كنانة فقلن: هب الرجال يقتلون فما بال الولدان؟! والله ما كانوا يقتلون في الجاهلية؟ وإن سلطاناً لا يسدد إلا بقتل الأطفال لسلطان سوء، فأراد أن يوقع بهن ثم أمسك. وغيب الغلامين أياماً طمعاً في أن يأتيه أبوهما؛ ثم قتلهما: ذبحهما ذبحاً، فرثتهما أمهما بأبيات»[2].

«ثم سار بسر حتى أتى الطائف، فقالت له ثقيف: ما لك علينا سلطان، نحن من قيس، فسار حتى أتى همدان[3] وهم في جبل لهم يقال له شبام،

---

(1) ويروى أن عبيد الله بن العباس كان عاملاً لعلي بن أبي طالب ﷺ على اليمن، فخرج إلى علي واستخلف على صنعاء عمروَ بن أراكةَ الثقفي، فوجّه إليه معاوية بُسْرَ بن أرطاة، فقتل عمروَ بن أراكة... وكان بُسْر قتل خَلقاً باليمن - يقول بعضهم - حتى أخاض الخيل في الدماء. وكان فيمن قُتل طفلان لعبيد الله بن العباس أخذهما من المكتب، فروى أنه قتلهما وهما يقولان: يا عم لا نعود. وأما الرواية الفاشِيَة التي كأنها إجماع فإنه أخذهما من تحت ذيل أمهما - وهي امرأة من بني الحارث بن كَعب. (المبرد، الفاضل، 20).

(2) البلاذري، أنساب الأشراف، 366؛ راجع: ابن الجوزي، المنتظم، 628؛ البري، الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة،203.

(3) ثم أرسل معاوية بسر بن أرطأة إلى اليمن، فسبى نساء مسلمات فأقمن في السوق... وفي هذه الخرْجَة التي ذكر أبو عمرو الشيبانيّ أغار بسر بن أرْطأة على همدان وقتل

فتحصنت فيه همدان[1]، ثم نادوا: يا بسر نحن همدان وهذا شبام، فلم يلتفت إليهم، حتى إذا اغتروا ونزلوا إلى قراهم، أغار عليهم فقتل وسبى نساءهم، فكن أول مسلمات سبين في الإسلام. ومر بحي من بني سعد نزول بين ظهري بني جعدة بالفلج، فأغار بسر على الحي السعديين فقتل منهم وأسر»[2].

في نص هام نقرأ: «ومضى إلى مكة، فقتل نفراً من آل أبي لهب، ثم أتى السراة[3]، فقتل من بها من أصحابه. وأتى نجران، فقتل عبد الله بن عبد

وسبى نساءهم، فكنَّ أول مسلمات سبينَ في الإسلام، وقتل أحياء من بنى سعد. (أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، 1837)؛ «المَصْرَع» بفتح أوله، وإسكان ثانيه، بعده راء وعين مهملتان: موضع بديار همدان من اليمن. وكان أبو معيد احمد بن حمرة الهمداني مع بسر بن ارطاة لما قدم اليمن، ففرى الفرى في شيعة على، وضرب في هذا اليوم من اعناق الابناء سبعين عنقا، فسمي الموضع المصرع، وارتدت الابناء عن التشيع من ذلك اليوم. (أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم، 335).

(1) وفي هذه الخرجة أغار بسرٌ على همدان وقتل وسبى نساءهم، فكن أول مسلماتٍ سبين في الإسلام. وقتل أحياء من بني سعد.

وروى أبو عمر بسنده عن أبي الرباب وصاحب له أنهما سمعا أبا ذر يدعو ويتعوذ في صلاة صلاها طال قيامها وركوعها وسجودها، قال: فسألناه: مم تعوذت؟ وفيم دعوت؟ فقال: تعوذت بالله من يوم البلاء أن يدركني ويوم العورة أن أدركه. فقلنا: وما ذاك؟ فقال: أما يوم البلاء فتلتقي فئتان من المسلمين فيقتل بعضهم بعضاً، وأما يوم العورة فإن نساء من المسلمات يسبين فيكشف عن سوقهن فأيتهن كانت أعظم ساقاً اشتريت على عظم ساقها، فدعوت الله ألا يدركني هذا الزمان ولعلكما تدركانه. قال: فقتل عثمان ثم أرسل معاوية بسر بن أرطاة إلى اليمن فسبى نساء مسلمات فأقمن في السوق.(النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب،2395).

(2) أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، 487.

(3) بعث معاوية بسر بن أرطأة أحد بني عامر بن لؤي، بعد تحكيم الحكمين، لقتل شيعة علي فمر في البلاد يشن الغارات، ولا يكفون أيديهم عن النساء والصبيان، ففعل ذلك بالمدينة ومكة والسراة ونجران واليمن. وكان عبيد الله بن العباس عاملاً لعلي على

المدان الحارثي وابنه، وكانا من أصهار بني العباس، ثم أتى اليمن وعليها عبيد الله بن العباس، عاملاً لعلي بن أبي طالب، وكانه غائباً، وقيل بل هرب لما بلغه خبر بسر، فلم يصادفه بسر، ووجد ابنين له صبيين، فأخذهما بسر لعنه الله، وذبحهما بيده، بمدية كانت معه، ثم اكفأ راجعاً إلى معاوية، وفعل مثل ذلك سائر من بعث به. فقصد الغامدي إلى الأنبار، فقتل ابن حسان البكري، وقتل رجالاً ونساء من الشيعة»[1].

يضيف نصّ آخر: «وقد كان بُسْربن أرْطَاةَ العامري ـ عامر بن لؤي بن غالب ـ قَتَلَ بالمدينة وبين المسجدين خلقاً كثيراً من خُزَاعة وغيرهم، وكذلك بالجرف قتل بها خلقاً كثيراً من رجال هَمْدَان[2]، وقتل بصنعاء خلقاً كثيراً من الأبناء، ولم يبلغه عن أحد أنه يمالىء علياً أو يهواه إلا قتله، ونما إليه خبر حارثة بن قدامة السعدي فهرب، وظفر حارثة بابن أخي بُسْر مع أربعين من أهل بيته، فقتلهم»[3].

اليمن وكان غائباً، وقيل بل هرب من بسر، ووجد صبيين له فذبحهما ذبحاً بمدية، ثم انكفا راجعاً إلى معاوية. وأصاب أم الصبيين، واسمهما عبد الرحمن وقثم، وهي أم حكيم بنت فارط، على ابنيها كالجنون، فكانت لا تعقل ولا تصغي إلى قول من أعلمها أنهما قد قتلا، ولا تزال تطوف في الموسم تنشد الناس أبياتاً. (ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 509).

(1) أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، 1835.

(2) فأولد حمرة أبا معيد، ونفر عن اليمن فكان مع علي عليه السلام، فلما صير راية همدان إلى سعيد بن قيس غضب وبات يكدم واسط كوره حتى أفناه ثم لحق بمعاوية وكان عنده وجيهاً، وقدم إلى اليمن فلزم بلد الأهنوم والمغرب حتى قدم بسر بن أرطأة من قبل معاوية فكان له رجلا ويداً في بلد همدان، فنال من شيعة علي عليه السلام في بلد همدان وصنعاء فأقوى، وضرب من الأبناء على باب المصرع اثنتين وسبعين رقبة فسمي الموضع المصرع، وارتدت الأبناء عن التشيع من يومئذ إلى اليوم. (الهمداني، الإكليل، 15).

(3) المسعودي، مروج الذهب، 357.

«ولم يزل سديف يطلب ولد بسر بن أبي أرطأة حتى ظفر بابنين له بساحل دمشق، فقتلهما لقتل بسر جدهما ابني عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب باليمن، لما بعثه معاوية أميراً عليها بعد قتل عثمان»[1].

«ثم خرج بسر من صنعاء، فأتى أهل جيشان ـ وهم شيعة لعلي عليه السلام ـ فقاتلهم وقاتلوه، فهزمهم وقتلهم قتلاً ذريعاً، ثم رجع إلى صنعاء، فقتل بها مائة شيخ من أبناء فارس، لأن ابني عبيد الله بن العباس كانا مستترين في بيت امرأة من أبنائهم، تعرف بابنة بزرج»[2].

وفي نص: «وقصد العامري [بسر] الأنبار فقتل ابن حسان البكري، ورجالا ونساء من الشيعة، وأغار الضحاك على الحيرة فأخرج إليه علي رضي الله عنه جيشا، فاقتتلوا ساعة، وقتل من أصحاب الضحاك تسعة عشر رجلا ونجا الضحاك جريحاً»[3].

حول ما حصل في الحجاز واليمن على يد بسر، نقرأ «عن أبي الزيات، وآخر، سمعا أبا ذر يتعوذ من يوم العورة، قال زيد: فقتل عثمان، ثم أرسل معاوية بسر بن أرطأة إلى اليمن، فسبى نساء مسلمات، فأقمن في السوق.

وقال ابن إسحاق: قتل بسر: عبد الرحمن، وقثم ولدي عبيد الله بن عباس باليمن.

(1) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 1264؛ أنظر: ابن داود الأصبهاني، الزهرة، 154؛ البري، الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، 202؛ أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، 1837؛ المسعودي، مروج الذهب، 419؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 510؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 2394.
(2) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 105.
(3) ابن سعد الخير، القرط على الكامل، 194.

... بعث معاوية بسر بن أبي أرطأة إلى الحجاز واليمن يقتل من كان في طاعة علي، فأقام بالمدينة شهراً لا يقال له: هذا ممن أعان على قتل عثمان، إلا قتله... قال السيباني: إنه قتل ابني عبيد الله بالمدينة. والأكثر أنه قتلهما باليمن على ما ذكرنا.»[1] ويقال إنه «سمع رجل من أهل اليمن وقد قدم مكة امرأة عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب تندب ابنيها اللذين قتلهما بسر بن أرطاة...فرق لها، فاتصل ببسر[2] حتى وثق به، ثم احتال لقتل ابنيه، فخرج بهما إلى وادي أوطاس، فقتلهما وهرب»[3]. وفي نص آخر: «كان لبسر هذا ابنان بأوطاس فخرج إليهما رجل من قريش فقتلهما»[4].

يقال إن بسراً «مات ذاهل العقل يلعب بخرئه، وربما كان يتناول منه ثم يقبل على مَنْ يراه فيقول: انظروا كيف يطعمني هذان الغلامان ابنا عبيد الله، وكان ربما شدت يداه إلى وراء منعاً من ذلك فأنجى ذات يوم في مكانه، ثم أهوى بفيه فتناول منه، فبادروا إلى منعه، فقال: أنتم تمنعونني وعبدُ الرحمن وقثَم يطعمانني»[5].

ذكر ولاية بسر على البصرة:

«في هذه السنة ولي بسر بن أبي أرطأة البصرة. وكان السبب في ذلك

(1) الذهبي، تاريخ الإسلام، 644؛ أنظر: العصامي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، 165؛ البري، الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، 48.
(2) وقال الأصمعي: سمع رجل من اليمن، وقد قدم مكلة، امرأة عبيد الله تندب ابنيها فرق لها وتوصل إلى أن اتصل ببسر وخدمه، فلما وثق به احتال لقتل ابنيه، فخرج بهما إلى وادي أوطاس فقتلهما وهرب. (ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 510).
(3) أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، 1837.
(4) المطهر بن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ، 326.
(5) المسعودي، مروج الذهب، 419؛ راجع: ابن دريد، الاشتقاق، 38.

أن الحسن لما صالح معاوية أول سنة إحدى وأربعين وثب حمران بن أبان على البصرة فأخذها وغلب عليها، فبعث إليه معاوية بسر ابن أبي أرطأة وأمره بقتل بني زياد بن أبيه[1]، وكان زياد على فارس قد أرسله إليها علي بن أبي طالب، فلما قدم بسر البصرة خطب على منبرها وشتم علياً ثم قال: نشدت الله رجلاً يعلم أني صادق إلا صدقني أو كاذب إلا كذبني. فقال أبو بكرة[2]: اللهم إنّا لا نعلمك إلا كاذباً. قال: فأمر به فخنق. فقام أبو لؤلؤة الضبي فرمى بنفسه عليه فمنعه. وأقطعه أبو بكرة مائة جريب، وقيل لأبي بكرة: ما حملك على ذلك؟ فقال: يناشدنا بالله ثم لا نصدقه؟ وأرسل معاوية إلى زياد: إن في يدك مالاً من مال الله فأدّ ما عندك منه. فكتب إليه زياد: إنه لم يبق عندي شيء، ولقد صرفت ما كان عندي في وجهه، واستودعت بعضه لنازلة إن نزلت، وحملت ما فضل إلى أمير المؤمنين [علي] رحمة الله عليه. فكتب إليه معاوية: أن أقبل ننظر فيما وليت فإن استقام بيننا أمر وإلا رجعت إلى مأمنك. فامتنع، فأخذ بسر أولاد زياد الأكابر، منهم: عبد الرحمن وعبيد الله وعباد، وكتب إلى زياد:

---

(1) وتوفي علي ﷺ، وعلى البصرة عبد الله بن عباس، وعلى قضائها أبو الأسود الدؤلي، وعلى فارس زياد بن سمية [ابن أبيه أو ابن أبي سفيان]، وعلى اليمن عبيد الله بن لعباس، حتى وقع أمر بسر بن أبي أرطاة، وعلى مكة والطائف قثم بن عباس، وعلى المدينة أبو أيوب الأنصاري وقيل سهل بن حنيف. (ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 747).

(2) أبو بكرة ـ وهو صحابي مشهور اسمه نُفَيع بن الحارث بن كلدة الثقفي قلت: لقب بأبي بكرة؛ لأنه كان مع ثقيف في حصن الطائف حال حصار النبي ﷺ أهل الطائف، فنادى ـ عليه الصلاة والسلام ـ : «من أتى إلينا، فله الأمان، وهو حر»، فتدلى نفيع بن الحارث هذا من أعلى الحصن ببكرة، ونزل إليه ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأسلم، فلقب لذلك بأبي بكرة. (العصامي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، 547).

لتقدمن على أمير المؤمنين أو لأقتلن بنيك. فكتب إليه زياد: لست بارحاً من مكاني حتى يحكم الله بيني وبين صاحبك، وإن قتلت ولدي فالمصير إلى الله ومن ورائنا الحساب، (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلبٍ ينقلبون) الشعراء: 227. فأراد بسر قتلهم فأتاه أبو بكرة فقال: قد أخذت ولد أخي بلا ذنب، وقد صالح الحسن معاوية على ما أصاب أصحاب علي حيث كانوا، فليس لك عليهم ولا على أبيهم سبيل. وأجّله أياماً حتى يأتيه بكتاب معاوية، فركب أبو بكرة إلى معاوية، وهو بالكوفة، فلما أتاه قال له: يا معاوية إن الناس لم يعطوك بيعتهم على قتل الأطفال! قال: وما ذاك يا أبا بكرة؟ قال: بسر يريد قتل بني أخي زياد. فكتب له بتخليتهم. فأخذ كتابه إلى بسر بالكف عن أولاد زياد، وعاد فوصل البصرة يوم الميعاد، وقد أخرج بسر أولاد زياد مع طلوع الشمس ينتظر بهم الغروب ليقتلهم، واجتمع الناس لذلك وهم ينتظرون أبا بكرة إذ رفع لهم على نجيب أو برذون يكده، فوقف عليه ونزل عنه وألاح بثوبه وكبّر وكبّر الناس معه، فأقبل يسعى على رجليه فأدرك بسراً قبل أن يقتلهم، فدفع إليه كتاب معاوية، فأطلقهم.

وقد كان معاوية كتب إلى زياد حين قتل علي يتهدده، فقام خطيباً فقال: العجب من ابن آكلة الأكباد، وكهف النفاق، ورئيس الأحزاب يتهددني، وبيني وبينه ابنا عم رسول الله ﷺ، يعني ابن عباس والحسن بن علي، في سبعين ألفاً واضعي سيوفهم على عواتقهم! أما والله لئن خلص إلي ليجدني ضراباً بالسيف. فلما صالح الحسن معاوية وقدم معاوية الكوفة تحصن زياد في القلعة التي يقال لها قلعة زياد»[1].

---

(1) ابن الأثير المؤرخ، الكامل في التاريخ، 611.

نص آخر يمدّنا بمعلومة مخالفة: «وفي هذه السنة غلب حمران بن أبان على البصرة وذلك أنه لما صالح الحسن معاوية، وثب حمران على البصرة فأخذها، فبعث إليه معاوية بسر بن أرطأة، فصعد حمران إلى المنبر وشتم علياً ﷺ، ثم قال: أنشد الله رجلاً عليماً أني صادق إلا صدقني، أو كاذب إلا كذبني، فقال أبو بكرة: لا نعلمك إلا كاذباً، فأمر به يخنق، فقام أبو لؤلؤة الضبي فرمى بنفسه عليه فمنعه، فأعطاه أبو بكرة ـ بعد ذلك مائة جريب، فقيل لأبي بكرة: ما أردت بهذا؟ فقال: يناشدنا بالله ثم لا نصدقه، فأقام بسر بالبصرة ستة أشهر وفي هذه السنة ولي معاوية بن عامر البصرة، وحرب سجستان وخراسان وسبب ذلك أن معاوية أراد أن يوجه عتبة بن أبي سفيان على البصرة، فقال له ابن عامر: إن لي بها أموالاً وودائع فإن لم توجهني عليها ذهبت، فولاه البصرة فقدمها في آخر سنة إحدى وأربعين وإليه على خراسان وسجستان، فولى حبيب بن شهاب شرطته ـ وقيل: قيس بن الهيثم ـ واستقضى عميرة بن يثربي»[1].

يضيف نص أن بسر «أخذ بعض بني زياد فحبسه ـ وزياد يومئذ بفارس، كان علي ﷺ بعثه إليها إلى أكراد خرجوا بها، فظفر بهم زياد، وأقام بإصطخر ـ قال: فركب أبو بكرة إلى معاوية وهو بالكوفة، فاستأجل بسراً، فأجله أسبوعاً ذاهباً وراجعاً، فسار سبعة أيام، فقتل تحته دابتين، فكلمه، فكتب معاوية بالكف عنهم»[2].

«فأقام بسر بالبصرة ستة أشهر، ثم شخص لا نعلمه ولى شرطته أحداً. [قال بسر لأبي بكرة عن زياد]:... إن على أخيك أموالاً قد أخذها فامتنع

(1) ابن الجوزي، المنتظم، 637.
(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1157.

من أدائها؟؟؟...[وقال أبو بكرة لمعاوية]: تؤمن أخي زياداً، وتكتب إلى بسر بتخلية ولده وبترك التعرض لهم؛ فقال: أما بنو زياد فنكتب لك فيهم ما سألت؛ وأما زياد ففي يده مالٌ للمسلمين، فإذا أداه فلا سبيل لنا عليه؛ قال: يا أمير المؤمنين، إن يكن عنده شيء فليس يحبسه عنك إن شاء الله»[1].

ويقال أيضاً، «لما قدم بسر بن أبي أرطاة القرشي، ثم العامري، البصرة وكان معاوية بعثه لقتل من خالفه واستحياء من بايعه أخذ بني زياد، وهم غلمان عبيد الله، وسلما، وعبد الرحمن، والمغيرة وبه كان يكنى زياد، وحربا وزياد يومئذ متحصن في قلعة بفارس، تعرف بقلعة زياد، مخالف لمعاوية، وذلك قبل أن يدعيه معاوية... وكان قدوم أبي بكرة على معاوية بالكوفة»[2].

المال هو العنصر الأساسي في صراع معاوية ـ زياد؛ يقول معاوية: «أما زياد فللمسلمين عنده مال: إذا أداه فهو آمن؛ وأما ولده فنخلي سبيلهم، وكتب إلى بسر في ذلك»[3].

كما حصل في الحجاز واليمن، حصل في البصرة؛ يقول أحد النصوص: «وبعث معاوية بسر بن أبي أرطاة إلى البصرة، وأمره بقتل من خالفه، وكان هواه مع علي، فلما قدم بسر البصرة أخذ بني زياد وهم: عبيد الله، وسلم، وعبد الرحمن، والمغيرة وأبو حرب، وكانوا غلماناً، فقال: لأقتلنكم أو ليأتيني زياد...

وكان المغيرة بن شعبة صديقاً لزياد لكتابته له، ولأنه لما وجد مع المرأة

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1158.
(2) البلاذري، أنساب الأشراف، 216.
(3) البلاذري، أنساب الأشراف، 221.

فشهد عليه الشهود كان زياد رابعهم، فلما نظر إليه عمر قال: أرى رجلاً لا يفضح الله أو لا يخزي به رجلاً من أصحاب محمد، فأحجم عن قطع الشهادة حتى درأ عمر الحد عن المغيرة، فدخل المغيرة...فقال له: يا أمير المؤمنين إن تستودعني سرك تستودعه ناصحاً شفيقاً ووعاءً وثيقاً، فقال معاوية: شر الوطاء العجز، أترضى أن يكون زياد وهو داهية العرب وقريع ذوي الرأي والحزم بمكانه؟ ما يؤمنني أن يبايع لبعض أهل هذا البيت فيعيدها جذعةً، والله لقد بت ليلتي ساهراً لذكري زياداً واعتصامه بقلعةٍ بأرض فارس، قال المغيرة: فأذن لي في إتيانه آتك به، قال: نعم فمضى جواداً حتى قدم على زياد، فلما رآه قال: أفلح رائد، قال: إليك ينتهي الخبر يا أبا المغيرة،إنّ الوجل منك قد استخف معاوية حتى بعثني إليك، وقد بايعه الحسن واجتمع عليه الناس، قال: فأشر علي فإن المستشار مؤتمن، وارم الغرض الأقصى، قال المغيرة: ان في محض الرأي بشاعةً ولا خير في التمزيق، أرى أن تصل حبلك بحبله وتشخص إليه[1]، قال: أرى

(1) وكان سبب ادعاء معاوية له فيما ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى أن علياً كان وَلاَّه فارس حين أخرج منها سهل بن حُنَيف، فضرب زياد ببعضهم بعضاً حتى غلب عليها، وما زال يتنقل في كُوَرِهَا حتى صلح أمر فارس، ثم وَلاه على أصطخَبَ. وكان معاوية يتهدد، ثم أخذ بُسْر بن أرطاة عبيد الله وسالماً ولديه وكتب إليه يقسم ليقتلنهما إن لم يراجع ويدخل في طاعة معاوية وكتب معاوية إلى بُسْر ألا يعرض لأبْنَيْ زياد، وكتبَ إلى زياد أن يدخل في طاعته وَيَرُدَّه إلى عمله، فقدم زياد على معاوية، فصالحه على مال وحلي، ودعاه معاوية إلى أن يستحلفه، فأبى زياد ذلك، وكان المغيرة بن شعبه قال لزياد قبل قدومه على معاوية: أرْم بالغرض الأقصَى، ودع عنك الفضول، فإن هذا الأمر لا يمد إليه أحد يداً إلا الحسن بن علي وقد بايع لمعاوية، فخذ لنفسك قبل التوطين، فقال زياد: فأشرْ علي، قال: أرى أن تنقل أصلك إلى أصله، وَتَصلَ حبلك بحبله، وأن تعير الناس مَنك أذناً صَمّاء، فقال زياد: يا ابن شعبة، أأغْرس عَوداً في غير منبته ولا مَدَرَة فتحييه ولا عِرْقَ فيسقيه؟ ثم إن زياداً عزم على قبول الدعوى وأخذ برَأي ابن شعبة. (المسعودي، مروج الذهب، 350).

ويقضي الله؛ وانصرف المغيرة، ومضى زياد بعد يوم أو يومين من مضي المغيرة فسار حتى صار إلى معاوية، فسأله معاوية عن المال فضمن له أن يحمل إليه الفي ألف درهم، فرضي بذلك»[1].

وفي نص تفاصيل أخرى: «لما ولى المغيرة على الكوفة استعمل كثير بن شهاب على الري، وأقره زياد بعده. وكان يغزو الديلم. ثم بعث على البصرة بسر بن أرطأة، وكان قد تغلب عليها حمران بن زيد عند صلح الحسن مع معاوية، فبعث بسراً عليها فخطب الناس وتعرض لعلي.... ثم عزل معاوية بسراً عن البصرة»[2].

متفرقات ما بعد الحرب:

«المدائني عن جويرية بن أسماء أن بسر بن أبي أرطاة نال من علي عند معاوية، وزيد بن عمر بن الخطاب حاضر، فعلاه بعصاً فشجه، فقال معاوية: عمدت إلى شيخ قريش وسيد أهل الشام فضربته، ثم أقبل على بسر فقال: شتمت علياً وهو جده، وهو أيضاً ابن الفاروق أفكنت ترى أنه يصبر لك؟ قال: وأم زيد بن عمر أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب؛ ثم إن معاوية أرضاهما جميعاً وأصلح بينهما»[3]. وفي نص: «فنزل إليه زيد فخنقه حتى صرعه، وبرك على صدره، وقال لمعاوية: إني لأعلم أن هذا عن رأيك وأنا ابن الخليفتين، ثم خرج إلينا زيد وقد تشعث رأسه وعمامته،

---

(1) البلاذري، أنساب الأشراف، 644؛ راجع: ابن كثير، البداية والنهاية، 2913؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 2402.
(2) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 751 ؛ راجع: ابن سعد، الطبقات الكبرى، 889.
(3) البلاذري، أنساب الأشراف، 586 ؛ أنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1226؛ ابن الأثير المؤرخ، الكامل في التاريخ، 650.

ثم اعتذر إليه معاوية، وأمر له بمائة ألف، وأمر لكل واحد منا بأربعة آلاف»[1]؛ وفي نص: «وخرج زيد وقد تشعث رأسه، وسقطت عمامته، فدعا بإبله فارتحل، فأتاه آذن معاوية، فقال: إن أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول: عزمت عليك لما أتيتني، فإن أبيت أتيتك. قال زيد: لولا العزيمة ما أتيت[2]»، «فقدم إليه»[3]؛ وفي نص: «وخرج زيد من عند معاوية فأبصر بسر بن أرطأة على دكان ينال من علي، فصعد الدكان فاحتمله وضرب به الأرض وصفر عليه فدق ضلعين من أضلاعه، فقال معاوية: أبعد الله بسراً يشتم جد الرجل وهو يسمع! أما علم أن زيداً ابن علي وعمر»[4]؛ وفي نص: «وكانت أمَ زيد أمُ كُلثوم بنت علي بن أبي طالب. ولما قدم معاويةُ مكةَ، وكان عمر قد استعمله عليها، دخل على أُمه هِنْد، فقالت له: يا بني. إنه قلما وَلدت حُرة مثلَك، وقد استعملك هذا الرجل، فاعمل بما وافقه، أحببت ذلك أم كرهتَه»[5].

صلح ابن العبّاس ومعاوية:

«ثم إن معاوية وافى حتى نزل قرية يقال لها الحبوبية بمسكن، فأقبل عبد الله بن العباس حتى نزل بإزائه، فلما كان من غد وجه معاوية بخيله إليه فخرج إليهم عبيد الله بن العباس فيمن معه، فضربهم حتى ردهم إلى معسكرهم، فلما كان الليل أرسل معاوية إلى عبيد الله بن العباس

(1) الذهبي، تاريخ الإسلام، 502.
(2) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 1244.
(3) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 1448.
(4) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 1181.
(5) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 627؛ أنظر: الزمخشري، ربيع الأبرار، 469.

أن الحسن قد راسلني في الصلح وهو مسلم الأمر إلي، فإن دخلت في طاعتي الآن كنت متبوعاً، وإلا دخلت وأنت تابع، ولك إن جئتني الآن أن أعطيك ألف ألف درهم، يعجل لك في هذا الوقت النصف، وإذا دخلت الكوفة النصف الآخر، فانسل عبيد الله ليلاً، فدخل عسكر معاوية، فوفى له بما وعده، فأصبح الناس ينتظرون أن يخرج فيصلي بهم، فلم يخرج حتى أصبحوا، فطلبوه فلم يجدوه، فصلى بهم قيس بن سعد بن عبادة، ثم خطبهم فقال: أيها الناس، لا يهولنكم ولا يعظمن عليكم ما صنع هذا الرجل الوله الورع «أي الجبان»؛ إن هذا وأباه وأخاه لم يأتوا بيوم خير قط، إن أباه عم رسول الله ﷺ خرج يقاتله ببدر، فأسره أبو اليسر كعب بن عمر الأنصاري، فأتى به رسول الله ﷺ، فأخذ فداءه فقسمه بين المسلمين، وإن أخاه ولاه علي أمير المؤمنين على البصرة فسرق مال الله ومال المسلمين، فاشترى به الجواري، وزعم أن ذلك له حلال، وإن هذا ولاه علي اليمن، فهرب من بسر بن أرطأة وترك ولده حتى قتلوه، وصنع الآن هذا الذي صنع.

قال فتنادى الناس: الحمد لله الذي أخرجه من بيننا، فانهض بنا إلى عدونا، فنهض بهم.

وخرج إليهم بسر بن أرطأة في عشرين ألفاً، فصاحوا بهم: هذا أميركم قد بايع، وهذا الحسن قد صالح؛ فعلام تقتلون أنفسكم؟ فقال لهم قيس بن سعد بن عبادة: اختاروا إحدى اثنتين: إما القتال مع غير إمام، أو تبايعون بيعة ضلال، فقالوا: بل نقاتل بلا إمام، فخرجوا فضربوا أهل الشام حتى ردوهم إلى مصافهم.

وكتب معاوية إلى قيس يدعوه ويمنيه، فكتب إليه قيس: لا والله لا

تلقاني أبداً إلا وبيني وبينك الرمح. فكتب إليه معاوية: «أما بعد، فإنما أنت يهودي ابن يهودي تشقي نفسك وتقتلها فيما ليس لك، فإن ظهر أحب الفريقين إليك نبذك وعزلك، وإن ظهر أبغضهما إليك نكل بك وقتلك، وقد كان أبوك أوتر غير قوسه، ورمى غير غرضه، فأكثر الحز وأخطأ المفصل فخذله قومه، وأدركه يومه، فمات بحوران طريداً غريباً»[1].

«وحدثني عباس بن هشام، عن أبيه: أن عبيد الله بن العباس لما صار إلى معاوية؛ وفارق الحسن بن علي؛ رأى بسراً، فقال له: أنت أمرت هذا اللعين بقتل ولدي؟ فقال: والله ما فعلت ولقد كرهت ذلك. فغضب بسر لقولهما وألقى سيفه إلى معاوية وقال له: خذه عني ولكن أمرتني أن أخبط به الناس فانتهيت إلى أمرك، ثم أنت تقول لهذا ما تقول وهو بالأمس عدوك؛ وأنا نصيحك دونه وظهيرك عليه فقال: خذ سيفك فإنك ضعيف الرأي حين تلقي سيفاً بين يدي رجل من بني هاشم وقد قتلت ابنيه، فأخذ سيفه، وقال عبيد الله: ما كنت لأقتل بسراً، بأحد ابني، هو ألأم وأوضع وأحقر من ذلك، والله ما أرى أني أدرك ثأرهما إلا بيزيد وعبد الله ابني معاوية، فضحك معاوية وقال: ما ذنب يزيد وعبد الله فوالله ما أمرت ولا علمت ولا هويت. ـ وكان معاوية مائلاً إلى ولد العباس لأن جدته أم أبيه كانت صفية بنت حزن، وكانت أم بني العباس لبابة بنت الحارث بن حزن ـ فقال ابن لعبيد الله من سرية تدعى جمانة: والله لا نرضى إلا بيزيد وعبد الله. فقال معاوية: لا أم لك فلولا كرامة أبيك لأطلت حبسك.

ثم إن بسراً بعد ذلك وسوس، وكان يهذي بالسيف، فجعل له سيف

---

(1) أبو الفرج الأصبهاني، مقاتل الطالبيين، 17.

من خشب أو من عيدان، وكانت الوسادة تدنى إليه فيضربها حتى يغشى عليه، وربما أدني إليه زق فيضربه، فلم يزل كذلك حتى مات في خلافة عبد الملك بن مروان، ولم يزل معاوية يصل عبيد الله بالمال العظيم بعد المال حتى سل ما في قلبه»[1].

بسر في أفريقيا:

«ذكر أهل السير أن معاوية بعث عقبة بن نافع الفهري إلى إفريقية، فتتحها، واختط القيروان، وبعث بُسرَ بن أرطاة العامري إلى قلعة من القيروان، فافتتحها، وقتل وسبى فهي إلى الآن تعرف بقلعة بسر، وهي بالقرب من مجانة عند معدن الفضة، وقيل: إن الذي وجه بسراً إلى هذه القلعة موسى بن نصير وبسر يومئذ ابن اثنتين وثمانين سنة»[2].

في نص آخر، نقرأ: «وهذه القلعة تعرف بقلعة بسر بن أرطاة افتتحها عنوة، بعثه إليها موسى بن نصير، وبعث خمس غنيمتها إليه»[3].

«كان عمرو بن العاص بعث إلى ودان بسر بن أبي أرطأة وهو محاصر لطرابلس، فافتتحها في سنة 23؛ ثم نقضوا عهدهم ومنعوا ما كان قد فرضه بسر عليهم، فخرج عُقبة بن نافع بعد معارية بن حدَيج إلى المغرب في

---

(1) البلاذري، أنساب الأشراف،367؛ راجع: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 105؛ ابن الأثير المؤرخ، الكامل في التاريخ، 600؛ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق،2118؛ وقيل: دخل عبيد الله بن العباس على معاوية بن أبي سفيان وعنده بسر بن أرطأة فقال له عبيد الله: أنت قاتل الصبيين أيها الشيخ؟ قال: نعم، أنا قاتلهما. فقال عبيد الله: لوددت أن الأرض كانت أنبتتني عنك.(زينب فواز، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، 37).

(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان، 1430؛ راجع: البلاذري، فتوح البلدان، 92.

(3) أبو عبيد البكري، المسالك والممالك، 239.

سنة 46 ومعه بسر بن أبي أرطأة وشريك بن سحيم حتى نزل بغدامس من سرت، فخلف عقبة جيشه هناك واستخلف عليهم زهير بن قيس البلَوي، ثم سار بنفسه في أربعمائة فارس وأربعمائة بعير بثمانمائة قربة ماءٍ حتى قدم ودان فافتتحها وأخذ ملكها فجدع أنفه؛ فقال: لم فعلتَ هذا وقد عاهدتُ المسلمين؟ قال: أدباً لك إذا مسست أنفك ذكرتَ فلم تحارب العرب! واستخرج منها ما كان بسر فرض عليه وهو ثلثمائة وستون رأساً»[1].

بفروقات بسيطة عن السابق، نقرأ: «وقال ابن عبد الحكم: ثم إنهم نقضوا عهدهم ومنعوا ما كان بسر بن أرطأة فرض عليهم، فخرج عقبة بن نافع الفهري إلى المغرب بعد معاوية بن حديج وذلك سنة ست وأربعين، ومعه بسر بن أرطأة وشريك بن سحيم المرادي، فأقبل حتى نزل بغدامس من سرت، فخلف عقبة جيشه هنالك واستخلف عليهم زهير بن قيس البلوي، ثم سار بنفسه في أربعمائة فارس وأربعمائة بعير وثمانمائة قربة ماء حتى قدم ودان فافتتحها وأخذ ملكهم، فجدع أذنه، فقال: لم فعلت هذا: قد عاهدني المسلمون؟ قال: أدباً لك، إذا ذكرت أذنك ذكرت فلم تحارب العرب، واستخرج منه ما كان بسر فرض عليه ثلاثمائة رأس وستين رأساً»[2].

بسر: سلاح العورة!

تخبرنا مصادر كثيرة أنّ علياً، لما بارز بسر وأوشك على قتله، كشف الأخير عن عورته، فانكفأ علي عنه؛ يقال: «ذكر ابن الكلبي في كتابه في

(1) ياقوت الحموي، معجم البلدان، 1791.
(2) أبو عبيد البكري، المسالك والممالك، 185.

أخبار صفين، أن بسر بن أرطاة بارز علياً يوم صفين، فطعنه علي ﷺ فصرعه، فانكشف له، فكف عنه، كما عرض له مثل ذلك مع عمرو بن العاص»[1]؛ «يريد عمرو بن العاص لمّا ضربه علي ﷺ يوم صفّين فرمى نفسه على الأرض وكشف عن سوئته فأعرض علي عنه وقال: عورة المرء حمى. وقد وقع ذلك لبسر بن أرطاة مع علي ﷺ كما وقع لعمرو، وذلك أنّ بسراً كان مع معاوية بصفّين، فأمره أن يلقى عليّاً ﷺ وقال له: سمعتك تتمنّى لقائه، فلو أظفرك الله به حصلت دنيا وآخرة، ولم يزل يشجّعه ويمنّيه حتّى رآه فقصده في الحرب والتقيا، فصرعه علي ﷺ، فكشف بسرٌ عن سوئته فتركه عليّ»[2]. وفي نص آخر: «فاتقاه بسر بعورته، وقصد أن يكشفها، يستدفع بأسه، فانصرف عنه ﷺ مستدبراً له فعرفه الأشتر حين سقط فقال: يا أمير المؤمنين، هذا بسر بن أرطاة، هذا عدو الله وعدوك، فقال: دعه عليه ﷺ الله، أبعد أن فعلها فحمل ابن عم بسر من أهل الشام، شاب، على علي ﷺ»[3].

وفي نص مشابه، نقرأ: «فاستقبله بسر قريبا من التل وهو مقنع في الحديد لا يعرف، فناداه: ابرز إلى أبا حسن. فانحدر إليه على تؤدة غير مكترث، حتى إذا قار به طعنه وهو دارع، فألقاه على الأرض، ومنع الدرع السنان أن يصل إليه، فاتقاه بسر بعورته وقصد أن يكشفها يستدفع بأسه، فانصرف عنه علي ﷺ مستدبرا له، فعرفه الأشتر حين سقط فقال: يا أمير

(1) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 644.
(2) العقد المفصل حيدر الحلي الصفحة: 114.
(3) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 828؛ أنظر أيضاً: ابن كثير، البداية والنهاية، 1883؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 2362؛ ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، 50.

المؤمنين، هذا بسر بن أرطاة، عدو الله وعدوك. فقال: دعه عليه لعنة الله، أبعد أن فعلها»[1].

بسر ونهاية خلافة الحسن:

«وقدم معاوية بسر بن أرطاة فكانت بينه وبين قيس مناوشة ثم تحاجزوا ينتظرون الحسن؛ قالوا: ونظر الحسن ما يسفك من الدماء وينتهك من المحارم؛ فقال: لا حاجة لي في هذا الأمر وقد رأيت أن أسلمه إلى معاوية فيكون في عنقه تباعة هذا الأمر وأوزاره! فقال له الحسين: أنشدك الله أن لا تكون أول من عاب أباه ورغب عن رأيه؛ فقال الحسن: لتتابعني على ما أقول أو لأنشدنك في الحديد حتى أفرغ منه!! فقال له: الحسين فشأنك به وإني لكاره. فقام الحسن ﷺ خطيباً فذكر رأيه وإيثاره السلامة، فقال الناس: هو خالع نفسه لمعاوية، فشق عليهم ذلك وقد بايعوه على الموت فثاروا به وقطعوا عليه كلامه وخرقوا عليه سرادقه وطعنه رجل في فخذه وانصرفوا عنه إلى الكوفة؛ فحُمل الحسن إلى المدائن وقد نزف دمه فعولج وبعث إلى معاوية يذكر تسليمه الأمر إليه، فكتب إليه معاوية: أما بعد فأنت أولى بهذا الأمر وأحق به لقرابتك وكذا وكذا ولو علمت أنك أضبط له وأحوط على حريم هذه الأمة وأكيد للعدو لبايعتك، فاسأل ما شئت وبعث بصحيفة بيضاء مختومة في أسفلها أن اكتب فيها ما شئت؛ فكتب الحسن أموالاً وضياعاً لشيعة علي وأشهد على ذلك شهوداً من الصحابة وكتب في تسليم الأمر كتاباً على أن يعمل بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء الماضين وأن لا يعهد

(1) ابن مزاحم، وقعة صفين، 135.

بعده إلى أحد ويكون الأمر شورى وأصحاب علي آمنين حيثما كانوا؛ وقيس بن سعد نازل وعلى منازلته عازم، فبعث إليه معاوية على طاعة من تنازعني وقد بايعني صاحبك؟ وبعث إليه بصحيفة بيضاء ووضع خاتمه أسفلها، وقال: سل ما شئت! فلم يسأل قيس غير الأمان له ولمن معه، فآمنهم وانصرفوا، والتقى معاوية مع الحسن على منزل من الكوفة فدخلا الكوفة معاً؛ ثم قال: يا أبا محمد نعرض به لقد جدت بشيءٍ لا تجود بمثله نفوس الرجال فقم وأعلم الناس ذلك! فقام الحسن فحمد الله وأثنى عليه؛ ثم قال: أيها الناس لو طلبتم ما بين جابلق إلى جابلص رجلاً جده رسول الله ما وجدتموه غيري وغير أخي وأن الله تعالى هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا، وإن معاوية نازعني حقاً لي دونه فرأيت أن أمنع الناس الحرب وأسلمه إليه وإن لهذا الأمر مدة؛ وتلا: وإن أدرى لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين؛ فلما تلا الحسن هذه الآية خشي معاوية الاختلاف[1]، فقال له معاوية: اقعد ثم قام خطيباً، فقال: كنت شروطاً في الفرقة أردت بها نظام الألفة وقد جمع الله كلمتنا وأزال فرقتنا وكل شرط شرطته فهو مردود وكل وعد وعدته فهو تحت قدمي هاتين!! فقام الحسن، فقال: إلا وأني اخترت العار على النار!! ليلة القدر خير من ألف شهر؛ وسار إلى المدينة وقام بها إلى أن مات سنة سبع وأربعين من الهجرة»[2].

---

(1) يلخّص ابن خلدون قصة علي معاوية كما يلي: «واختلف أهل العراق على علي وبايع أهل الشام معاوية بالخلافة. فأراد معاوية صرف عمله إلى مصر لما كان يرجو من الاستعانة على حروبه بخراجها».(ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 744).

(2) المطهر بن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ 328؛ أنظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،97.

راجع أيضاً: المبرد، الكامل في اللغة والادب، 308؛ مصعب الزبيري، نسب قريش،84؛ المبرد، التعازي والمراثي،17؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 2328؛ القلقشندي، صبح الأعشى، 2261؛ المطهر بن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ، 326.

الفصل الثالث:

الحسن بن علي

يروى أنّ «الحسن بن علي ﷺ... لما قتل علي بويع[1] له بالكوفة[2] وبويع لمعاوية بالشام وبيت المقدس، فسار معاوية يريد الكوفة وسار الحسن يريده؛ فالتقوا بمسكن من أرض الكوفة فصالح الحسن معاوية وبايع له ودخل معه الكوفة، ثم انصرف معاوية عن الكوفة إلى الشام،

---

(1) «الحسن بن علي بن أبي طالب... وبويع له يوم الأحد التاسع عشر من رمضان، وقيل: في الثاني والعشرين من رمضان سنة أربعين، بايعه أهل الحل والعقد ومن بقي من المهاجرين والأنصار، ومن نكل من بيعة الله فقد بايعه طوعاً إلا من كان بدمشق. ومدة ولايته خمسة أشهر، ثم صالح معاوية وعمره ما بين الأربعين والخمسين. وقيل: عاش اثنتا وأربعين سنة. وقيل: ثمان. وهو أصح». (ظهير الدين البيهقي، لباب الأنساب والألقاب والأعقاب، 20).

(2) «ثم سار إلى معاوية فالتقيا بمسكن من أرض الكوفة، فاصطلحا وسلم إليه الأمر وبايعه لخمس بقين من شهر ربيع الأول، ويقال إنه أعطاه خمس آلاف درهم ورجع إلى المدينة، وقال قوم انه صالحه بأذرح في جمادى الأولى وأخذ مائة ألف دينار، روى ذلك كله الدولابي. وكانت خلافته ستة أشهر وخمسة أيام؛ روى الشعبي قال: أنا شهدت خطبة الحسن ـ يعني حين سلم الأمر إلى معاوية ـ: قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، إن أكيس الكيس التقى وأحمق الحمق الفجور، وإن هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية إنما هو حق لامرئ كان أحق بحقه مني أو حق لي تركته لمعاوية إرادة لصالح الأمة وحقنا لدمائهم، وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين». (ابن خلكان، وفيات الأعيان، 151).

واستعمل على الكوفة المغيرة بن شعبة وعلى البصرة عبد الله بن عامر، ثم جمعهما لزياد»[1].

رواية النويري، برأينا، هي الأوضح والأكمل: «كان علي بن أبي طالب ﷺ قد بايعه أربعون ألفاً من عسكره على الموت، وتجهز لقصد الشام لقتال معاوية فقُتل قبل ذلك. فلما بايع الناس الحسن تجهز بهذا الجيش، وسار من الكوفة في شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين، وذلك عندما بلغه مسير معاوية إليه في أهل الشام. ووصل الحسن إلى المدائن، وجعل قيس بن سعد بن عبادة على مقدمته في اثني عشر ألفاً، وقيل: بل كان الحسن قد جعل على مقدمته عبيد الله بن عباس، فجعل عبيد الله على مقدمته في الطلائع قيس بن سعد. ووصل معاوية مسكن. فلما نزل الحسن المدائن نادى منادٍ في العسكر: ألا إن قيس بن سعد قتل فانفروا. فنفروا. وأتوا سرادق الحسن، وانتهبوا ما فيه، حتى نازعوه بساطاً كان تحته، وأخذوا رداءه من ظهره، ووثب عليه رجل من الخوارج من بني أسد يقال له ابن أقيصر بخنجر مسموم فطعنه به في إليته، ووثب الناس على الأسدي فقتلوه. فازداد لهم بغضاً ومنهم ذعراً، ودخل المقصورة البيضاء بالمدائن، وكان الأمير على المدائن سعد بن مسعود الثقفي، عم المختار بن أبي عبيد، فقال له المختار وهو شاب: هل لك في الغنى والشرف؟ قال: وما ذاك؟ قال: تستوثق من الحسن وتستأمن به إلى معاوية. فقال له عمه: «عليك لعنة الله! أثب على ابن بنت رسول الله وأوثقه؟ بئس الرجل أنت! «فلما رأى الحسن ﷺ تفرّق الناس عنه كتب إلى معاوية وشرط شروطاً، وقال: إن أعطيتني هذا فأنا سامع مطيع، وعليك أن تفي لي به. وقال لأخيه

(1) ابن قتيبة الدينوري، المعارف، 48.

الحسين وعبد الله ابن جعفر: إنني قد أرسلت إلى معاوية في الصلح. فقال له الحسين: أنشدك الله أن لا تصدق أحدوثة معاوية وتكذب أحدوثة أبيك! فقال له الحسن: اسكت أنا أعلم بالأمر منك. فلما انتهى كتاب الحسن إلى معاوية أمسكه، وكان قد أرسل عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة بن جندب إلى الحسن قبل وصول الكتاب إليه، ومعهما صحيفة، بيضاء مختوم على أسفلها، وكتب إليه: أن اشترط في هذه الصحيفة التي ختمت أسفلها ما شئت فهو لك. فلما أتت الصحيفة إلى الحسن اشترط أضعاف الشروط التي سأل معاوية قبل ذلك، وأمسكها عنده. فلما سلم الحسن ﵁ الأمر لمعاوية، طلب الحسن أن يعطيه الشروط التي اشترطها في الصحيفة التي ختم عليها معاوية فأبى ذلك، قال: قد أعطيتك ما كتبت تطلب. قال: ولما اصطلحا قام الحسن ﵁ في أهل العراق فقال: «يا أهل العراق إنه سخي بنفسي عنكم ثلاث: قتلكم أبي وطعنكم إياي وانتهابكم متاعي».قال: وكان الذي طلب الحسن من معاوية أن يعطيه ما في بيت مال الكوفة ومبلغه خمسة آلاف ألف. وقيل: سبعة آلاف ألف وخراج داره بجرد من فارس وأن لا يشتم علي[1]. فلم يجبه إلى الكف عن شتم

---

(1) «معاوية استعمل المغيرة بن شعبة على الكوفة سنة إحدى وأربعين، فلما أمره عليها دعاه وقال له:... لا تترك شتم علي وذمه، والترحم على عثمان والاستغفار له، والعيب لأصحاب علي والإقصاء لهم، والإطراء بشيعة عثمان والإدناء لهم. (ابن الأثير المؤرخ، الكامل في التاريخ، 630). أنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1192؛ البلاذري، أنساب الأشراف، 584؛ 662. «وكان حجر بن عدي الكندي، وعمرو بن الحمق الخزاعي وأصحابهما من شيعة علي بن أبي طالب، إذا سمعوا المغيرة وغيره من أصحاب معاوية، وهم يلعنون علياً على المنبر، يقومون فيردون اللعن عليهم، ويتكلمون في ذلك» (اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 200)؛ نال بُسْرُ بن أرطأة مِن علي بن أبي طالب عند معاوية، وزيدُ بن عمر بن الخطاب جالس، فعلا بُسْراً ضرباً حتى

علي، فطلب أن لا يشتم وهو يسمع، فأجابه إلى ذلك، ثم لم يف له به أيضاً. فأما خراج دار بجرد فإن أهل البصرة منعوه منه وقالوا: هو فيئنا، لا

شَجّه.... ولما مات الحسنُ بن عليّ حَجّ معاوية، فدخل المدينة وأراد أن يَلْعن عليًا على مِنبر رسول الله صلى عليه وسلم. فقيل له: إن هاهنا سعدَ بن أبي وقاص، ولا نراه يرضى بهذا، فابعث إليه وخُذ رأيه. فأرسل إليه وذكر له ذلك. فقال: إن فعلت لأخرُجن مِن المسجد، ثم لا أعود إليه. فأمسك معاوية عن لعنه حتى مات سعد. فلما مات لَعنه عَلَى المنبر، وكتب إلى عماله أن يَلعنوه على المنابر، ففعلوا. فكتبتْ أم سَلمة زوج النبيّ صلى عليـه وسلم إلى معاوية: إنكم تلعن الله ورسولَه على منابركم، وذلك أنكم تلعنون عليّ بن أبي طالب ومن أحبّه، وأنا أشهد أن الله أحبَّه ورسولَه، فلم يلتفت إلى كلامها. (ابن عبد ربّه الأندلسي، العقد الفريد، 267)؛ «وحسبك من ذلك أنهم كانوا يلعنون علياً ﷺ على منابرهم، فلما نهى عمر عن ذلك عد محسناً،... وهذا الشعر يدل على أن شتم علي ﷺ قد كان لهم عادة، حتى مدح من كف عنه، ولما ولي خالد بن عبد الله القسر في مكة ـ وكان إذا خطب بها لعن علياً والحسن والحسين ﷺم...قال المغيرة وهو عامل معاوية يومئذ لصعصعة بن صوحان: قم فالعن علياً، فقام فقال: إن أميركم هذا أمرني أن ألعن علياً، فالعنوه لعنه الله! وهو يضمر المغيرة. وأما عبد الملك... رأى من أبلغ التدبير في منع بني هاشم الخلافة أن يلعن علي بن أبي طالب ﷺ على منابره، ويرمي بالفجور في مجالسه» (ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1645)؛ «جمع عبد الله بن عروة بنيه، ثم قال: إن بني أمية من عهد معاوية إلى اليوم يهدمون بشرف علي، فلا يزيده الله إلا شرفاً وفضلاً ومحبةً في قلوب المؤمنين، يا بنيّ، فلا تشتموا علياً» (ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 1807). «عن عائشة بنت سعد: أن مروان بن الحكم كان يعود سعد بن أبي وقاص، فقال: ويلك يا مروان، أنهَ طاعتك ـ يعني أهل الشام ـ عن شتم علي بن أبي طالب. فغضب مروان، فقام وخرج مغضباً» (ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 3246). ««شتم رجل معاوية عند عمر بن عبد العزيز، فأمر بضربه ثلاثة أسوا» (البلاذري، أنساب الأشراف، 1081)؛ ««لما قام السفاح قال له أحمد بن يوسف: لو أمرت بلعن معاوية على المنابر كما سن اللعن على علي ﷺ؛ فأبى» (الزمخشري، ربيع الأبرار، 170)؛ ««كعب بن جعيل... شاعر مفلق في أول الإسلام وهو أقدم من الأخطل والقطامي وقد لحقا به وكانا معه وهو شاعر معاوية بن أبي سفيان وأهل الشام يمدحهم ويرد عنهم ويرثي موتاهم ويذم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ» (المرزباني، معجم الشعراء، 73).

نعطيه أحداً. وقيل: كان منعهم بأمر معاوية أيضاً. وقيل: إن معاوية أجرى على الحسن ﷺ بعد ذلك في كل سنة ألف ألف درهم. وتسلم معاوية الأمر لخمس بقين من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين. وقيل: في شهر ربيع الآخر. وقيل: في جمادى الأولى في النصف منه. وقيل: إنما سلم الحسن الأمر إلى معاوية؛ لأنه لما راسله معاوية في تسليم الخلافة إليه خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال: «إنا والله ما يثنينا عن أهل الشام شك ولا ندم، وإنما كنا نقاتل أهل الشام بالسلامة والصبر، فشيبت السلامة بالعداوة والصبر بالجزع، وكنتم في مسيركم إلى صفين ودينكم أما دنياكم، وأصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم، ألا وقد أصبحتم بين قتيلين: قتيل بصفين تبكون له، وقتيل بالنهروان تطلبون ثأره، وأما الباقي فخاذل، وأما الباكي فثائر، ألا وإن معاوية دعانا إلى أمر ليس فيه عزٌّ ولا نصفه، فإذا أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه إلى الله عز وجل بظبا السيوف، فإن أردتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضا». فناداه الناس من كل جانب: البقية البقية، فأمضى الصلح»[1].

ثمة تفاصيل تنقصها الرواية السابقة: «قال المدائني: ولما توفي علي ﷺ قام عبد الله بن العباس بن عبد المطلب إلى الناس، فقال: إن أمير المؤمنين ﷺ توفي، وقد ترك خلفاً، فإن أحببتم خرج إليكم، وإن كرهتم فلا أحد على أحد، فبكى الناس، وقالوا: بل يخرج إلينا، فخرج الحسن ﷺ، فخطبهم[2] فقال: أيها الناس، اتقوا الله، فإنا أمراؤكم

(1) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 2384.
(2) «قام الحسن بعد موت أبيه أمير المؤمنين؛ فقال:... إنا والله ما ثنانا عن أهل الشام شك ولا ندم، وإنما كنا نقاتل أهل الشام بالسلامة والصبر، فسلبت السلامة بالعداوة،

وأولياؤكم، وإنّا أهل البيت الذين قال الله تعالى فينا: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً»، فبايعه الناس.... ثم وجّه عبد الله بن عباس ومعه قيس بن سعد بن عبادة مقدمة له في اثني عشر ألفاً إلى الشام، وخرج وهو يريد المدائن، فطعن بساباط وانتهب متاعه، ودخل المدائن، وبلغ ذلك معاوية، فأشاعه، وجعل أصحاب الحسن الذين وجههم مع عبد الله يتسللون إلى معاوية، الوجوه وأهل البيوتات. فكتب عبد الله بن العباس بذلك إلى الحسن ﷺ عنه فخطب الناس ووبخهم، وقال: خالفتم أبي حتى حكم وهو كاره، ثم دعاكم إلى قتال أهل الشام بعد التحكيم، فأبيتم حتى صار إلى كرامة الله، ثم بايعتموني على أن تسالموا من سالمني، وتحاربوا من حاربني[1]، وقد أتاني أن أهل الشرف منكم قد أتوا معاوية، وبايعوه، فحسبي منكم، لا تغروني من ديني ونفسي. كتب ابن العباس إلى الحسن: أما بعد فإن المسلمين ولّوك أمرهم بعد علي ﷺ،

والصبر بالجزع، وكنتم في منتدبكم إلى صفين ودينكم أمام دنياكم، فأصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم، ألا وإنا لكم كما كنا، ولستم لنا كما كنتم، ألا وقد أصبحتم بين قتيلين: قتيل بصفين تبكون له، وقتيل بالنهروان تطلبون بثأره، فأما الباقي فخاذل، وأما الباكي فثائر، ألا وإن معاوية دعانا إلى أمر ليس فيه عز ولا نصفة، فإن أردتم الموت رددناه عليه، وحاكمناه إلى الله عز وجل بظبا السيوف، وإن أردتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضا، فناداه القوم من كل جانب: البقية البقية، فلما أفردوه أمضى الصلح». (ابن الأثير المؤرّخ، أسد الغابة، 261).

(1) «وخطب الحسن أهل العراق وقال سخى نفسي عنكم ثلاث: قتل أبي وطعني وانتهاب بيتي، ثم قال ألا وقد أصبحتم بين قبيلتين، قبيل بصفين يبكون له، وقبيل بالنهروان يطلبون بثأره. وأما الباقي فخاذل وأما الباكي فثائر. وإن معاوية دعانا إلى أمر ليس فيه عز ولا نصفة، فإن أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه إلى الله بظبى السيوف، وإن أردتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضى. فناداه الناس من كل جانب البقية الباقية فأمضي الصلح. ثم بايع لمعاوية لستة أشهر من بيعته، ودخل معاوية الكوفة وبايعه الناس». (ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 748).

فشمر للحرب، وجاهد عدوك، وقارب أصحابك، واشتر من الظنين دينه بما لا يثلم لك ديناً، ووال أهل البيوتات والشرف، تستصلح به عشائرهم، حتى يكون الناس جماعة، فإن بعض ما يكره الناس ـ ما لم يتعد الحق، وكانت عواقبه تؤدي إلى ظهور العدل، وعز الدين ـ خير من كثير مما يحبه الناس إذا كانت عواقبه تدعو إلى ظهور الجور وذل المؤمنين، وعز الفاجرين، واقتد بما جاء عن أئمة العدل، فقد جاء عنهم أنه لا يصلح الكذب إلا في حرب أو إصلاح بين الناس، فإن الحرب خدعة، ولك في ذلك سعة إذا كنت محارباً، ما لم تبطل حقاً»[1].

في نصٍ آخر، نقرأ: «في ربيع الآخر سار أمير المؤمنين الحسن بن علي في جيوشه يقصد معاوية. وسار معاوية في جيوشه. فدخل العراق وتنازل الجمعان بمسكن من ناحية الأنبار. فرأى الحسن من عسكره الاختلاف عليه وقلة الخير. وكان سيداً وادعاً لا يرى سفك الدماء. واتفق أنه وقع في معسكره هوشة وخبطة، ووقع النهب حتى إنهم نهبوا فسطاطه، وضربه رجل من الخوارج بخنجر مسموم في إليته فخدشه. فتألم ومقت أهل العراق. ورأى الصلح أولى... فراسل معاوية وشرط عليه شروطاً بادر إليها معاوية بالإجابة، ثم سلم إليه الخلافة، على أن تكون الأمر من بعده للحسن، وعلى أن يمكنه أخذ ما شاء من بين المال ليقضي منه دينه وعداته وغير ذلك[2]. [وروي] أن أهل العراق بايعوا

(1) ابن أبي الحديد، شرح النهج، 1668.

(2) » معاوية: ... إني صالحتك على أن لك الأمر من بعدي، ولك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله محمد ﷺ وأشد ما اخذه الله على أحد من خلقه من عهد وعقد، لا أبغيك غائلة ولا مكروهاً، وعلى أن أعطيك في كل سنة ألف ألف درهم من بيت المال، وعلى أن لك خراج فسا، ودرأبجرد، تبعث إليهما عمالك وتصنع بهما ما بدا لك.

الحسن، وسار بهم نحو الشام. وجعل على مقدمته قيس بعد سعد. وأقبل معاوية حتى نزل منبج. فبينا الحسن بالمدائن إذ نادى مناد في عسكره: قتل قيس بن سعد[1]. فشد الناس على خيمة الحسن فنهبوها.

فلما قرأ الحسن الكتاب قال: يطمعني معاوية في أمر لو أردت لم أسلمه إليه. هذا ما صالح عليه الحسن بن علي معاوية ... على أن يعمل فيها بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء الصالحين، وعلى أنه ليس لمعاوية أن يعهد لأحد من بعده، وأن يكون الأمر شورى والناس آمنون حيث كانوا على أنفسهم وأموالهم وذراريهم، وعلى أن لا يبغي الحسن بن علي غائلة سراً ولا علاهية، ولا يخيف أحداً من أصحابه. (البلاذري، أنساب الأشراف، 386).

(1) وكتب الحسن إلى قيس بن سعد يأمره بطاعة معاوية فقام قيس في أصحابه فقال: نحن بين القتال مع غير إمام أو طاعة إمام ضلالة فقال له الناس: طاعة الإمام أولى. وانصرفوا إلى معاوية فبايعوه وامتنع قيس وانصرف. فلما دخل معاوية الكوفة أشار عليه عمرو بن العاص أن يقيم الحسن للناس خطيباً ليبدو للناس عيه، فلما قدم حمد الله وقال: أيها الناس إن الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا وإن لهذا الأمر مدة، وإن الدنيا دول والله عز وجل يقول لنبيه: «وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين». فقال له معاوية: إجلس وعرف أنه خدع في رأيه..... وأقام قيس بن سعد على امتناعه من البيعة، وكان معاوية قد بعث عبد الله بن عامر في جيش إلى عبيد الله بن عباس لما كتب إليه في الأمان بنفسه فلقيه ليلاً وأمنه وسار معه إلى معاوية فقام بأمر العسكر بعده قيس بن سعد، وتعاقدوا على قتال معاوية حتى يشترط لشيعة علي على دمائهم وأموالهم وما كانوا أصابوا في الفتنة. وبلغ الخبر إلى معاوية وأشار عليه عمرو في قتاله، فقال معاوية: يقتل في ذلك أمثالهم من أهل الشام ولا خير فيه، ثم بعث إليه بصحيفة ختم في أسفلها وقال: اكتب في هذا ما شئت فهو لك: فكتب قيس له ولشيعته الأمان على ما أصابوا من الدماء والأموال ولم يسأل مالاً، فأعطاه معاوية ذلك لك وبايعه قيس والشيعة الذين معه. ثم جاء سعد بن أبي وقاص فبايعه واستقر الأمر معاوية واتفق الجماعة على بيعته وذلك في منتصف سنة إحدى وأربعين، وسمي ذلك العام عام الجماعة من أجل ذلك. ثم خرج عليه الخوارج من كل جهة من بقية أهل النهروان وغيرهم، فقاتلهم واستلحمهم كما يأتي في أخبارهم على ما اشترطناه في تأليفنا من أفراد الأخبار عن الدول أهل النحل دولة دولة وطائفة طائفة.(ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 748).

وطعنه رجل بخنجر، فتحول إلى القصر الأبيض، وسبهم وقال: لا خير فيكم. قتلتم أبي بالأمس واليوم تفعلون بي هذا. ثم كتب إلى معاوية على أن يسلم إليه بيت المال، وأن لا يسب علياً بحضرته، وأن يحمل إليه خراج فسا ودار ابجرد كل سنة. فأجابه. فكتب إليه أن أقبل. فسار معاوية من منبج إلى مسكن في خمسة أيام. فسلم إليه الحسن الأمر، ثم سارا حتى دخلا جميعاً الكوفة. وتسلم الحسن بيت المال، وكان فيه سبعة آلاف ألف درهم[1]، فاحتملها وتجهز إلى المدينة، وأجرى معاوية على الحسن في السنة ألف ألف درهم[2]. وقال عمرو بن دينار: لما توفي علي بعث معاوية عهداً: إن حدث به حدث [مات] ليجعلن هذا الأمر إلى الحسن. وصح في البخاري عن الحس البصري قال: استقبل والله الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال. فقال عمرو بن العاص: إني لأرى كتائب لا تولّي حتى يقتل أقرانها. فقال له معاوية، وكان والله خير الرجلين: أي عمرو. إن قتل هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء، من لي بأمور المسلمين؟ من لي بنسائهم وضعفتهم؟ فبعث إليه برجلين: عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عامر بن كريز في الصلح»[3].

يقال إن الحسن «كان يوم [معركة] الجمل... يكره القتال ويشير على أبيه بتركه. وبويع بعد قتل أبيه بالخلافة، بايعه أهل الكوفة، وكانوا تسعين

---

(1) بايع الحسن بن علي معاوية ﷺم وأعطاه معاوية مائتي ألف دينار. (محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، 10).

(2) ثم اشترط عليه شروطا فقبلها معاوية وحملها له قيل أنه أخذ منه مائة ألف درهم وقيل أربعمائة ألف دينار وقيل أنه شرط عليه أن يمكنه بما في بيت مال المسلمين فمكنه. (الحسين بن محمد الورثيلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، 323).

(3) الذهبي، العبر في خبر من عبر، 8.

ألفاً أو نحوها، وأطاعوه وأحبوه أشد من حبهم لأبيه، فبقي فيها ستة أشهر أو سبعة أو نحو ذلك... وكان أهل العراق قد خذلوه في قتال معاوية، ونهب سرادقه، وطعن بخنجر، فكتب إلى معاوية بالصلح، فقدم عليه، وبايعه... ولم يحمل إليه الخراج.

وعرض للحسن رجلٌ، فقال: يا مسود[1] وجوه المسلمين. وقال آخر: يا مسخم[2] وجوه المؤمنين، وكان أصحابه يقولون: يا عار المؤمنين[3]. فيقول لهم: العار[4]، خيرٌ من النار[5]. ولما بايع الحسن معاوية؛ قال عمرو

---

(1) قام رجل إلى الحسن بن علي بعد ما بايع معاوية، فقال: سودت وجوه المؤمنين، أو: يا مسود وجوه المؤمنين، فقال: لا تؤنبني،(ابن الأثير المؤرّخ، أسد الغابة، 261).

(2) ... أتى مالك بن ضمرة الحسن بن علي فقال: السلام عليك يا مسخم وجوه المؤمنين، قال: يا مالك، لا تقل ذلك، إني لما رأيت الناس تركوا ذلك إلا أهله خشيت أن يجتثوا عن وجه الأرض؛ فأردت أن يكون للدين في الأرض ناع، فقال: بأبي أنت وأمي «ذرية بعضها من بعض». قال جبير بن نفير الحضرمي: قلت للحسن بن علي: إن الناس يزعمون أنك تريد الخلافة، فقال: كانت جماجم العرب بيدي، يسالمون من سالمت، ويحاربون من حاربت، فتركتها ابتغاء وجه الله ثم أثيرها باتئاس أهل الحجاز؟!.(ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 907).

(3) ا فكان أصحاب الحسن يقولون له: يا عار أمير المؤمنين!! فيقول: العار خير من النار.(ابن حجر العسقلاني، الإصابة في معرفة الصحابة، 225).

(4) أتى مالك بن ضمرة الحسن فقال: السلام عليك يا مسخم وجوه المؤمنين فقال لا تقل هذا وذكر كلاماً يعتذر به ﷺ وقال له آخر يا مذل المؤمنين! فقال لا ولكن كرهت أن أقتلكم على الملك. عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قلت للحسن: يقولون إنك تريد الخلافة فقال كانت جماجم العرب في يدي يسالمون من سالمت ويحاربون من حاربت فتركتها لله ثم ابتزها بأتياس الحجاز؟.رواه الطيالسي في «مسنده» عن شعبة عن يزيد بن خمير فقال مرة: عن عبد الرحمن بن نمير عن أبيه. قال ابن أبي حاتم في «العلل» وهذا أصح. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، 327)؛ قيل للحسن بن علي ـ ﷺ ـ لما صالح معاوية: يا عار المؤمنين. فقال: العار خيرٌ من النار.(أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، 89).

(5) كنا مقدمة الحسن بن علي اثنا عشر ألفاً بمسكن مستميتين تقطر أسيافنا من الحد على

بن العاص وأبو الأعور السلمي: لو أمرت الحسن، فصعد المنبر[1]، فتكلم

قتال أهل الشام وعلينا أبو العمرطة فلما جاءنا صلح الحسن بن علي كأنما كسرت ظهورنا من الغيظ فلما قدم الحسن بن علي الكوفة قال: له رجل منا يقال له: أبو عامر سفيان بن الليل: السلام عليك يا مذل المؤمنين فقال: لا تقل ذلك يا أبا عامر لست بمذل المؤمنين ولكن كرهت أن أقتلهم على الملك. وقال عبد الرحمن جبير بن نفير عن أبيه قلت للحسن بن علي: إن الناس يزعمون أنك تريد الخلافة فقال: كانت جماجم العرب بيدي يسالمون من سالمت ويحاربون من حاربت فتركتها ابتغاء وجه الله ثم ابتزها بأتياس أهل الحجاز؟! (المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، 575).

(1) أبو الحسن المدائني قال: سأل معاوية الحسن بن علي بعد الصلح أن يخطب الناس، فامتنع، فناشده أن يفعل، فوضع له كرسي، فجلس عليه، ثم قال: الحمد لله الذي توحد في ملكه، وتفرد في ربوبيته، يؤتي الملك من يشاء، وينزعه عمن يشاء. والحمد لله الذي أكرم بنا مؤمنكم، وأخرج من الشرك أولكم، وحقن دماء آخركم، فبلاؤنا عندكم قديماً وحديثاً أحسن البلاء، إن شكرتم أو كفرتم. أيها الناس، إن رب علي كان أعلم بعلي حين قبضه إليه، ولقد أختصه بفضل لم تعتادوا مثله، ولم تجدوا مثل سابقته، فهيهات هيهات! طالما قلبتم له الأمور حتى أعلاه الله عليكم وهو صاحبكم، وعدوكم في بدر وأخواتها، جرعكم رنقاً، وسقاكم علقاً، وأذل رقابكم، وأشرقكم بريقكم، فلستم بملومين على بغضه. وأيم الله لا ترى أمة محمد خفضاً ما كانت سادتهم وقادتهم في بني أمية، ولقد وجه الله إليكم فتنة لن تصدوا عنها حتى تهلكوا، لطاعتكم طواغيتكم، وانضوائكم إلى شياطينكم، فعند الله أحتسب ما مضى وما ينتظر من سوء دعتكم، وحيف حكمكم. ثم قال: يا أهل الكوفة لقد فارقكم بالأمس سهم من مرامي الله، صائب على أعداء الله، نكال على فجار قريش، لم يزل آخذاً بحناجرها، جاثماً على أنفاسها، ليس بالملومة في أمر الله، ولا بالسروقة لمال الله، ولا بالفروقة في حرب أعداء الله، أعطى الكتاب خواتمه وعزائمه، دعاه فأجابه، وقاده فاتبعه، لا تأخذه في الله لومة لائم، فصلوات الله عليه ورحمته. ثم نزل. فقال معاوية: أخطأ عجل أو كاد، وأصاب مثبت أو كاد، ماذا أردت من خطبة الحسن!(ابن أبي الحديد، شرح النهج، 1671؛ أبو الفرج الأصبهاني، مقاتل الطالبين، 13).

فإنه عييٌّ[1] في المنطق فيزهد فيه الناس فقال معاوية: لا تفعلوا[2]، فوالله لقد رأيت رسول الله ﷺ يمص لسانه وشفته، ولن يعيي لسان مصه رسول الله ﷺ، أو شفةٌ»[3].

(1) ولما دخل معاوية الكوفة وبايعه الناس قال عمرو بن العاص لمعاوية: لتأمر الحسن ليخطب، فقال: لا حاجة بنا إلى ذلك، قال عمرو: لكني أريد ذلك ليبدو عيه، فإنه لا يدري هذه الأمور، فقال له معاوية: قم يا حسن فكلم الناس فيما جرى بيننا، فقام الحسن في أمر لم يرو فيه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال في بديهته: أما بعد، أيها الناس، فإن الله هداكم بأولنا، وحقن دماءكم بآخرنا، ألا إن أكيس الكيس التقى، وإن أعجز العجز الفجور، وإن هذا الأمر الذي اختلف أنا ومعاوية فيه: إما أن يكون أحق به مني، وإما أن يكون حقي تركته لله عز وجل، ولإصلاح أمة محمد ﷺ حقن دمائكم، ثم التفت إلى معاوية وقال: «وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين» فأمره معاوية بالنزول، وقال لعمرو: ما أردت إلا هذا. (ابن الأثير المؤرّخ، أسد الغابة، 261).

(2) لما دخل معاوية الكوفة حين سلم الأمر إليه الحسن بن علي كلم عمرو بن العاص معاوية أن يأمر الحسن بن علي فيخطب الناس فكره ذلك معاوية؛ وقال: لا حاجة بنا إلى ذلك! قال: عمرو ولكني أريد ذلك ليبدو عيه فإنه لا يدري هذه الأمور ما هي لم يزل بمعاوية حتى أمر الحسن أن يخطب وقال له قم يا حسن وكلم الناس فيما جرى بيننا. فقام الحسن فتشهد وحمد الله وأثنى عليه ثم قال في بديهته أما بعد أيها الناس فإن الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا وإن لهذا الأمر مدة والدنيا دول وإن الله عز وجل يقول: «وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون أنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون إن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين». الأنبياء: 109: 111. فلما قالها قال له معاوية اجلس فجلس ثم قام معاوية فخطب الناس ثم قال لعمرو هذا من رأيك.

... عن الشعبي قال لما جرى الصلح بين الحسن بن علي ومعاوية قال له معاوية قم فاخطب الناس واذكر ما كنت فيه.

فقام الحسن فخطب فقال الحمد الله الذي هدى بنا أولكم وحقن بنا دماء آخركم ألا إن أكيس الكيس التقي وأعجز العجز الفجور وإن هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية إما أن يكون كان أحق به مني وإما أن يكون حقي فتركته لله ولإصلاح أمة محمد ﷺ وحقن دمائهم قال ثم التفت إلى معاوية فقال: «وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين». الأنبياء:111. ثم نزل. فقال عمرو لمعاوية ما أردت إلا هذا. (ابن عبد البرّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، 115)؛ راجع: البلاذري، أنساب الأشراف، 389.

(3) الصفدي، الوافي بالوفيات، 1662.

«بايع أهل العراق بعد علي، الحسن بن علي، فسار إلى أهل الشام وفي مقدمته قيس بن سعد في اثني عشر ألفاً يسمون شرطة الجيش فنزل قيس بمسكن من الأنبار ونزل الحسن المدائن فنادى مناد في عسكر الحسن: ألا إن قيس بن سعد قتل!! فوقع الانتهاب في العسكر حتى انتهبوا فسطاط الحسن، وطعنه رجل من بني أسد بخنجر... فقال عبد الله بن جعفر: قال الحسن: إني رأيت رأياً أحب أن تتابعني عليه؛ قلت: ما هو؟ قال: رأيت أن أعمد إلى المدينة فأنزلها وأخلي الأمر لمعاوية فقد طالت الفتنة وسفكت الدماء وقطعت السبل! قال: فقلت له: جزاك الله خيراً عن أمة محمد! فبعث إلى حسين فذكر له ذلك فقال: أعيذك بالله فلم يزل به حتى رضي.... جمع الحسن رؤوس أهل العراق في هذا القصر - قصر المدائن - فقال: إنكم قد بايعتموني على أن تسالموا من سالمت وتحاربوا من حاربت وإني قد بايعت معاوية فاسمعوا له وأطيعوا»[1] [2].

«وسلّم الأمر الحسن إلى معاوية في النصف من جمادى الأولى من

---

(1) ابن حجر العسقلاني، الإصابة في معرفة الصحابة، 225.

(2) لما أراد الحسن المسير من المدائن إلى الكوفة حين جاءه ابن عامر وابن سمرة بكتاب الصلح وقد أعطاه فيه معاوية ما أراد، خطب فقال في خطبته: «وعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً»، وسار إلى الكوفة، فلقي معاوية بالكوفة فبايعه، وبايعه عمرو بن سلمة الهمداني، فقال له معاوية: يا حسن - أو يا أبا محمد - قم فاعتذر، فأبى، فأقسم عليه فقام... إن معاوية نازعني حقاً هو لي فتركته لصلاح الأمة وحقن دمائها، وقد بايعتموني على أن تسالموا من سالمت، وقد رأيت أن أسالمه وقد بايعته، ورأيت أن ما حقن الدماء خير مما سفكها،... وإما لجور حق بي التمست به صلاح أمر أمة محمد، البلاذري، أنساب الأشراف، 386 ؛... ولما بايع الحسن معاوية خطب الناس قبل دخول معاوية الكوفة فقال: أيها الناس، إنما نحن أمراؤكم وضيفانكم، ونحن أهل بيت نبيكم الذين أذهب الله عنهم الرجس، وطهرهم تطهيرا، وكرر ذلك حتى ما بقي إلا من بكى حتى سمع نشيجه. (ابن الأثير المؤرّخ، أسد الغابة، 261).

سنة إحدى وأربعين فبايع الناس معاوية حينئذ ومعاوية يومئذ ابن ست وستين إلا شهرين... ولا خلاف بين العلماء أن الحسن إنما سلّم الخلافة لمعاوية حياته لا غير ثم تكون له من بعده وعلى ذلك انعقد بينهما ما انعقد في ذلك ورأى الحسن ذلك خيراً من إراقة الدماء في طلبها وإن كان عند نفسه أحق بها»[1].

«وبويع بالخلافة يوم اجتماع الحكمين، وقيل ببيت المقدس بعد قتل علي، وبويع البيعة التامة لما خلع الحسن نفسه، وسلم الأمر إليه، واستمر معاوية في الخلافة»[2].

«فأرسل إليه الحسن يبذل له تسليم الأمر إليه على أن تكون له الخلافة من بعده وعلى أن لا يطالب أحداً من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان أيام أبيه وعلى أن يقضي عنه ديونه... فكان أصحابه يقولون له: يا عار المؤمنين! فيقول: العار خير من النار! وقال له رجل: السلام عليك يا مذل المؤمنين! فقال: لست بمذل المؤمنين ولكني كرهت أن أقتلكم على الملك... قال: قد كان جماجم العرب في يدي يحاربون من حاربت ويسالمون من سالمت فتركتها ابتغاء وجه الله وحقن دماء أمة محمد ﷺ ثم أبتزها بأتياس أهل الحجاز.... أضاق الحسن بن علي وكان عطاؤه في كل سنة مائة ألف فحبسها عنه معاوية في إحدى السنين فأضاق إضاقة شديدة... فوالله ما ألححت به أسبوعاً حتى بعث إلى معاوية بألف ألف وخمسمائة ألف»[3].

(1) ابن عبد البرّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، 115.
(2) أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، 127.
(3) السيوطي، تاريخ الخلفاء، 78؛ راجع: العصامي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، 544.

«كانت البيعة للحسن بن علي بايعه أربعون ألفاً وقال: جرير ابن حازم لما قتل علي بايع أهل الكوفة الحسن بن علي وأطاعوه وأحبوه أشد من حبهم لأبيه[1]... عن عمرو بن دينار أن معاوية كان يعلم أن الحسن كان أكره الناس للفتنة فلما توفي علي بعث إلى الحسن فأصلح الذي بينه وبينه سراً... فلما توثق منه الحسن قال: عبد الله بن جعفر والله إني لجالس عند الحسن إذ أخذت لأقوم فجذب ثوبي وقال: يا هناه اجلس فجلست قال: إني قد رأيت رأياً وإني أحب أن تتابعني عليه قال قلت: ما هو؟ قال: قد

---

(1) قال جرير بن حازم: قتل علي فبايع أهل الكوفة الحسن وأحبوه أشد من حب أبيه. وقال الكلبي: بويع الحسن فوليها سبعة أشهر وأحد عشر يوماً ثم سلم الأمر إلى معاوية. وقال عوانة بن الحكم: سار الحسن حتى نزل المدائن وبعث قيس ابن سعد على المقدمات وهم اثنا عشر ألفاً فوقع الصائح: قتل قيس فانتهب الناس سرادق الحسن ووثب عليه رجل من الخوارج فطعنه بالخنجر فوثب الناس على ذلك فقتلوه. فكتب الحسن إلى معاوية في الصلح.... أن أهل العراق لما بايعوا الحسن قالوا له: سر إلى هؤلاء الذين عصوا الله ورسوله وارتكبوا العظائم فسار إلى أهل الشام وأقبل معاوية حتى نزل جسر منبج فبينا الحسن بالمدائن إذ نادى مناد في عسكره: ألا إن قيس بن سعد قد قتل فشد الناس على حجرة الحسن فنهبوها حتى انتهبت بسطه وأخذوا رداءه وطعنه رجل من بني أسد في ظهره بخنجر مسموم في أليته فتحول ونزل قصر كسرى الأبيض، وقال: عليكم لعنة الله من أهل قرية قد علمت أن لا خير فيكم قتلتم أبي بالأمس واليوم تفعلون بي هذا ثم كاتب معاوية في الصلح على أن يسلم له ثلاث خصال: يسلم له بيت المال فيقضي منه دينه ومواعيده ويتحمل منه هو وآله ولا يسب علي وهو يسمع وأن يحمل إليه خراج فسا ودرابجرد كل سنة إلى المدينة فأجابه معاوية وأعطاه ما سأل. ويقال: بل أرسل عبد الله بن الحارث بن نوفل إلى معاوية حتى أخذ له ما سأل فكتب إليه الحسن: أن أقبل فأقبل من جسر منبج إلى مسكن في خمسة أيام فسلم إليه الحسن الأمر وبايعه حتى قدما الكوفة ووفى معاوية للحسن ببيت المال وكان فيه يومئذ سبعة آلاف ألف درهم فاحتملها الحسن وتجهز هو وأهل بيته إلى المدينة وكف معاوية عن سب علي والحسن يسمع أجرى معاوية على الحسن كل سنة ألف ألف درهم وعاش الحسن بعد ذلك عشر سنين. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، 324).

رأيت أن أعمد إلى المدينة وأنزلها وأخلي بين معاوية وبين هذا الحديث فقد طالت الفتنة وسفكت فيها الدماء وقطعت فيها الأرحام وقطعت السبل وعطلت الفروج ـ يعني الثغور ـ فقال ابن جعفر جزاك الله عن أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم خيراً فأنا معك على هذا الحديث فقال الحسن ادع لي الحسين فبعث إلى الحسين فأتاه فقال أي أخي إني قد رأيت رأياً وإني أحب أن تتابعني عليه قال: ما هو؟ فقص عليه الذي قص على ابن جعفر قال: الحسين أعيذك بالله أن تكذب علياً في قبره وتصدق معاوية فقال الحسن والله ما أردت أمراً قط إلا خالفتني إلى غيره والله لقد هممت أن أقذفك في بيت فأطينه عليك حتى أقضي أمري فلما رأى الحسين غضبه قال: أنت أكبر ولد علي وأنت خليفته وأمرنا لأمرك تبع فأفعل ما بدا لك»[1].

معاوية والحسن: الدافع الماديّ!

يقال إنّ معاوية «توفي وله من الأموال التي استصفاها من مال كسرى وقيصر خمسون ألف ألفَ درهم»[2]؛ أما عامله زياد فقد «كان يجبي من كور البصرة ستين ألف ألف، فيعطي المقاتلة من ذلك ستة وثلاثين ألف ألف، ويعطي الذرية ستة عشر ألف ألف درهم، وينفق في نفقات السلطان ألفي ألف، ويجعل في بيت المال للبوائق والنوائب ألفي ألف درهم، ويحمل إلى معاوية أربعة آلاف درهم. وكان يجبي من الكوفة أربعين ألف ألف، ويحمل إلى معاوية ثلثي الأربعة الآلاف ألف لأن جباية الكوفة ثلثا

(1) ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، 276.
(2) المطهر بن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ، 330.

جباية البصرة. وحمل عبيد الله بن زياد إلى معاوية ستة آلاف ألف درهم فقال: اللهم ارض عن ابن أخي. قال المدائني: كان المقاتلة بالبصرة حين قدم زياد أربعين ألفاً فبلغ بهم ثمانين ألفاً، وكانت الذرية ثمانين ألفاً فبلغ بهم عشرين ومائة ألف، ويقال ان ابنه فعل ذلك»[1]. «ومات زياد بالكوفة سنة ثلاث وخمسين من الهجرة وذلك أنه كان غشوماً ظلوماً هصوماً جبى العراق مائة ألف ألف وجعل يخطب الحجاز ويهدد أهله بالقتل وكتب إلى معاوية إني قد ضبطت العراق بيميني وشمالي فارغة فضم إليه الحجاز»[2].

لعب المال دوراً هامّاً في العلاقة بين القطبين المتنافسين، معاوية الحسن؛ يقال في أحد المراجع «من أجواد الصحابة معاوية بن أبي سفيان! قال عبد الله بن عمر: ما رأيت أحداً بعد رسول الله ﷺ أجود من معاوية؛ وهو أول من أعطى ألف ألف في صلة، وكان يعطيها للحسن والحسين وعبد الله بن جعفر ﷺ»[3].

«ولما قدم الحسن بن علي ﷺ ما على معاوية ﷺ فقال: لأجيزك بجائزة لم أجزها أحداً قبلك من العرب ولا أجيزها أحداً بعدك من العرب، قال: فأعطاه أربعمائة ألف درهم فأخذها... وعن جعفر عن أبيه أن الحسن والحسين عليهما السلام كانا يقبلان جوائز معاوية»[4].

«وقال مصعب بن الزبير حج معاوية فلما انصرف مر بالمدينة، فقال الحسين بن علي لأخيه الحسن: لا تلقه ولا تسلم علي! فلما خرج معاوية،

(1) البلاذري، أنساب الأشراف، 654.
(2) المطهر بن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ، 329.
(3) الوطواط، غرر الخصائص الواضحة، 136.
(4) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، 485.

قال الحسن: إن علينا ديناً فلا بد لنا من إتيانه؛ فركب في أثره ولحقه فسلم عليه وأخبره بدينه، فمروا عليه ببخي عليه ثمانون ألف دينار وقد أعيا وتخلف عن الإبل وقوم يسوقونه، فقال معاوية :ما هذا؟ فذكر له، فقال اصرفوه بما عليه إلى أبي محمد»[1]. وفي نص آخر: «فمروا ببختيٍّ عليه ثمانون ألف دينار، وهو يضلعُ وهم يُزَجُّونه، فقال معاوية: ما هذا؟ قالوا: أعيى وعليه المال، ونحن نزجِّيه ليلحق، فقال: اصرفوه إلى أبي محمد، فدفعه إليه وعليه ثمانون ألف دينار»[2].

وحبس معاوية عن الحسين بن علي ﷺ، فقيل: لو وجهت إلى ابن عمك عبد الله بن عباس، فإنه قدم بنحو ألف ألف، فقال الحسين: وأنى تقع ألف ألف من عبد الله، فو الله لهو أجود من الريح إذا عصفت، وأسخى من البحر إذا زخر، ثم وجه إليه مع رسوله بكتاب يذكر فيه حبس معاوية صلاته عنه، وضيق حاله وأنه يحتاج إلى مائة ألف درهم، فلما قرأ عبد الله كتابه انهملت عيناه، وقال: ويلك يا معاوية أصبحت لين المهاد، رفيع العماد، والحسين يشكو ضيق الحال، وكثرة العيال؟ ثم قال لوكيله: احمل إلى الحسين نصف ما أملكه من ذهب وفضة ودواب، وأخبره أني شاطرته، فإن كفاه وإلا احمل إليه النصف الثاني، فلما أتاه الرسول قال: إنا لله وإنا إليه راجعون. ثقلت والله على ابن عمي، وما حسبت أنه يسمح لنا بهذا كله رضوان الله عليهم أجمعين.

«ودخل عليه الحسن [دخل على معاوية] يوماً وهو مضطجع على

(1) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، 933.
(2) أسامة بن منقذ، لباب الآداب، 27؛ أنظر: القاضي التنوخي، المستجاد من فعلات الأجواد، 2.

سريره، فسلم عليه، وأقعده عند رجليه وقال: ألا تعجب من قول أم المؤمنين عائشة ﷺ تزعم أني لست للخلافة أهلاً، ولا لها موضعاً؟ فقال الحسن: أواعجباً مما قلت؟ قال: كل العجب. قال الحسن: وأعجب من هذا كله جلوسي عند رجليك، فاستحيا معاوية، واستوى جالساً، ثم قال: أقسمت عليك يا أبا محمد ألا ما أخبرتني كم عليك ديناً؟ قال: مائة ألف درهم، فقال يا غلام: اعط أبا محمد ثلاثمائة ألف يقضي بها دينه، ومائة ألف يفرقها على مواليه، ومائة ألف يستعين بها على نوائبه، وسوغها إليه الساعة»[1].

«فارق الحسن بن علي في كل سنة ألف ألف درهم، ويقال ألفي ألف درهم، فأعطاه معاوية ما جعل له، فما رام دمشق حتى قسم ذلك أو أكثره، فقيل له: أسرفت، فقال: والله لولا لذة الاعطاء واكتساب المحامد ما باليت ألا أكتسب المال وألا أرى معاوية ولا يراني». البلاذري، أنساب الأشراف، 386

«قدم الحسن بن علي على معاوية فقال له: لأجيزنك بجائزة لم يجزها أحد كان قبلي، فأعطاه أربعمائة ألف ألف[2]. ووفد إليه مرة الحسن والحسين فأجازهما على الفور بمائتي ألف، وقال لهما: ما أجاز بهما أحد قبلي. فقال له الحسين: ولم تعط أحد أفضل منا.... أرسل الحسن بن علي، وعبد الله بن جعفر إلى معاوية يسألانه المال، فبعث إليهما ـ أو إلى كل منهما ـ بمائة ألف، فبلغ ذلك علياً فقال لهما: ألا تستحيان؟ رجل نطعن في عينه غدوةً وعشيةً تسألانه المال؟ فقالا: بل حرمتنا أنت وجاد

(1) الأبشيهي، المستطرف في كلّ فن مستظرف، 164.
(2) راجع: ابن حجر العسقلاني، الإصابة في معرفة الصحابة، 225.

هو لنا. وروى الأصمعي قال: وفد الحسن وعبد الله بن الزبير على معاوية فقال للحسن: مرحباً وأهلاً بابن رسول الله، وأمر له بثلاثمائة ألف. وقال أبو مروان المرواني: بعث معاوية إلى الحسن بن علي بمائة ألف فقسمها على جلسائه، وكانوا عشرة، فأصاب كل واحد عشرة آلاف[1].

بعث معاوية إلى الحسن بن علي، أو الحسين بن علي عليهما السلام، ودعا بضبارة سياط، فوضعها بين يديه، فلما دخل الحسن عليه السلام أخذ السياط فرمى بها، ومد يده إليه، وقال: مرحباً بسيد شباب قريش ودعا بعشرة آلاف دينار[2].

قال الأصمعي: عرضت على معاوية جارية، فأعجبته، فسأل عن ثمنها، فإذا ثمنها مئة ألف درهم، فابتاعها، ونظر إلى عمرو بن العاص، وقال: لمن تصلح هذه الجارية؟ فقال: لأمير المؤمنين، ثم نظر إلى غيره فقال له ذلك، قال: لا، فقيل: فلمن؟ قال: للحسين بن علي بن أبي طالب، فإنه أحق بها، لما له من الشرف، ولما كان بيننا وبين أبيه، فأهداها له، فأمر من يقوم عليها. فلما مضت أربعون يوماً حملها وحمل معا أموالاً عظيمة، وكسوة، وغير ذلك، وكتب: إن أمير المؤمنين اشترى جارية، فأعجبته، فآثرك بها. فلما قدمت على الحسين بن علي بن أبي طالب أعجب بجمالها[3].

قال المدائني[4]: خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر ـ رضوان

---

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، 2992؛ أنظر:ابن حجر العسقلاني، الإصابة في معرفة الصحابة، 225.

(2) القاضي التنوخي، الفرج بعد الشدة، 40 الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 80.

(3) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 3678.

(4) وخرج رضي الله تعالى عنه هو والحسنان، وأبو دحية الأنصاري رضي الله تعالى

الله عليهم ـ حجّاجاً، ففاتتهم أثقالهم، فجاعوا وعطشوا، فمروا بعجوز في خباءٍ لها، فقالوا: هل من شرابٍ؟ قالت: نعم. فأناخوا إليها، وليس لها إلا شويهة، فقالت: احتلبوها وامتذقوا لبنها، ففعلوا. وقالوا: هل من طعام؟ قالت: لا، إلا هي، فليذبحها أحدكم حتى أصنعها لكم، فذبحها أحدكم، فشوت وأكلوا، وقالوا عندها حتى أبردوا. ثم قالوا: نحن نفرٌ من قريش، نريد هذا الوجه، فإذا انصرفنا سالمين فألمي بنا، فأنا صانعون بك خيراً. ثم رحلوا وأقبل زوجها فقالت: سمعت؟! فقال: لم أسمع! وخبرته الخبر، فأحال عليها ضرباً فشجَّها، ثم قال: تذبحين عنزي لأعبد لا تدرين من هم، ثم يقولون: نفرٌ من قريش؟! ثم ضرب الدهر ضربانه، واضطرته الحاجة إلى أن دخلت هي وزوجها المدينة، فمرَّت العجوز يوماً تسوق حماراً لها تنقل عليه البعر تبيعه ـ : إذ أبصرها الحسن بن علي ـ رضوان الله عليهما ـ فعرفها، فأمر من أتاه بها، فقال: أتعرفيني؟ قالت: لا، فذكر لها العنز، فقالت: بأبي وأمي، إنك لأنت هو؟! قال: نعم، قال: أفما لقيت صاحبيك؟ قالت: لا، فأمر من اشترى لها من شاء الصدقة ألف شاة وأعطاها ألف

عنهم من مكة إلى المدينة، فأصابتهم السماء بمطر، فلجأوا إلى خباء أعرابي، فأقاموا عنده ثلاثة أيام حتى سكنت السماء، فذبح لهم الأعرابي شاة، فلما ارتحلوا قال عبد الله للأعرابي: إن قدمت المدينة، فسل عنا، فاحتاج الأعرابي بعد سنين، فقالت له امرأته: لو أتيت المدينة، فلقيت أولئك الفتيان، فقال: قد نسيت أسماءهم، فقالت: سل عن ابن الطيار، فأتى المدينة، فلقي سيدنا الحسن رضي الله تعالى عنه، فأمر له بمائة ناقة بفحولها ورعاتها، ثم أتى الحسين رضي الله تعالى عنه، فقال: كفانا أبو محمد مؤونة الإبل، فأمر له بألف شاة، ثم أتى عبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنه، فقال: كفاني إخواني الإبل والشياه، فأمر له بمائة الف درهم. ثم أتى أبا دحية رضي الله تعالى عنه، فقال: والله ما عندي مثل ما أعطوك، ولكن ائتني بإبلك، فأوقرها لك تمراً. الأبشيهي، المستطرف في كلّ فن مستظرف، 163.

دينار، وبعث بها مع رسول إلى الحسين ﷺ، فسأل عما فعل الحسن ؟ فأعطاها مثل ذلك. ثم بعث بها إلى عبد الله بن جعفر ﷺما، فسأل عما أعطياها؟ فأضعفه لها، وقال: لو بدأت بي لأتعبتهما. فانصرفت إلى زوجها بأربعة آلاف دينار، وأربعة آلاف شاة[1].

مقتل الحسن ـ معاوية وجعدة بنت الشعث:

رغم كل ما تنازلات الحسن، فقد كان يبلغه «أن زياداً يتبع شيعة علي فيقتلهم فقال: اللهم تفرد بموته فإن في القتل كفارة»[2]؛ «و كان معاوية قد أذكى العيون على شيعة علي عليه السلام يقتلهم أين أصابهم: فقتل حجر بن عدي وعمرو بن الحمق في جملة من قتل»[3].

كيف تُوفِّيَ الحسن؟

«قال الواقدي: مات سنة تسع وأربعين وقال المدائني: مات سنة خمسين وقيل سنة إحدى وخمسين وقال الهيثم بن عدي: سنة أربع وأربعين وقال ابن منده: مات سنة تسع وأربعين ـ وقيل خمسين وقيل سنة ثمان وخمسين ويقال: إنه مات مسموماً...عن عمير بن إسحاق: دخلت أنا وصاحب لي على الحسن بن علي فقال: لقد لفظت طائفة من كبدي

(1) أسامة بن منقذ، لباب الآداب، 33.
(2) البلاذري، أنساب الأشراف، 674.
(3) المطهر بن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ، 330.

وإني قد سقيت السم[1] مراراً فلم أسق مثل هذا!»[2]. وفي مرجع آخر: «قال قتادة: قال الحسن للحسين: قد سقيت السم غير مرة ولم أسق مثل هذه إني لأضع كبدي... كان الحسن كثير النكاح وقل من حظيت عنده وقل من تزوجها إلا أحبته وصبت به؛ فيقال: إنه كان سقي ثم أفلت، ثم سقي فأفلت، ثم كانت الآخرة وحضرته الوفاة! فقال الطبيب: هذا رجل قد قطّع السم أمعاءه وقد سمعت بعض من يقول: كان معاوية قد تلطف لبعض خدمه أن يسقيه سماً... عن أم موسى أن جعدة بنت الأشعث بن قيس سقت الحسن السم فاشتكى فكان توضع تحته طشت وترفع أخرى نحواً من أربعين يوماً[3].»[4].

(1) وروى أبو الحسن المدائني، قال: سقي الحسن ﷺ السم أربع مرات، فقال: لقد سقيته مراراً فما شق علي مثل مشقته هذه المرة.(ابن أبي الحديد، شرح النهج، 1663)؛ الحسن بن علي لما سقي السم، فقام لحاجة الإنسان ثم رَجَع، فقال: لقد سقيت السم على مرار فما سقيت مثل هذه، لقد لفظت طائفة من كبدي فرأيتني أقلبه بعود في يدي (المسعودي، مروج الذهب، 346)؛ قال عبد الله بن حسين: كان الحسن بن علي رجلا كثير نكاح النساء، وكن قلما يحظين عنده، وكان كل امرأة تزوجها إلا أحبته وضنت به، فيقال: إنه كان سقي، ثم أفلت ثم سقي فأفلت، ثم كانت الآخرة توفي فيها.(ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 907)؛ ولما اشتد مرضه قال لأخيه الحسين ﷺما: يا أخي سقيت السم ثلاث مرات لم أسق مثل هذه، إني لأضع كبدي، (ابن الأثير المؤرّخ، أسد الغابة، 261)؛ عن قتادة قال دخل الحسين على الحسن فقال يا أخي إني سقيت السم ثلاث مرات لم أسق مثل هذه المرة إني لأضع كبدي (ابن عبد البرّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، 115)؛ ثم إنه شرب شربة عسل فمات منها، ويقال إنه سم أربع دفعات فمات في أخراهن، (البلاذري، أنساب الأشراف، 389)؛ كنا عند الحسن ابن علي فدخل المَخْرَجَ ثم خرج فقال: سُقيت السمَّ مرارا وما سُقيت مثل هذه المرة.(البري، الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، 283).

(2) ابن حجر العسقلاني، الإصابة في معرفة الصحابة، 225.

(3) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 327.

(4) كان لانغماس الحسن في العلاقات الجنسية الدور الأهم في موته؛ ورد في بعض

في مزيد من التفاصيل حول جعدة وقتل الحسن، يُقال: «ومات الحسن مسموماً؛ يُقال إن امرأته جَعْدة بنت الأشعث بن قيس سمَّته. دَسَّ

المراجع حول علاقاته النسائية: «قال علي [بن أبي طالب]: يا أهل الكوفة لا تزوجوا الحسن فإنه رجل مطلاق قد خشيت أن يورثنا عداوة في القبائل». (الذهبي، سير أعلام النبلاء، 324)؛ «كان الحسن بن علي رجلاً كثير نكاح النساء وكن قل ما يحظين عنده وكان قل امرأة تزوجها إلا أحبته وصبت به فيقال: إنه كان سقي ثم أفلت ثم سقي فأفلت ثم كانت الآخرة توفي» (المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، 575)؛ راجع: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 327؛ «كان الحسن كثير التزوج، تزوج خولة بنت منظور بن زبان الفزارية، وأمها مليكة بنت خارجة بن سنان، فولدت له الحسن بن الحسن، وتزوج أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله، فولدت له ابناً سماه طلحة، وتزوج أم بشر بنت أبي مسعود الأنصاري ـ واسم أبي مسعود عقبة بن عمر ـ فولدت له زيد بن الحسن، وتزوج جعدة بنت الأشعث بن قيس، وهي التي سقته السم، وتزوج هنداً بنت سهيل بن عمرو، وحفصة ابنة عبد الرحمن بن أبي بكر، وتزوج امرأة من كلب، وتزوج امرأة من بنات عمرو بن أهتم المنقري، وامرأة من ثقيف، فولدت له عمراً، وتزوج امرأة من بنات علقمة بن زرارة، وامرأة من بني شيبان من آل همام بن مرة، فقيل له: إنها ترى رأي الخوارج، فطلقها، وقال: إني أكره أن أضم إلى نحري جمرة من جمر جهنم. قال المدائني: وخطب إلى رجل فزوجه، وقال له: إني مزوجك، وأعلم أنك ملق طلق غلق، ولكنك خير الناس نسباً، وأرفعهم جداً وأباً.... قال المدائني: أحصيت زوجات الحسن بن علي فكن سبعين امرأة». (ابن أبي الحديد، شرح النهج، 1668)؛ «قال عبد الله بن حسين: كان الحسن بن علي رجلا كثير نكاح النساء، وكن قلما يحظين عنده، وكان كل امرأة تزوجها إلا أحبته وضنت به». (ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 907). «تزوج الحسن كثيراً من النساء، وكان مطلاقاً، وكان له خمسة عشر ولداً ذكراً، وثماني بنات»،(أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، 127)؛ «كان الحسن قلما تفارقه أربع حرائر وكان صاحب ضرائر وقال: علي بن الحسين كان مطلاقاً وكان لا يفارق امرأة إلا وهي تحبه» (ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، 276)؛ «كان الحسن... مطلاقاً. قيل إنه أحصن بسبعين امرأة، وقلما تفارقه أربع حرائر، وكان لا يفارق امرأة إلا وهي تحبه.» (الصفدي، الوافي بالوفيات، 1662)؛ «وكان له من الولد خمسة عشر ذكراً، وثمان بنات» (ابن الجوزي، المنتظم، 652)؛ أنظر: ابن أبي الحديد، شرح النهج، 1663.

إليها معاوية أن تسمَّه. فإذا مات أعطاها أربعين ألفاً، وزوَّجها من يزيد؛ فلما مات الحسن وفَّى لها بالمال وقال لها:... حاجة هذا ما صنعت بابن فاطمة، فكيف تصنع بابن معاوية؟ فخسرت وما ربحت. وهذا أمر لا يعلمه إلا الله، ويُحاشى معاوية منه، وقيل: إن يزيد دسَّ إلى جعدة بذلك. وقد ذكر الخبرين أصحاب التواريخ»[1].

يقول ابن حمدون مضيفاً تفاصيل أخرى: «جعل لجعدة بنت الأشعث امرأة الحسن بن علي مائة ألف درهم على أن تسمه، ومكث شهرين، وإنه ليرفع من تحته كذا... طستاً من دم. وكان يقول: سقيت السم مراراً ما أصابني فيها ما أصابني في هذه المرة، لقد لقطت كبدي فجعلت أقلبها بعود كان في يدي»[2].

ابن كثير يقدّم تفاصيل مختلفة عما سبق: «كان معاوية قد تلطف لبعض خدمه أن يسقيه سماً. [ثم يضيف]: عن أم موسى أن جعدة بنت الأشعث بن قيس سقت الحسن السم، فاشتكى منه شكاة، قال: فكان يوضع تحته طشت ويرفع آخر نحواً من أربعين يوماً. [لكنه ينسب في حديث آخر المسألة ليزيد]: روى بعضهم: أن يزيد بن معاوية بعث إلى جعدة بنت الأشعث: أن سمي الحسن، وأنا أتزوجك بعده. ففعلت، فلما مات الحسن، بعثت إليه فقال: إنا والله لم نرضك للحسن أفنرضاك لأنفسنا؟»[3].

---

(1) البري، الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، 283.
(2) التذكرة الحمدونية، 1174؛ راجع: شمس الدين الشامي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، 550.
(3) البداية والنهاية، 2928؛ راجع النص ذاته تقريباً: المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، 575؛ راجع أيضاً: ص 248.

يوافق الصفدي على أن يزيداً هو من طلب منها أن تقتله: «ثم [الحسن] إنه مات مسموماً؛ قيل إن زوجته جعدة[1] بنت الأشعث بن قيس، أمرها بذلك يزيد بن معاوية لتكون ولاية العهد له»[2].

السخاوي، من ناحيته، «فيما نقله ابن عبد البر عن قتادة، وأبي بكر بن حفص ـ إن زوجته [الحسن] جعدة بنت الأشعث بن قيس سمته نفراً وكرهاً لها، بل قيل: بتدسيس السم إليها وبذله لها... قال [الحسن]: إني والله لقطت طائفة من كبدي، وإني قد سقيت السم مراراً، فلم أسق مثل هذه قط»[3].

---

(1) من أجل زواج الحسن بجعدة، نقرأ: «أخبرنا ابن عباس؛ قال: خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على الحسن ابنه أم عمران بنت سعيد بن قيس الهمداني! فقال فوقى أمير ذو إمرة يعنى أمها؛ فقال: قم فأمرها! فخرج من عنده ولقيه الأشعث بن قيس بالباب فأخبره الخبر؛ فقا:ل ما تريد إلى الحسن يفخر عليها ولا ينصفها ويسيء إليها فيقول ابن رسول الله وابن أمير المؤمنين ولكن هل لك في ابن عمها فهي له وهو لها؟ قال: ومن ذلك؟ قال محمد بن الأشعث قال: قد زوجته! ودخل الأشعث على أمير المؤمنين علي عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين خطبت على الحسن ابنة سعيد؟ قال نعم قال: فهل كل في أشرف منها بيتاً وأكرم منها حسباً وأتم منها جمالاً وأكثر مالاً؟ قال: ومن هي؟ قال جعدة بنت الأشعث بن قيس! قال: قد قاولنا رجلا! قال: ليس إلى ذلك الذي قاولته سبيل! قال: إنه قد فارقني ليوامر أمها! فقال: قد زوجها من محمد بن الأشعث! قال: متى؟ قال: الساعة بالباب! قال: فزوج الحسن جعدة فلما لقي سعيد الاشعث قال: يا أعور خدعتني؟! قال: أنت أعور خبيث حيث تستشيرني في ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ألست أحمق؟! ثم جاء الأشعث إلى الحسن فقال: يا أبا محمد ألا تزور أهلك؟ فلما أراد ذلك قال: لا تمشي والله إلا على اردية قومي!! فقدمت له كندة سماطين وجعلت له أرديتها من بابه إلى باب الأشعث! (ابن الجوزي، الأذكياء، 16). راجع: البلاذري، أنساب الأشراف، 380؛ المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، 248؛ سعد الله الدجاجي، سفط الملح، 24.

(2) الوافي بالوفيات، 1662.

(3) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، 189؛ راجع: ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، 276.

يؤكّد العصامي أن يزيد بعث لجعدة، «إن احتلت في قتل الحسن وجهت إليك مائة ألف درهم وتزوجتك، فكان هذا الذي بعثها على سَمِّه. فلما مات وفى لها بالمال وأرسل إليها: إنا لم نرضك للحسن فكيف نرضاك لأنفسنا؟!»[1].

الزمخشري، من ناحيته، يؤكّد أن معاوية هو من دبر مكيدة قتله؛ لكنه يضيف أن «جعل معاوية لجعدة بنت الأشعث امرأة الحسن مائة ألف حتى سمته»[2].

البلاذري، بالمقابل، يضيف تفصيلاً صغيراً عن جعدة والحسن: «وأرغبها حتى سمته وكانت شانئة له»؛ ثم يورد اسماً آخر غير جعدة، «قال الهيثم بن عدي: دس معاوية إلى ابنة سهيل بن عمرة امرأة الحسن مائة ألف دينار على أن تسقيه شربة بعث بها إليها ففعلت»[3].

يجمع أبو الفداء، من ناحيته، الروايتين معاً: «قيل فعلت ذلك بأمر معاوية، وقيل بأمر يزيد بن معاوية»[4].

يقدّم المطهر بن طاهر المقدسي رواية أخرى، إلى جانب تلك السابقة، حول مقتلا لحسن: «واختلفوا في سبب موته فزعم قوم أنه زج ظهر قدمه في الطواف بزجٍ مسمومٍ؛ وقال آخرون إن معاوية دس إلى جعدة بنت

---

(1) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، 544؛ راجع أيضاً: السيوطي، تاريخ الخلفاء، 78؛ أنساب الأشراف، 380.

(2) ربيع الأبرار، 438.

(3) أنساب الأشراف، 389؛ راجع: ابن عبد البرّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، 115.

(4) المختصر في أخبار البشر، 127.

الأشعث بن قيس بأن تسم الحسن ويزوجها يزيد فسمته وقتلته؛ فقال لها معاوية: إن يزيد منا بمكان وكيف يصلح له من لا يصلح لابن رسول الله وعوضها منه مائة ألف درهم»؛ ثم يضيف معلّقاً: «كان معاوية قد أذكى العيون على شيعة علي يقتلهم أين أصابهم؛ فقتل حجر بن عدي وعمرو بن الحمق في جملة من قتل»[1].

ابن الأثير المؤرّخ، لا يذكر إن كان معاوية هو المحرّض أم يزيد، لكن القاتل هو جعدة[2]. وكان أيضاً معاوية قد قتل «سعد بن أبي وقاص وجماعة من المهاجرين» بالطريقة ذاتها[3]. الخبر ذاته في مقاتل الطالبيين مع إضافة حول جعدة: «وقيل: اسمها سكينة، وقيل: شعثاء، وقيل: عائشة، والصحيح في ذلك جعدة»[4].

يقول ابن أبي الحديد: «ومات [الحسن] شهيداً مسموماً، دس معاوية إليه وإلى سعد بن أبي وقاص حين أراد أن يعهد إلى يزيد ابنه بالأمر»[5]. ورواه أيضاً أبو الفرج في مقاتل الطالبيين[6]؛ قال: «ومات [الحسن] شهيدا مسموما دس معاوية إليه وإلى سعد بن أبي وقاص ـ حين أراد أن يعهد إلى يزيد ابنه بالأمر بعده ـ سما فماتا منه في أيام متقاربة «. من ناحيته، يؤكّد

(1) البدء والتاريخ، 330.
(2) أسد الغابة، 261.
(3) ظهير الدين البيهقي، لباب الأنساب والألقاب والأعقاب، 20.
(4) أبو الفرج الأصبهاني، مقاتل الطالبيين، 13؛ راجع أيضاً: ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، 717؛ ابن قتيبة الدينوري، المعارف، 48؛ ابن الخطيب العمري، الروضة الفيحاء في أعلام النساء، 96.
(5) ابن أبي الحديد، شرح النهج، 1671.
(6) ص 50.

ابن عساكر مقتل سعد بن أبي وقاص، وكان وقتها في الثالثة والثمانين من العمر،»في أيام معدودة بعدما مضى من إمارة معاوية عشر سنين»[1].

يضيف مرجع تفصيلاً بسيطاً لكنه هام حول جعدة: «وكان لها ضرائر»[2].

يقول ابن خلكان عن جعدة: «وخلف عليها رجل من قريش فأولدها غلاماً، فكان الصبيان يقولون له: يا ابن مسمة الأزواج»[3].

وهكذا، فإن قول ابن خلدون (ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 748). «وما ينقل من أن معاوية دس إليه [الحسن] السم مع زوجته جعدة بنت الأشعث فهو من أحاديث الشيعة، وحاشا لمعاوية من ذلك»، لا علاقة له بالواقع.

أراد الحسين أن يعرف هوية صاحب السمّ؛ قال للحسن: «أخبرني من سقاك، قال: لتقتله، قال: نعم، قال [الحسن]: ما أنا بمخبرك، إن يكن صاحبي الذي أظن فالله أشد نقمة، وإلا فما أحب أن يقتل بي بريء»[4]

(1) تاريخ 365:20.
(2) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 2410؛ راجع: ابن الجوزي، المنتظم، 652؛ ابن أبي الحديد، شرح النهج، 1663، 1668؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء طبقات الأطباء، 100؛ المسعودي، مروج الذهب، 346.
(3) وفيات الأعيان، 152؛ أنظر أيضاً: ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 907؛ ابن الجوزي، المنتظم، 652.
(4) ابن أبي الحديد، شرح النهج، 1663؛ راجع: المسعودي، مروج الذهب، 346؛ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 907؛ ابن الأثير المؤرّخ، أسد الغابة، 261؛ ابن عبد البرّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، 115؛ البلاذري، أنساب الأشراف، 380؛ المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، 575؛ المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، 575.

«فلما مات ورد البريد بموته على معاوية فقال يا عجباً من الحسن شرب شربة من عسل بماء رومة فقضى نحبه»[1]. وفي نص آخر: «وروى أبو الحسن، قال: قال معاوية لابن عباس، ولقيه بمكة: يا عجباً من وفاة الحسن! شرب علة بماء رومة، فقضى نحبه، فوجم ابن عباس، فقال معاوية: لا يحزنك الله ولا يسوءك، فقال: لا يسوءني ما أبقاك الله! فأمر له بمائة ألف درهم»[2]. في نص ثالث، نقرأ: «لما كان قبل موت الحسن بن علي عليهما السلام، كتب معاوية إلى مروان بن الحكم عامله على المدينة أن أقبل المطي فيما بيني وبينك بخبر الحسن بن علي، قال فلم يلبث إلا يسيراً حتى كتب مروان بموته، وان ابن عباس إذا دخل على معاوية أجلسه معه على سريره فأذن معاوية للناس فأخذوا مجالسهم، وجاء ابن عباس فلم يمهله معاوية أن يسلم حتى قال: يا ابن عباس! هل أتاك موت الحسن بن علي؟ قال: لا! قال معاوية: فإنه قد أتانا موته،... وأظهر معاوية الشماتة بموت الحسن رضي اللّه عنه فقال قثم ابن عباس في ذلك:

أصبح اليوم ابن هند شامتاً ظاهر النخوة أن مات الحسن
رحمة الله عليه أنه طال ما أشجى ابن هند وأذن
فارتع اليوم ابن هند آمناً إنما يغمص بالعير السمن[3]

ويقال إن معاوية «لما بلغه موته [الحسن] سمع تكبيراً من الحضور، فكبر[4] أهل الشام لذلك التكبير فقالت فاختة زوجة معاوية: أقر الله عينك

---

(1) ابن عبد البرّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، 115.
(2) ابن أبي الحديد، شرح النهج، 1663.
(3) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء طبقات الأطباء، 100.
(4) في نص آخر نقرأ: «وذكر أنه لما بلغ معاوية موت الحسن كبَّر، وكبَّر من كان في مجلسه معه. وسمعت فاختة بنت قَرَظَة زوجُه التكبير. فلما دخل عليها قالت له: يا أمير

يا أمير المؤمنين، ما الذي كبرت له؟ قال: مات الحسن، قالت: أعلى موت ابن فاطمة تكبر؟ قال: والله ما كبرت شماتة بموته ولكن استراح قلبي. وكان ابن عباس بالشام، فدخل عليه فقال: يا ابن عباس، هل تدري ما حدث في أهل بيتك؟ قال: لا أدري ما حدث إلا أني أراك مستبشراً وقد بلغني تكبيرك وسجودك، قال: مات الحسن. وكان [الحسن] أوصى لأخيه الإمام الحسين: إذا أنا مت فادفني مع رسول الله ﷺ إن وجدت إلى ذلك سبيلاً، وإن منعوك فادفني ببقيع الغرقد، فلبس الحسين ومواليه السلاح وخرجوا ليدفنوه مع رسول الله ﷺ، فخرج مروان بن الحكم في بني أمية فمنعوهم من ذلك... ومن طريف أخباره ما ذكره أبو العباس المبرد أن مروان بن الحكم قال يوماً: إني مشغوف ببغلة الحسن، فقال له ابن أبي عتيق: إن دفعتها إليك أتقضي لي ثلاثين حاجة؟ قال: نعم، قال: فإذا اجتمع الناس عندك العشية فإني آخذ في مآثر قريش ثم أمسك عن الحسن، فلمني على ذلك؛ فلما أخذ القوم مجالسهم أفاض في أولية قريش؛ قال له مروان: ألا تذكر أولية أبي محمد وله في هذا ما ليس لأحد؟ قال: إنما كنا في ذكر الأشراف ولو كنا في ذكر الأنبياء لقدمنا ما لأبي محمد؛ فلما خرج ليركب تبعه ابن أبي عتيق فقال له الحسن وتبسم: ألك حاجة؟ قال: نعم، البغلة، فنزل عنها ودفعها إليه.»[1]

في نص آخر نقرأ، أنّ الحسن «لما حضرته الوفاة أرسل إلى عائشة

المؤمنين؛ إني سمعت تكبيراً عالياً في مجلسك، فما الخبر؟ فقال لها: مات الحسن. فبكت وقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، سيِّد المسلمين وابن رسول الله تُكبِّر على موته؟ فقال لها معاوية: إنه والله كما قلتِ فأقلّي لومي ويحك». (البري، الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة 283).

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان، 152.

يطلب منها أن يدفن مع النبي ﷺ، فلقد كنت طلبت منها فأجابت إلى ذلك، فلعلها تستحي مني، فإن أذنت فادفني في بيتها، وما أظن القوم، يعني بني أمية، إلا سيمنعونك، فإن فعلوا فلا تراجعهم في ذلك، وادفني في بقيع الغرقد»[1].

يقول البلاذري في القضية عينها: «فلما أرادوا دفنه [الحسن] أبى ذلك مروان وقال: لا يدفن عثمان في حش كوكب ويدفن الحسن ههنا. فاجتمع بنو هاشم وبنو أمية فأعان هؤلاء قوم وهؤلاء قوم، وجاؤوا بالسلاح فقال أبو هريرة لمروان: يا مروان أتمنع الحسن أن يدفن في هذا الموضع وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول له ولأخيه حسين: هما سيدا شباب أهل الجنة. فقال مروان: دعنا عنك، لقد ضاع حديث رسول الله إن كان لا يحفظه غيرك وغير أبي سعيد الخدري إنما أسلمت أيام خيبر، قال: صدقت، أسلمت أيام خيبر، إنما لزمت رسول الله ﷺ فلم أكن أفارقه، وكنت أسأله وعنيت بذلك حتى علمت وعرفت من أحب ومن أبغض ومن قرب ومن أبعد، ومن أقر ومن نفى، ومن دعا له ومن لعنه فلما رأت عائشة السلاح والرجال، وخافت أن يعظم الشر بينهم وتسفك الدماء قالت: البيت بيتي ولا آذن أن يدفن فيه أحد. وقال محمد بن علي لأخيه: يا أخي إنه لو أوصى أن يدفن لدفناه أو نموت قبل ذلك، ولكنه قد استثنى فقال: إلا أن تخافوا الشر، فأي شر أشد مما ترى؟ فدفن بالبقيع إلى جنب أمه[2].»

---

(1) ابن الأثير المؤرّخ، أسد الغابة، 261.

(2) البلاذري، أنساب الأشراف، 389؛ راجع: الزمخشري، ربيع الأبرار، 438؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 1662؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 1174؛ العصامي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، 544؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 327؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 2928؛ البلاذري، أنساب الأشراف، 179.

الفصل الرابع:

حجر بن عدي

حجر بن عدي: من هو؟

«عن الحسن البصري[1] قال: أربع خصال كن في معاوية لو لم يكن فيه إلا واحدة منهن لكانت موبقة: انتزاؤه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزها أمرها بغير مشورة منهم وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه بعده ابنه يزيد، سكيراً خميراً، يلبس الحرير ويضرب بالطنابير، وادعاؤه زياداً؛ وقد قال رسول الله ﷺ: «الولد للفراش، وللعاهر الحجر»، وقتله حجر بن عدي وأصحابه، فيا ويله من حجر وأصحاب حجر!.[2] وقال الحسن البصري رحمه الله[3]: «أربع خصال كن في معاوية، لو لم تكن فيه

(1) وروى ابن الجوزي بإسناده عن الحسن البصري أنه قال: أربع خصال كن في معاوية، لو لم يكن فيه إلا واحدة لكانت موبقة، وهي أخذه الخلافة بالسيف من غير مشاورة، وفي الناس بقايا الصحابة، وذوو الفضيلة، واستخلافه ابنه يزيد، وكان سكيراً خميراً يلبس الحرير، ويضرب بالطنابير، وادعاؤه زياداً، وقد قال رسول الله ﷺ الولد للفراش، والعاهر للحجر، وقتله حجر بن عدي وأصحابه، فيا ويلاً له من حجر وأصحاب حجر. وروي عن الشافعي رحمة الله عليه، أنه أسرّ إلى الربيع، أنه لا يقبل شهادة أربعة من الصحابة، وهم معاوية، وعمرو بن العاص، والمغيرة، وزياد. (أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، 129).

(2) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 194.

(3) أنظر: الجاحظ، الرسائل، 86.

إلا واحدة منهن لكانت موبقة: انتزاؤه على هذه الأمة بالسيف، حتى أخذ الأمر عن غير مشورة، وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه ابنه بعده سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير، وادعاؤه زياداً، وقد قال رسول الله ﷺ: الولد للفراش وللعاهر الحجر. وقتله حجراً وأصحاب حجر، فيا ويلا له من حجر وأصحاب حجر!»[1].

«حجر بن عدي الأدبر... وهو كندة... وسمي أبوه الأدبر لأنه طعن مولياً فسمي الأدبر؛ أبو عبد الرحمن الكندي من أهل الكوفة، وفد على النبي ﷺ،[2] وغزا الشام في الجيش الذين افتتحوا عذراء، وشهد صفين

(1) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 2415.

(2) وذكر ابن سعد ومصعب الزبيري فيما رواه الحاكم عنه أنه وفد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو وأخوه هانئ بن عدي وأن حجر بن عدي شهد القادسية وأنه شهد بعد ذلك الجمل وصفين وصحب عليا فكان من شيعته وقتل بمرج عذراء أمر معاوية وكان حجر هو الذي افتتحها فقدر أن قتل بها. وقد ذكر ابن الكلبي جميع ذلك وذكره يعقوب بن سفيان في أمراء علي يوم صفين. وروى ابن السكن وغيره من طريق إبراهيم بن الأشتر عن أبيه ـ أنه شهد هو حجر بن الأدبر موت أبي ذر بالربذة. أما البخاري وابن أبي حاتم عن أبيه وخليفة بن خياط وابن حبان فذكروه في التابعين. وكذا ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من أهل الكوفة فإما أن يكون ظنه آخر وإما أن يكون ذهل. وروى ابن قانع في ترجمته من طريق شعيب بن حرب عن شعبة عن أبي بكر بن حفص عن حجر بن عدي ـ رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال «إن قوما يشربون الخمر يسمونها بغير اسمها». (ابن حجر العسقلاني، الإصابة في معرفة الصحابة، 213)؛ أنظر: مرتضى الزبيدي، تاج العروس، 2662؛ سنة إحدى وخمسين فيها: كان مقتل حجر بن عدي ...ويقال له: حجر بن الأدبر، لأن أباه عدياً طعن مولياً فسمي الأدبر، وهو من كندة من رؤساء أهل الكوفة. قال ابن عساكر: وفد إلى النبي ﷺ، وسمع علياً وعماراً وشراحيل بن مرة، ويقال: شرحبيل بن مرة. وروى عنه أبو ليلى مولاه، وعبد الرحمن بن عباس، وأبو البختري الطائي. وغزا الشام في الجيش الذين افتتحوا عذراء، وشهد صفين مع علي أميراً. وقيل: بعذراء من قرى دمشق، ومسجد قبره بها معروف. ثم

مع علي أميراً، وقتل بعذراء من قرى دمشق، ومسجد قبره بها معروف. حدث حجر بن عدي قال: سمعت شراحيل بن مرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «أبشر يا علي حياتك وموتك معي». وقال حجر بن عدي: سمعت علي بن أبي طالب ؓ يقول: الوضوء نصف الإيمان. وفي رواية: الطهور نصف الإيمان.

شهد حجر القادسية، وهو الذي افتتح مرج عذراء وشهد الجمل وصفين مع علي عليه السلام[1]، وكان في ألفين وخمس مئة من العطاء، وقتله معاوية بن أبي سفيان وأصحابه بمرج عذراء، وابناه عبيد الله وعبد الرحمن

ساق ابن عساكر بأسانيده إلى حجر يذكر طرفاً صالحاً من روايته عن علي وغيره، وقد ذكره محمد بن سعد في الطبقة الرابعة من الصحابة، وذكر له وفادة، ثم ذكره في الأول من تابعي أهل الكوفة. قال: وكان ثقة معروفاً، ولم يرو عن غير علي شيئاً. قال ابن عساكر: بل قد روى عن عمار وشراحيل بن مرة. وقال أبو أحمد العسكري: أكثر المحدثين لا يصححون له صحبة، شهد القادسية وافتتح برج عذراء، وشهد الجمل وصفين... وقال المرزباني: قد روي أن حجر بن عدي وفد إلى رسول الله ﷺ مع أخيه هانئ بن عدي، وكان هذا الرجل من عباد الناس وزهادهم، وكان باراً بأمه، وكان كثير الصلاة والصيام. (ابن كثير، البداية والنهاية، 2932).

(1) ان حجر بن عدي رجلاً من كندة، وكان عابداً لم يحدث قط إلا توضأ، ولم يهرق ماءً إلا توضأ، وما توضأ إلا صلى، وكان مع علي بن أبي طالب في زمانه، فلما قتل علي، وكانت الجماعة على معاوية اعتزل حجر وناسٌ من أصحابه وزياد معهم نحو أرض فارس، فقال بعضهم لبعض: ما تصنعون نحن وحدنا والجماعة على معاوية؟ أرسلوا رجلاً يأخذ لنا الأمان من معاوية. فاختاروا زياداً اختياراً فأرسلوه إلى معاوية، فأخذ لهم الأمان، وبايعوا على سنة الله وسنة رسوله ﷺ، العمل بطاعته. فأعجب معاوية عقل زياد فقال: يا زياد، هل لك في شيء؟ أعترف أنك أخي، وأؤمرك على العراق. قال: نعم. بلغ الحسن بن علي أن زياداً يتتبع شيعة علي بالبصرة فيقتلهم، فقال: اللهم لا تقتلن زياداً، وأمته حتف أنفه فإنه كان يقال: إن في القتل كفارة. (ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 1412).

ابنا حجر قتلهما مصعب بن الزبير صبراً، وكانا يتشيعان[1]. وكان حجر ثقة معروفاً، وكان مع علي بصفين حجر الخير وحجر الشر، فأما حجر الخير فهذا، وأما حجر الشر فهو حجر بن يزيد بن سلمة بن مرة....

قال يونس بن عبيد: كتب معاوية إلى المغيرة بن شعبة: إني قد احتجت إلى مال فأمدني، قال: فجهز المغيرة إليه عيراً تحمل المال؛ فلما فصلت العير بلغ حجراً وأصحابه، فجاء حتى أخذ بالقطار فحبس العير[2]. قال: لا والله، حتى يوفى كل ذي حق حقه، فبلغ المغيرة ذلك أنه قد رد العير معه. فقال شباب ثقيف: ائذن لنا أصلحك الله فيه فنأتيك برأسه الساعة. قال:

---

(1) وحجر بن عدي، وهو الأدبر، بن عدي بن جبلة بن عدي بن ربيعة، له صحبة فيما قال قوم، وقتله معاوية صبراً؛ وابناه: عبد الله، وعبد الرحمن، ابنا حجر، قتلهما المصعب بن الزبير، وكانوا يتشيعون. (ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، 174)؛ وكان له ابنان يتشيعان يقال لهما عبد الله وعبد الرحمن قتلهما مصعب بن الزبير صبراً، وقتل حجر سنة ثلاث وخمسين. (ابن قتيبة الدينوري، المعارف، 76)؛ وروي أن الحسن بن الربيع قال: رب إن حجراً قتل صبراً، فإن كنت مغيراً ذلك وإلا فاقبضني إليك، فمات من ليلته. قالوا: وفرق معاوية من صفح عنه من أصحاب حجر فلم ينزل اثنان بكورة واحدة. (البلاذري، أنساب الأشراف، 671)؛ و حُجْر بن عَدِيّ بن الأدْبر بن عَدِيّ بن جَبَلَةَ، وكان طعن في دُبره فسُمي بالأدْبر لذلك، جاهلِيّ أسلاميّ ؛ وفد الى النبي. وأخوه هَانِيء، وكان في الفين وخمس مائة من العطاء. وشَهِدَ القادسيةَ، وشَهِدَ الجَمَل وصفينَ مع عَلِيّ بن أبي طَالِب عليه السلام قَتَله مُعَاوِيَةَ وأصحابه بمرج عَذْراء، وكان الذي تولى قَتلهُ أبو الأعْورالسُّلمِي. وأبناهُ عَبْدُ اللهَ، وعُبيدُ الله قتلهما مَصْعَبُ بن الزُبير، وكانا يتشيعان.(ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، 29).

(2) وذَكَر يونس بن عبيد أن معاوية كتب إلى المغيرة يستمد بمال يبعثه من بيت المال، فبعث عيراً تحمل مالاً فاعترض لها حجر، فأمسك بزمام أولها وقال: لا والله حتى يوفى كل ذي حق حقه. فقال شباب ثقيف للمغيرة: ألا نأتيك برأسه؟ فقال: ما كنت لأفعلن ذلك بحجر، فتركه. فلما بلغ معاوية ذلك عزل المغيرة وولى زياداً، والصحيح أنه لم يعزل المغيرة حتى مات. (ابن كثير، البداية والنهاية، 2933).

لا والله، ما كنت لأركب هذا من حجر أبداً، فبلغ معاوية فاستعمل زياداً[1] وعزل المغيرة».[2]

يورد نص قصّة حجر باختصار: «حجر بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن كندي وهو حجر الخير وأبوه عدي الأدبر طعن موليا فسمي الأدبر وكان حجر بن عدي جاهليا إسلامياً؛ قال وذكر بعض رواة العلم[3] أنه وفد إلى النبي ﷺ

(1) ويقال لَهُ زياد بن أبيه لما وقع في أبيه في الشّك، ويقال لَهُ أيضاً زياد بن سميّة، ويكنّى أبا المغيرة، وُلد هو والمختار سنة إحدى من الهجرة، فأدرك النبيّ ﷺ ولَم يره، وأسلم في عهد أبي بكر، وسمع عمر بن الخطاب، واستكتبه أبو موسى الأشعري في إمرته عَلَى البصرة، وكتب لعبد الله بن عامر ولابن عبّاس وللمغيرة بن شعبة، وولاه معاوية المصرين وهو أوّل من وليهما جميعاً. وقدم دمشق. وروى عنه ابن سيرين والشعبي وأبو عثمان النهدي وغيرهم، وأبو بكر أخوه لأمّه. وكَانَ زياد أولاً من شيعة علي بن أبي طالب، وكَانَ عامله عَلَى فارس، ثُمَّ إنّه بعد موت علي صالح وادّعاه، فصار من شيعته واشتدّ عَلَى شيعة علي، وهو الذي أشار عَلَى معاوية بقتل حُجْر بن عديّ وأغلظ للحسن بن عليّ في كتاب كتبه إلَيْه، فردّ عَلَيْه معاوية أقبح ردّ. وكَانَ قتّالاً سفّاكاً للدماء من جنس أبيه والحجّاج، ولَكنّه كَانَ خطيباً فصيحاً. وبعثه أبو موسى رسولاً ففتّشه عمر، فوجده عالماً بالقرآن وأحكامه وفرائضه، وسأله: مَا صنعتَ بأوّل عطائك؟ فذكر أنّه اشترى به أمَةً فأعتقها فسُرّ منه عمر بذلك... تابعيّ، ولم يكن يتّهم بالكذب. وقال الأصمعي: مكث زياد عَلَى العراق تسع سنين، مَا وضع لبنة عَلَى لبنة ولَم يغرس شجرة، وهو أوّل من جلس عَلَى المنبر في العيدين وأذّن فيهما، وأوّل من أحدث الفتح عَلَى الإمام.... ولقد امتنع زياد وهو فقعة القاع لا عشيرة لَهُ ولا نسب ولا سابقة ولا قدم، فما أطاقه معاوية إلاّ بالمداراة حتى أرضاه وولاه.(الصفدي، الوافي بالوفيات، 1996).

(2) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 848؛ راجع: الذهبي، تاريخ الإسلام، 518؛ ولكن كان المغيرة فيه حلم وإناة، فكان يصفح عنه ويعظه فيما بينه وبينه، ويحذره غب هذا الصنيع، فإن معارضة السلطان شديد وبالها، فلم يرجع حجر عن ذلك. (ابن كثير، البداية والنهاية، 2932).

(3) حدثنا محمد بن سعد قال في الطبقة الرابعة من الصحابة: حجر الخير بن عدي

مع أخيه هانئ بن عدي وشهد حجر القادسية وهو الذي افتتح مرج عذرى وكان في ألفين وخمسمائة من العطاء وكان من أصحاب علي بن أبي طالب وشهد معه الجمل وصفين، فلما قدم زياد بن أبي سفيان والياً على الكوفة دعا بحجر بن عدي، فقال: تعلم أني أعرفك وقد كنت أنا وإياك

الأدبر، ـ وإنما طعن موليا فسمي الأدبر ـ بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين بن الحارث بن معاوية بن الحراث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن كندي جاهلي إسلامي وفد إلى النبي ﷺ، وشهد القادسية وهو الذي افتتح مرج عذرا، وشهد الجمل وصفين مع علي بن أبي طالب، وكان في ألفين وخمسمائة من العطاء وقتله معاوية بن أبي سفيان وأصحابه بمرج عذراء، وابناه عبيد الله وعبد الرحمن قتلهما مصعب بن الزبير صبرا، وكان يتشيعان، وكان حجرثقة معروفا، ولم يرو عن غير علي شيئا.... حدثنا محمد بن سعد قال: في الطبقة الأولى من تابعي أهل الكوفة حجر بن الأدبر الكندي، والأدبر بن عدي بن جبلة، قتله معاوية.. قال ابن الكلبي: وكان طعن في دبره فسمي حجر الأدبر لذلك، جاهلي إسلامي وفد إلى النبي ﷺ هو وأخوه هانيء، وكان في ألفين وخمسمائة من العطاء، وشهد القادسية، وشهد الجمل وصفين مع علي بن أبي طالب عليه السلام، قتله معاوية وأصحابه بمرج عذراء، وكان الذي تولى قتله أبو الأعور السلمي.... أخبرنا أبو عبد الله البخاري قال: حجر بن عدي الكندي قتل في عهد عائشة.... أخبرنا أبو أحمد العسكري قال: فأما حجر ـ بالحاء المضمومة والجيم الساكنة، ويجوز ضمها في اللغة ـ فمنهم حجر بن عدي بن الأدبار جاهلي إسلامي يذكر بعضهم أنه وفد إلى النبي ﷺ، هو وأخوه، وأكثر أصحاب الحديث لا يصححون له رواية، شهد القادسية وافتتح مرج عذراء، وشهد الجمل وصفين مع علي، ثم قتله معاوية بعد ذلك وكان مع علي بصفين. (ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، 799).

على[1] ما قد علمت يعني من حب علي بن أبي طالب[2]، وإنه قد جاء غير ذلك وإني أنشدك الله أن تقطر لي من دمك قطرة فأستفرغه كله؛ أملك عليك لسانك وليسعك منزلك وهذا سريري فهو مجلسك وحوائجك مقضية لدي؛ فاكفني نفسك فإني أعرف عجلتك فأنشدك الله يا أبا عبد الرحمن في نفسك وإياك وهذه السفلة وهؤلاء السفهاء أن يستزلوك عن رأيك فإنك لو هنت علي أو استخففت بحقك لم أخصك بهذا من نفسي؛ فقال حجر: قد فهمت! ثم انصرف إلى منزله فأتاه إخوانه من الشيعة؛ فقالوا: ما قال لك الأمير؟ قال: قال لي كذا وكذا قالوا ما نصح لك فأقام

(1) وكان زياد أولاً من شيعة علي بن أبي طالب ﷺ، وكان عامله على فارس، ثم إنه بعد موت علي صالح معاوية، وادعاه وصار من شيعته، واشتد على شيعة علي، وهو الذي أشار على معاوية بقتل حجر بن عدي وأصحابه، وأغلظ للحسن بن علي ﷺ ما في كتاب كتبه له، فرد عليه معاوية أقبح رد. وكان قتالاً سفاكاً للدماء من جنس ابنه والحجاج، ولكنه كان خطيباً فصيحاً. وقال الأصمعي: مكث زياد على العراق تسع سنين ما وضع لبنة على لبنة. وهو أول من جلس على المنبر في العيدين وأذن فيهما، وأول من أحدث الفتح على الإمام. (ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، 145)؛ فلما قدم زياد بن أبي سفيان والياً على الكوفة دعا بحجر بن عدي فقال: تعلم أني أعرفك، وقد كنت أنا وأباك على أمر قد علمت ـ يعني: من حُب علي ـ وأنه قد جاء غير ذلك، وإني أنشدك الله أن تقطر لي من دمك قطرة فأستفرغه كله، أملك عليك لسانك، وليسعك منزلك، وهذا سريري فهو مجلسك، وحوائجك مقضية لدّي، فاكفني نفسك فإني أعرف عجلتك. (ابن كثير، البداية والنهاية، 2935).

(2) فلما ولي زياد، دعا لعثمان وسب علياً، وما كانوا يذكرون علياً باسمه، وإنما كانوا يسمونه بأبي تراب، وكانت هذه الكنية أحب الكنى إلى علي، لأن رسول الله ﷺ، كناه بها، فقام حجر وقال: كما كان يقول من الثناء على علي، فغضب زياد وأمسكه، وأوثقه بالحديد، وثلاثة عشر نفراً معه، وأرسلهم إلى معاوية، فشفع في ستة منهم عشائرهم، وبقي ثمانية، منهم: حجر، فأرسل معاوية من قتلهم بعذرا، وهي قرية بظاهر دمشق، ﷺم، وكان حجر من عظم الناس ديناً وصلاة، وأرسلت عائشة تتشفع في حجر، فلم يصل رسولها إلا بعد قتله.(أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، 129).

وفيه بعض الإعتراض وكانت الشيعة يختلفون إليه ويقولون: إنك شيخنا وأحق الناس بإنكار هذا الأمر! وكان إذا جاء إلى المسجد مشوا معه، فأرسل إليه عمرو بن حريث، وهو يومئذ خليفة زياد على الكوفة وزياد بالبصرة، أبا عبد الرحمن [فقال]: ما هذه الجماعة وقد أعطيت الأمير من نفسك ما قد علمت؟ فقال: للرسول تنكرون ما أنتم فيه إليك وراءك أوسع لك! فكتب عمرو بن حريث بذلك إلى زياد وكتب إليه إن كانت لك حاجة بالكوفة فالعجل؛ فأغذ زياد السير حتى قدم الكوفة[1] فأرسل إلى عدي بن حاتم وجرير بن عبد الله البجلي وخالد بن عرفطة العذري حليف بني زهرة وإلى عدة من أشراف أهل الكوفة فأرسلهم إلى حجر بن عدي[2] ليعذر إليه

(1) وكان حجر بن عدي الكندي، وعمرو بن الحمق الخزاعي وأصحابهما من شيعة علي بن أبي طالب، إذا سمعوا المغيرة وغيره من أصحاب معاوية، وهم يلعنون علياً على المنبر، يقومون فيردون اللعن عليهم، ويتكلمون في ذلك. فلما قدم زياد الكوفة خطب خطبة له مشهورة لم يحمد الله فيها، ولم يصل على محمد وأرعد فيها وأبرق، وتوعد وتهدد، وأنكر كلام من تكلم، وحذرهم ورهبهم، وقال: قد سميت الكذبة، على المنبر، الصلعاء فإذا أوعدتكم أو وعدتكم، فلم أف لكم بوعدي ووعيدي، فلا طاعة لي عليكم. وكانت بينه وبين حجر بن عدي مودة، فوجه إليه فأحضره، ثم قال له: يا حجر! أرأيت ما كنت عليه من المحبة والموالاة لعلي؟ قال: نعم! قال: فإن الله قد حول ذلك بغضة وعداوة، أورأيت ما كنت عليه من البغضة والعداوة لمعاوية؟ قال: نعم! قال: فإن الله قد حول ذلك محبة وموالاة، فلا أعلمنك ما ذكرت علياً بخير ولا أمير المؤمنين معاوية بشر. (اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 200).

(2) حجر بن عدي الأدبر وإنما سمي الأدبر لأنه طعن مولياً. هو أبو عبد الرحمن الكندي الكوفي، وفد على النبي ﷺ وسمع علياً وعماراً وشراحيل ابن مرة، ويقال شرحبيل، وغزا الشام في الجيش الذين افتتحوا عذراء التي قتل بها وهي من قرى دمشق وقبره بها معروف. وشهد مع علي الجمل وصفين أميراً، وكان براً بوالديه عابداً وكان في ألفين وخمسمئة من العطاء وشهد فتح القادسية وقتله معاوية وقتل أصحابه بمرج عذراء وقتل إبناه عبد الله وعبد الرحمن قتلهما مصعب بن الزبير صبراً وكانا يتشيعان وكان حجر ثقة معروفاً. قال أبو معشر: كان حجر بن عدي رجلا من كندة وكان

وينهاه عن هذه الجماعة وأن يكف لسانه عما يتكلم به، فأتوه فلم يجبهم إلى شيء ولم يكلم أحداً منهم وجعل يقول: يا غلام أعلف البكر! قال: وبكر في ناحية الدار! فقال له عدي بن حاتم: أمجنون أنت؟ أكلمك بما أكلمك به وأنت تقول يا غلام اعلف البكر؟ فقال عدي: لأصحابه ما كنت أظن هذا البائس بلغ فيه الضعف كل ما أرى! فنهض القوم عنه وأتوا زيادا فأخبروه ببعض وخزنوا بعضا وحسنوا أمره وسألوا زيادا الرفق به، فقال: لست إذا لأبي سفيان! فأرسل إليه الشرط والبخارية فقاتلهم بمن معه ثم انفضوا عنه؛ وأتي به زياد وبأصحابه فقال له: ويلك ما لك؟ فقال: إني

عابداً قال: ولم يحدّث قطّ إلا توضأ ولم يهرق ماء إلا توضّأ وما توضأ إلاّ صلى وقال ابن سعد:حجر في الطبقة الرابعة من تابعي الكوفة... وكان سبب قتله أنه كان من أصحاب عليّ فكانت تصدر منه حركات لا تعجب ولاة الكوفة. فقال له زياد بن أبيه: إني أحذرك أن تركب أعجاز أمور قد هلك من ركب صدورها. فلم ينته فنفذ زياد إلى معاوية: إن كان لك بالعراق حاَجةٌ فاكفني حجراً وأصحابه. فأمر بهم معاوية فقتلوا نصفهم بعذراء سنة إحدى وخمسين وكانوا أربعة عشر وقيل ثلاثة عشر وكان حجر ممن قتل. وقيل قتل سنةٌ أو سبعة. وجاء رسول معاوية بالعفو عنهم وقدم عبد الرحمن بن الحارث بن هشام برسالة عائشة تسأله أن يخلي سبيلهم فقدم وقد قتلوا فقال: يا أمير المؤمنين أين عزب عنك حلم أبي سفيان. فقال: غيبة مثلك عني من قومي. وحجَّ معاوية فاستأذن على عائشة فحجبته. ثم أذنت له فقالت له: ما حملك على قتل أهل عذراء حجر وأصحابه؟ قال يا أم المؤمنين إني رأيت قتلهم صلاحاً للأمَّة وإن بقاءهم فساد للأمة. فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: سيقتل بعذراء أناسٌ يغضب الله لهم وأهل السماء، أما خشيت أن أخبيء لك رجلاً فيقتلك؟ فقال: لا، إني في بيت أمان. وكان يقول عند موته: إنّ يومي من ابن الأدبر لطويل وانتحب ابن عمر لما بلغه قتله وندم معاوية على قتله وعرف منه الندم والخوف عند الموت وقال: ما قتلت أحداً إلاّ وأنا أعرف فيم قتلته وما أردت به، ما خلا حجراً. وكان يقال: أول ذل دخل على أهل الكوفة قتل حجربن عدي (الصفدي، الوافي بالوفيات، 1594)؛ وكان مع حجر بن عدي بن جبلة الكندي، من أصحابه جماعة. قيل: عشرون. (ابن كثير، البداية والنهاية، 2933).

على بيعتي لمعاوية لا أقيلها ولا أستقيلها! فجمع زياد سبعين من وجوه أهل الكوفة فقال: اكتبوا شهادتكم على حجر وأصحابه؛ ففعلوا ثم وفدهم على معاوية وبعث بحجر وأصحابه إلي؛» وبلغ عائشة الخبر فبعثت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي إلى معاوية تسأله أن يخلي سبيلهم؛ فقال عبد الرحمن بن عثمان الثقفي: يا أمير المؤمنين! جدادها جدادها لا تعن بعد العام أبرا! فقال معاوية[1]: لا أحب أن أراهم ولكن اعرضوا علي كتاب زياد! فقرىء عليه الكتاب وجاء الشهود فشهدوا؛ فقال معاوية بن أبي سفيان: أخرجوهم إلى عذرى فاقتلوهم هنالك! قال: فحملوا إليها؛ فقال حجر: ما هذه القرية؟ قالوا عذراء قال: الحمد لله أما والله إني لأول مسلم نبح كلابها في سبيل الله؛ ثم أتي بي اليوم إليها مصفوداً؛ ودفع كل رجل منهم إلى رجل من أهل الشام ليقتله، ودفع حجر إلى رجل من حمير فقدمه ليقتله؛ فقال: يا هؤلاء دعوني أصلي ركعتين! فتركوه فتوضأ وصلى ركعتين فطول فيهما، فقيل له: طولت أجزعت؟ فانصرف فقال: ما توضأت قط إلا صليت، وما صليت صلاة قط أخف من هذه، ولئن جزعت لقد رأيت سيفاً مشهوراً وكفناً منشوراً وقبراً محفوراً؛ وكانت عشائرهم جاؤوا بالأكفان وحفروا لهم القبور؛ ويقال: بل معاوية الذي حفر لهم القبور وبعث إليهم بالأكفان!! وقال حجر: اللهم إنا نستعديك على أمتنا فإن أهل العراق شهدوا علينا وإن أهل الشام قتلونا!

(1) يقال: إن حجراً لما دخل على معاوية قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فغضب معاوية غضباً شديداً وأمر بضرب عنقه هو ومن معه. ويقال: إن معاوية ركب فتلقاهم في مرج عذراء. ويقال: بل بعث إليهم من تلقاهم إلى عذراء تحت الثنية ـ ثنية العقاب ـ فقتلوا هناك... فاستوهب منه الأمراء واحداً بعد واحد حتى استوهبوا منه ستة (ابن كثير، البداية والنهاية، 2934).

قال: فقيل لحجر: مد عنقك! فقال: إن ذاك لدم ما كنت لأعين عليه! فقدم فضربت عنقه! وكان معاوية قد بعث رجلا من بني سلامان بن سعد يقال له هدبة بن فياض، فقتلهم وكان أعور فنظر إليه رجل منهم من خثعم؛ فقال: إن صدقت الطير قتل نصفنا ونجا نصفنا؛ قال: فلما قتل سبعة أردف معاوية برسول بعافيتهم جميعاً فقتل سبعة ونجا ستة أو قتل ستة ونجا سبعة؛ قال: وكانوا ثلاثة عشر رجلا».[1]

ويقول نصّ آخر: «وفيها [السنة]: مقتل حجر بن عدي. وسببه: أن معاوية بن أبي سفيان لما ولى المغيرة بن شعبة الكوفة فقال له: قد أردت أن أوصيك بأشياء كثيرة، فأنا تاركها اعتماداً على بصرك بما يرضيني ويسدد سلطاني، فأقام المغيرة على الكوفة عاملاً لمعاوية سبع سنين وأشهراً وهو حسن السيرة، إلا أنه لم يدع الدعاء لعثمان والوقيعة في علي[2] ﵁، وكان حجر بن عدي إذا سمع ذلك قال: أنا أشهد أن من تعيبون لأحق بالفضل وأن من تزكون لأولى بالذم، فيقول له المغيرة: ويحك اتق غضب السلطان وسطوته، فقام المغيرة يوماً فأثنى على عثمان، فصاح به حجر: إنك قد حبست أرزاقنا وأصبحت مولعاً بتقريظ المجرمين، وقام معه أكثر من ثلاثين يقولون: صدق حجر، فمر لنا بأعطياتنا، فنزل المغيرة ودخل

(1) ابن سعد، الطبقات الكبرى، 1158.

(2) عن عبد الله بن رزين الغافقيّ قال: سمعت علي ابن أبي طالب يقول: يا أهل العراق سيقتل منكم سبعة نفر بعذراء مثلهم كمثل أصحاب الأخدود، فقتل حجر بن عدي وأصحابه. قال أبو نعيم: ذكر زياد بن سمية علي ابن أبي طالب على المنبر فقبض حُجر على الحصباء ثمّ أرسلها وحصب من حوله زياداً فكتب إلى معاوية يقول: إن حُجرا حصّبني وأنا على المنبر، فكتب إليه معاوية أن يحمل حجراً فلما قرب من دمشق بعث من يتلقاهم فالتقى معهم بعذراء فقتلهم..(ابن كثير، البداية والنهاية، 2555).

عليه قومه فقالوا: علام تترك هذا الرجل يجترىء في سلطانك، ولو بلغ معاوية كان أسخط له عليك، فقال لهم المغيرة: إني قد قتلته، إنه سيأتي أمير بعدي فيحسبه مثلي فيصنع به شبيهاً بما ترونه يصنع بي، فيأخذه عند أول وهلة فيقتله شر قتلة، إنه قد اقترب أجلي، ولا أحب أن أبتدىء أهل هذا المصر بقتل خيارهم، فيسعدوا بذلك وأشقى، ويعز في الدنيا معاوية ويذل يوم القيامة المغيرة، ولكني قابل من محسنهم، وعاف عن مسيئهم، وواعظ شقيهم حتى يفرق بيني وبينهم الموت، وسيذكروني، ولو قد جربوا العمال بعدي.

فلما هلك المغيرة وولي زياد بن أبي سفيان[1] قام فذكر عثمان وأصحابه فقرظهم وذكر قتلتهم ولعنهم، فقام حجر ففعل مثل الذي كان يفعل بالمغيرة، فقال: ويل أمك يا حجر، «سقط بك العشاء على سرحان». وفي رواية أخرى: أن زياداً خطب فأطال الخطبة وأخر الصلاة، فقال له حجر بن عدي: الصلاة! فمضى في خطبته، ثم قال: الصلاة، فلما خشي

(1) وكان معاوية وعماله يدعون لعثمان في الخطبة يوم الجمعة ويسبون عليا. ولما كان المغيرة متولي الكوفة كان يفعل ذلك، وكان حجرٌ يقوم ومعه جماعة يردون عليه، وكان المغيرة يتجاوز عنهم، فلما ولي زيادٌ ودعا لعثمان وسب عليا قام حجر وقال كما كان يقول، من الثناء على علي، فغضب زيادٌ وأمسكه وأوثقه بالحديد وثلاثة عشر نفراً معهم وأرسلهم إلى معاوية، فشفع في ستة منهم عشائرهم، وبقي ثمانية منهم حجر، فقتلهم معاوية. وكان حجرٌ صحابياً من أعظم الناس ديناً وصلاة. وروى ابن الجوزي بإسناده عن الحسن البصري أنه قال: أربع خصال كن في معاوية، لو لم تكن فيه إلا واحدةٌ لكانت موبقة، وهي: أخذه الخلافة بالسيف من غير مشاورة، وفي الناس بقايا الصحابة وذوو الفضيلة. واستخلافه ابنه يزيد، وكان سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير. وادعاؤه زياداً أخاً، وقد قال رسول الله ﷺ: «الولد للفراش وللعاهرة الحجر». وقتله حجر بن عديٍّ وأصحابه، فيا ويلاً له من حجر وأصحاب حجر. (عبد القادر البغدادي، خزانة الأدب، 785).

الفوت ضرب بيده إلى كف من الحصا، وثار إلى الصلاة، وثار الناس معه، فنزل زياد فصلى بالناس، ثم كتب إلى معاوية في أمره، فاستشهد عليه جماعة من أهل مصره، منهم أبو بردة بن أبي موسى أنه خلع الطاعة ودعا إلى الفتنة. فكتب إليه معاوية أن شده في الحديد ثم احمله إلي فبعثه إليه مع جماعة ممن يرى رأيه، فاستوهب بعضهم وبقي بعضهم، فقيل لهم تبرأوا من علي حتى يطلقكم، فلم يفعلوا. فلما دخل حجر على معاوية قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال له معاوية: لا والله لا أقيلك ولا أستقيلك، أخرجوه فاضربوا عنقه، فأخرج، فقال: دعوني أصلي ركعتين، فصلاهما، ثم قال لمن حضره من أهله: لا تطلقوا عني حديداً، ولا تغسلوا عني دماً، فإني ألاقي معاوية غداً على الجادة.[1] ثم قدم فضربت عنقه، وقتل معه جماعة من أصحابه ممن يرى رأيه. ولما لقيت عائشة أم المؤمنين معاوية قالت: يا معاوية، أين كان حلمك عن حجر، فقال لها: يا أم المؤمنين، لم يحضرني رشيد. قال ابن سيرين: فبلغنا أنه لما حضرته الوفاة جعل يغرغر بالموت ويقول: يومي منك يا حجر يوم طويل.»[2]

في نص شبيه نقرأ «أن المغيرة بن شعبة لما ولي[3] الكوفة كان يقوم على

---

(1) وأما حجر بن عدي فقتله معاوية صبرا بعث به إليه زياد بن أبي سفيان وروى هشام بن حسان عن محمد بن سيرين أن حجر بن عدي قال لا تطلقوا عني حديدا ولا تغسلوا عني دما وادفنوني في ثيابي فإني ملاق معاوية بالجادة وإني مخاصمه وروى معمر عن أيوب عن بن سيرين قال أمر معاوية بقتل حجر بن عدي الكندي فقال حجر لا تنزعوا عني قيدا أو قال حديدا وكفنوني في ثيابي ودمي (ابن عبد البر، الاستذكار، 808).

(2) ابن الجوزي، المنتظم، 658.

(3) إن معاوية بن أبي سفيان لما ولي المغيرة بن شعبة الكوفة في جمادى سنة إحدى وأربعين دعاه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:... ولست تاركاً إيصاءك بخصلة: لا تتحم عن

المنبر فيذم علي بن أبي طالب[1] وشيعته، وينال منهم، ويلعن قتلة عثمان، ويستغفر لعثمان ويزكيه، فيقوم حجر بن عدي فيقول: «يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم» [سورة النساء، 135]، وإني أشهد أن من تذمون أحق بالفضل ممن تطرون، ومن تزكون أحق بالذم ممن تعيبون. فيقول له المغيرة: يا حجر، ويحك! اكفف من هذا،

شتم علي وذمه، والترحم على عثمان والاستغفار له، والعيب على أصحاب علي، والإقصاء لهم، وترك الاستماع منهم؛ وبإطراء شيعة عثمان رضوان الله عليه، والإدناء لهم، والاستماع منهم. فقال المغيرة: قد جربت وجربت، وعملت قبلك لغيرك، فلم يذمم بي دفع ولا رفع ولا وضع، فستبلو فتحمد أو تذم. قال: بل نحمد إن شاء الله. قال ابن مخنف: قال الصقعب بن زهير: سمعت الشعبي يقول: ما ولينا والٍ بعده مثله، وإن كان لاحقاً بصالح من كان قبله من العمال.(الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1192).

(1) خرج حجر بن عدي وعمرو بن الحمق، يظهران البراءة من أهل الشام، فأرسل علي عليه السلام إليهما أن كفا عما يبلغني عنكما، فأتياه، فقالا: يا أمير المؤمنين، ألسنا محقين؟ قال: بلى، قالا: أو ليسوا مبطلين؟ قال: بلى، قالا: فلم منعتنا من شتمهم؟ قال: قال: كرهت لكم أن تكونوا لعانين شتامين تشتمون وتتبرأون؛ ولكن لو وصفتم مساوئ أعمالهم فقلتم: من سيرتهم كذا وكذا، ومن أعمالهم كذا وكذا، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر؛ وقلتم مكان لعنكم إياهم، وبراءتكم منهم: اللهم احقن دماءهم ودماءنا، وأصلح ذات بينهم وبيننا، واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق منهم من جهله، ويرعوي عن الغي منهم من لهج به ـ لكان أحب إلي وخيراً لكم. فقالا: يا أمير المؤمنين، نقبل عظتك، ونتأدب بأدبك.(ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 284)؛ قالوا: وبلغ علياً أن حجر بن عدي وعمرو بن الحمق يظهران شتم معاوية، ولعن أهل الشام، فأرسل إليهما أن كفا عما يبلغني عنكما. فأتياه، فقالا: يا أمير المؤمنين، ألسنا على الحق، وهم على الباطل؟، قال: بلى، ورب الكعبة المسدنة، قالوا: فلم تمنعنا من شتمهم ولعنهم؟، قال: كرهت لكم أن تكونوا شتامين لعانين، ولكن قولوا: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم، حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوى عن الغي من لجج به. (أبو حذيفة الدينوري، الأخبار الطوال، 87).

واتق غضبة السلطان وسطوته؛ فإنها كثيراً ما تقتل مثلك. ثم يكف عنه. فلم يزل كذلك حتى كان المغيرة[1] يوماً في آخر أيامه يخطب على المنبر، فنال من علي بن أبي طالب، ولعنه، ولعن شيعته، فوثب حجر فنعر نعرة أسمعت كل من كان في المسجد وخارجه. فقال له: إنك لا تدري أيها الإنسان بمن تولع، أو هرمت! مر لنا بأعطياتنا وأرزاقنا؛ فإنك قد حبستها عنا، ولم يكن ذلك لك ولا لمن كان قبلك، وقد أصبحت مولعاً بذم أمير المؤمنين وتقريظ المجرمين.... فقام معه أكثر من ثلاثين[2] رجلاً يقولون: صدق والله حجر! مر لنا بأعطياتنا؛ فإنا لا ننتفع بقولك هذا، ولا يجدي علينا، وأكثروا في ذلك... فنزل المغيرة ودخل القصر، فاستأذن عليه قومه، ودخلوا ولاموه في احتماله حجراً، فقال لهم: إني قد قتلته. قالوا: وكيف ذلك؟ قال: إنه سيأتي أمير بعدي فيحسبه مثلي فيصنع به شبيهاً بما ترونه، فيأخذه عند أول وهلة فيقتله شر قتلة. إنه قد اقترب أجلي، وضعف عملي، وما أحب أن أبتدىء أهل هذا المصر بقتل خيارهم وسفك دمائهم، فيسعدوا بذلك وأشقى، ويعز معاوية في الدنيا ويذل المغيرة في الآخرة، سيذكرونني لو قد حربوا العمال. قال الحسن بن عقبة: فسمعت شيخاً من الحي يقول: قد والله جربناهم فوجدناه خيرهم.

ثم هلك[3]

(1) وبعث إلى حجر بخمسة آلاف درهم ترضاه بها. فقيل للمغيرة: لم فعلت هذا، وفيه عليك وهن وغضاضة؟ فقال: قد قتلته بها. أبو حذيفة الدينوري، الأخبار الطوال، 88).

(2) فقام معه أكثر من ثلثي الناس يقولون (الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1193).

(3) وفاة المغيرة: توفي المغيرة وهو عامل على الكوفة سنة خمسين بالطاعون، وقيل سنة تسع وأربعين، وقيل سنة إحدى وخمسين، فولى مكانه معاوية زياداً وجمع له المصرين. فسار زياد إليها واستخلف على البصرة سمرة بن جندب. فلما وصل الكوفة خطبهم،

فحصبوه على المنبر فلما نزل جلس على كرسي وأحاط أصحابه بأبواب المسجد يأتونه بالناس يستحلفهم على ذلك. ومن لم يحلف حبسه. فبلغوا ثمانين واتخذ المقصورة من يوم حبس. ثم بلغه عن أوفى بن حسين شيء فطلبه، فهرب ثم أخذه فقتله. وقال له عمارة بن عتبة بن أبي معيط إن عمرو بن الحمق يجتمع إليه شيعة علي، فأرسل إليه زياد ونهاه عن الاجتماع عنده. وقال لا أبيح أحداً حتى يخرج علي، وأكثر سمرة بن جندب الـتامي بالبصرة. يقال قتل ثمانية آلاف فأنكر ذلك عليه زياد.. كان المغيرة بن شعبة أيام إمارته على الكوفة كثيراً ما يتعرض لعلي في مجالسه وخطبه، ويترحم على عثمان ويدعو له. فكان حجر بن عدي إذا سمعه يقول: بلاياكم قد أضل الله ولعن. ثم يقول أنا أشهد أن من تذمون أحق بالفضل، ومن تزكون أحق بالذم. فبعث له المغيرة يقول: يا حجر اتق غضب السلطان وسطوته، فإنها تهلك أمثالك لا يزيده على ذلك. ولما كان آخر أمارة المغيرة قال في بعض أيامه مثل ما كان يقول، فصاح به حجر ثم قال له: مر لنا بأرزاقنا فقد حبستها منا وأصبحت مولعاً بذم المؤمنين، وصاح الناس من جوانب المسجد صدق حجر فمر لنا بأرزاقنا، فالذي أنت فيه لا يجدي علينا نفعاً. فدخل المغيرة إلى بيته وعذله قومه في جراءة حجر عليه يوهن سلطانه، ويسخط عليه معاوية. فقال لا أحب أن آتي بقتل أحد من أهل المصر. وسيأتي بعدي من يصنع معه مثل ذلك فيقتله. ثم توفي المغيرة وولي زياد. فلما قدم خطب الناس وترحم على عثمان ولعن قاتليه. وقال حجر ما كان يقول، فسكت عنه ورجع إلى البصرة واستخلف على الكوفة عمرو بن حريث، وبلغه أن حجراً يجتمع إليه شيعة علي ويعلنون بلعن معاوية والبراءة منهم، وأنهم حصبوا عمرو بن حريث، فشخص إلى الكوفة حتى دخلها، ثم خطب الناس وحجر جالس يسمع، فتهدده وقال: لست بشيء إن لم أمنع الكوفة من حجر، وأودعه نكالاً لمن بعده. ثم بعث إليه فامتنع من الإجابة، فبعث صاحب الشرطة شداد بن الهيثم الهلالي إليه جماعة، فسبهم أصحابه. (ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 755).

المغيرة سنة خمسين[1]، فجمعت الكوفة والبصرة لزياد[2]، فدخلها، ووجه إلى حجر فجاءه، وكان له قبل ذلك صديقاً، فقال له: قد بلغني ما كنت تفعله بالمغيرة فيحتمله منك؛ وإني والله لا أحتملك على مثل ذلك أبداً، أرأيت ما كنت تعرفني به من حب علي ووده، فإن الله قد سلخه من صدري فصيره بغضاً وعداوة، وما كنت تعرفني به من بغض معاوية

(1) قال أبو معشر: فاعترف به معاوية وأمره على العراقين ـ يعني زياداً ـ فلما قدم الكوفة، دعا حجر بن الأدبر فقال: يا أبا عبد الرحمن، كيف تعلم حبي لعلي؟ قال: شديداً. قال: فإن ذلك قد انسلخ أجمع فصار بغضاً، فلا تكلمني بشيء أكرهه، فإني أحذرك. فكان إذا جاء إبان العطاء قال حجر لزياد: أخرج العطاء فقد جاء إبانه، فكان يخرجه... فخرج زياد إلى البصرة واستعمل على الكوفة عمرو بن حريث، فصنع عمرو شيئاً كرهه حجر، فناداه وهو على المنبر، فرد عليه ما صنعه، وحصبه هو وأصحابه. قال: فأبرد عمرو مكانه بريداً إلى زياد، وكتب إليه بما صنع حجر؛ فلما قدم البريد على زياد، ندم عمرو بن حريث وخشي أن يكون من سطواته ما يكره، وخرج زياد من البصرة إلى الكوفة، فتلقاه عمرو بن حريث في بعض الطريق فقال: إنه لم يك شيء يكرهه، وجعل يسكنه، فقال زياد: كلا والذي نفسي بيده، حتى آتي الكوفة فأنظر ماذا أصنع، فلما قدم الكوفة سأل عمراً عن البينة، وسأل أهل الكوفة، فشهد شريح في رجال معه على أنه حصب عمراً وردّ عليه، فاجتمع حجر وثلاثة آلاف من أهل الكوفة فلبسوا السلاح، وجلسوا في المسجد، فخطب زياد الناس وقال: يا أهل الكوفة، ليقم كل رجل منكم إلى سفيهه فليأخذه، فجعل الرجل يأتي ابن أخيه وابن عمه وقريبه فيقول: قم يا فلان، قم يا فلان، حتى بقي حجر في ثلاثين رجلاً. (ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 850).

(2) وأمر المغيرة بن شعبة ـ وهو يومئذ أمير الكوفة من قبل معاوية ـ حجر بن عدي أن يقوم في الناس، فيلعن علياً عليه السلام، فأبى ذلك، فتوعده، فقام فقال: أيها الناس: أن أميركم أمرني أن ألعن علياً فالعنوه. فقال أهل الكوفة: لعنه الله، وأعاد الضمير إلى المغير بالنية والقصد. وأراد زياد أن يعرض أهل الكوفة أجمعين على البراءة من علي عليه السلام ولعنه وأن يقتل كل من امتنع من ذلك، ويخرب منزله، فضربه الله ذلك اليوم بالطاعون، فمات ـ لا رحمه الله ـ بعد ثلاثة أيام، وذلك في خلافة معاوية. (ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 362).

وعداوته فإن الله قد سلخه من صدري وحوله حباً ومودة وإني أخوك الذي تعهد، إذا أتيتني وأنا جالس للناس فاجلس معي على مجلسي، وإذا أتيت ولم أجلس للناس فاجلس حتى أخرج إليك، ولك عندي في كل يوم حاجتان: حاجة غدوة، وحاجة عشية، إنك إن تستقم تسلم لك دنياك ودينك، وإن تأخذ يميناً وشمالاً تهلك نفسك وتشط عندي دمك، إني لا أحب التنكيل قبل التقدمة، ولا آخذ بغير حجة، اللهم اشهد. فقال حجر: لن يرى الأمير مني إلا ما يحب، وقد نصح، وأنا قابل نصيحته. ثم خرج من عنده، فكان يتقيه ويهابه، وكان زياد يدنيه ويكرمه ويفضله، والشيعة تختلف إلى حجر وتسمع منه»[1].

«وكان زياد يشتو بالبصرة، ويصيف بالكوفة، ويستخلف على البصرة سمرة بن جندب، وعلى الكوفة عمرو بن حريث[2]، فقال له عمارة بن

---

(1) أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، 1920 وما بعد.

(2) وفي حديث فيل مولى زياد قال: لما قدم زياد الكوفة أميراً أكرم حجر بن الأدبر وأدناه، فلما أراد الانحدار إلى البصرة دعاه فقال: يا حجر، إنك قد رأيت ما صنعت بك، وإني أريد البصرة فأحب أن تشخص معي، فإني أكره أن تخلف بعدي، فعسى أن أبلغ عنك شيئاً فيقع في نفسي، فإذا كنت معي، لم يقع في نفسي من ذلك شيء، فقد علمت رأيك في علي بن أبي طالب، وقد كان رأيي فيه قبلك على مثل رأيك. فلما رأيت الله صرف ذلك الأمر عنه إلى معاوية لم أتهم الله ورضيت به، وقد رأيت إلى ما صار أمر علي وأصحابه، وإني أحذر كأن تركب أعجاز أمور هلك من ركب صدورها. فقال له حجر: إني مريض ولا أستطيع الشخوص معك. قال: صدقت والله إنك لمريض، مريض الدين، مريض القلب، مريض العقل، وأيم الله إن بلغني عنك شيء أكرهه لأحرضن على قتلك، فانظر لنفسك أو دع. فخرج زياد فلحق بالبصرة. واجتمع إلى حجر قرّاء أهل الكوفة، فجعل عامل زياد لا ينفذ الأمر ولا يريد شيئاً إلّا منعوه إياه، فكتب إلى زياد: إني والله ما أنا في شيء، وقد منعني حجر وأصحابه كل شيء، فأنت أعلم. فركب زياد بعماله حتى اقتحم الكوفة، فلما قدمها تغيب حجر، فجعل يطلبه فلا يقدر عليه، فبينا هو جالس يوماً وأصحاب الكراسي حوله، فيهم الأشعث بن

عقبة: إن الشيعة تختلف إلى حجر، وتسمع منه، ولا أراه عند خروجك إلا ثائراً، فدعاه زياد فحذّره ووعظه. وخرج إلى البصرة، واستعمل عمرو بن حريث، فجعلت الشيعة تختلف إلى حجر، ويجيء حتى يجلس في المسجد فتجتمع إليه الشيعة، حتى يأخذوا ثلث المسجد أو نصفه، وتطيف بهم النظارة، ثم يمتلىء المسجد، ثم كثروا، وكثر لغطهم، وارتفعت أصواتهم بذم معاوية وشتمه ونقص زياد. وبلغ ذلك عمرو بن حريث، فصعد المنبر، واجتمع إليه أشراف أهل المصر فحثهم على الطاعة والجماعة. وحذرهم الخلاف؛ فوثب إليه عنق من أصحاب حجر يكبرون ويشتمون، حتى دنوا منه، فحصبوه وشتموه حتى نزل ودخل القصر، وأغلق عليه بابه، وكتب إلى زياد بالخبر، [فقال]: ما أنا بشيء إن لم أمنع الكوفة من حجر، وأدعه نكالاً لمن بعده، ويل أمك حجر! لقد سقط بك العشاء على سرحان. ثم أقبل حتى أتى الكوفة، فدخل القصر، ثم خرج وعليه قباء سندس، ومطرف خز أخضر، وحجر جالس في المسجد،

قيس، إذ أتى الأشعث ابنه محمد فناجاه، وأخبره أن حجراً قد لجأ إلى منزله. فقال له زياد: ما قال لك ابنك؟ قال: لا شيء. قال: والله لتخبرني ما قال لك حتى اعلم أنك قد صدقت، أو لا تبرح مجلسك حتى أقتلك. فلما عرف الأشعث أخبره. فقال لرجل من أهل الكوفة من أشرافهم: قم فأتني به. قال: اعفني من ذلك، ابعث غيري. قال: لعنة الله عليك خبيثاً مخبثاً، والله لتأتيني به أو لأقتلنك. فخرج الرجل حتى دخل عليه، فأخذه وأخبر حجراً الخبر، فقال له: ابعث إلى جرير بن عبد فليكلمه فيك، فإني أخاف أن يعجل عليك. فدخل جرير على زياد فكلمه فقال: هو أمن من أن أقتله، ولكن أخرجه، فأبعث به إلى معاوية، فجاءه على ذلك، فأخرجه من الكوفة ورهطاً معه، وكتب إلى معاوية أن اغن عني حجراً، إن كان لك فيها قبلي حاجة، فبعث معاوية فتلقاه بعذراء، فقتل هو وأصحابه. وملك زياد العراق خمس سنين، ثم مات سنة ثلاث وخمسين. (ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 830).

وحوله أصحابه ما كانوا. فصعد المنبر[1] فخطب وحذر الناس، ثم قال لشداد بن الهيثم الهلالي أمير الشرط: اذهب فائتني بحجر[2]، فذهب

(1) وهو أن زياداً خطب يوم جمعة فأطال الخطبة وأخر الصلاة، فقال له حجر بن عدي: الصلاة. فمضى في خطبته فقال له: الصلاة. فمضى في خطبته، فلما خشي حجر فوت الصلاة ضرب بيده إلى كف من حصى، وقال إلى الصلاة وقام الناس معه النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 2415

(2) فجمع زياد أهل الكوفة وتهددهم فتبرؤوا. فقال ليدع كل رجل منكم عشيرته الذين عند حجر ففعلوا، حتى إذا لم يبق معه إلا قومه، قال زياد لصاحب الشرطة: انطلق إليه فأت به طوعاً أو كرهاً. فلما جاء يدعوه امتنع عن الإجابة، فحمل عليهم وأشار إليه أبو العمرطة الكندي بأن يلحق بكندة فمنعوه، هذا وزياد على المنبر ينتظر. ثم غشيهم أصحاب زياد وضرب عمرو بن الحمق، فسقط ودخل في دور الأزد، فاختفى وخرج حجر من أبواب كندة، فركب ومعه أبو العمرطة إلى دور قومه، واجتمع إليه الناس ولم يأته من كندة إلا قليل. ثم أرسل زياد وهو على المنبر مذحج وهمدان ليأتوه بحجر، فلما علم أنهم قصدوه تسرب من داره إلى النخع، ونزل على أخي الأشتر. وبلغه أن الشرطة تسأل عنه في النخع. فأتى الأزد واختفي عند ربيعة بن ناجد، وأعياهم طلبه. فدعا حجر محمد بن الأشعث أن يأخذ له أمانا من زياد حتى يبعث به إلى معاوية، فجاء محمد ومعه جرير بن عبد الله، وحجر بن يزيد وعبد الله بن الحارث أخو الأشتر، فاستأمنوا له زياداً فأجابهم. ثم أحضروا حجراً فحبسه وطلب أصحابه، فخرج عمرو بن الحمق إلى الموصل ومعه زواعة بن شداد، فاختفى في جبل هناك. ورفع أمرهما إلى عامل الموصل وهو عبد الرحمن بن عثمان الثقفي ابن أخت معاوية، ويعرف بابن أم الحكم. فسار إليهما وهرب زواعة، وقبض على عمرو، وكتب إلى معاوية بذلك. فكتب إليه أنه طعن عثمان سبعاً بمشاقص كانت معه فأطعنه كذلك فمات في الأولى والثانية. ثم جد زياد في طلب أصحاب حجر وأتي بقبيصة بن ضبيعة العبسي بأمان فحبسه. وجاء قيس بن عباد الشبلي برجل من قومه من أصحاب حجر، فأحضره زياد وسأله عن علي فأثنى عليه، فضربه وحبسه. وعاش قيس بن عباد حتى قاتل مع ابن الأشعث. ثم دخل بيته في الكوفة وسعى به إلى الحجاج فقتله. ثم أرسل زيادا إلى عبد الله بن خليفة الطائي من أصحاب حجر فتوارى، وجاء الشرط فأخذوه. ونادت أخته الفرار بقومه فخلصوه، فأخذ زياد عدي بن حاتم وهو في المسجد وقال: ائتني بعبد الله وخبره جهرةً فقال آتيك بابن عمي تقتله والله لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه فحبسه، فنكر ذلك الناس وكلموه وقالوا تفعل هذا بصاحب رسول الله

إليه فدعاه، فقال أصحابه: لا يأتيه ولا كرامة. فسبوا الشرط، فرجعوا إلى زياد فأخبروه، فقال: يا أشراف أهل الكوفة! أتشجون بيد وتأسون بأخرى؟ أبدانكم عندي، وأهواؤكم مع هذه الهجاجة المذبوب. أنتم معي وإخوتكم وأبناؤكم وعشيرتكم مع حجر. فوثبوا إلى زياد فقالوا: معاذ الله أن يكون لنا فيما ها هنا رأي إلا طاعتك وطاعة أمير المؤمنين، وكل ما ظننت أن يكون فيه رضاك فمرنا به. قال: ليقم كل امرىء منكم إلى هذه الجماعة التي حول حجر، فليدع الرجل أخاه وابنه وذا قرابته ومن يطيعه من عشيرته، حتى تقيموا عنه كل من استطعتم. ففعلوا، وجعلوا يقيمون

وكبير طيىء قال: أخرجه على أن يخرج ابن عمه عني فأطلقه وأمر عدي عبد الله أن يلحق بجبل طيىء فلم يزل هنالك حتى مات. وأتي زياد بكريم بن عفيف الخثعمي من أصحاب حجر وغيره. ولما جمع منهم اثني عشر في السجن دعا رؤوس الأرباع يومئذ وهم عمرو بن حريث على ربع أهل المدينة، وخالد بن عرفطة على ربع تميم وهمدان، وقيس بن الوليد على ربع ربيعة، وكندة وأبو بردة بن أبي موسى على ربع مذحج وأسد. فشهدوا كلهم أن حجراً جمع الجموع، وأظهر شتم معاوية، ودعا إلى حربه. وزعم أن الأمر لا يصلح إلا في الطالبيين. ووثب بالمصر، وأخرج العامل، وأظهر غدر أبي تراب والترحم عليه، والبراءة من عدوه وأهل حربه، وأن النفر الذين معه وهم رؤوس أصحابه على مقدم رأيه. ثم استكثر زياد من الشهود، فشهد إسحق وموسى ابنا طلحة والمنذر بن الزبير عمارة بن عقبة بن أبي معيط، وعمر بن سعد بن أبي وقاص وغيرهم. وفي الشهود شريح بن الحارث وشريح بن هانىء. ثم استدعى زياد وائل بن حجر الحضرمي وكثير بن شهاب ودفع إليهما حجر بن عدي وأصحابه وهم: الأرقم بن عبد الله الكندي، شريك بن شداد الحضرمي، وصيفي بن فضيل الشيباني، وقبيصة بن ضبيعة العبسي،وكريم بن عفيف الخثعمي، وعاصم بن عوف البجلي وورقاء بن سمي البجلي،وكرام بن حبان العنزي، وعبد الرحمن بن حسان العنزي، ومحرز بن شهاب التميمي، عبد الله بن حوية السعدي. ثم اتبع هؤلاء الإحدى عشر بعتبة بن الأخنس من سعد بن بكر، وسعد بن غوات الهمداني، وأمرهما أن يسيرا إلى معاوية. ثم لحقهما شريح بن هانىء ودفع كتابه إلى معاوية بن وائل. (ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 756).

عنه أصحابه حتى تفرق أكثرهم وبقي أقلهم. فلما رأى زياد خفة أصحابه قال لصاحب شرطته: اذهب فائتني بحجر، فإن تبعك وإلا فمر من معك أن ينتزعوا غمد السيوف[1]، ثم يشدوا عليه حتى يأتوا به، ويضربوا من حال دونه. فلما أتاه شداد قال له: أجب الأمير، فقال أصحاب حجر: لا والله ولا نعمة عين، لا يجيبه. فقال لأصحابه: علي بغمد السيوف، فاشتدوا إليها، فأقبلوا بها، فقال عمير بن زيد الكلبي أبو العمرطة[2]: إنه ليس معك رجل معه سيف غيري، فما يغني سيفي! قال: فما ترى؟ قال: قم من هذا المكان، فالحق بأهلك يمنعك قومك. فقام زياد ينظر على المنبر إليهم

(1) فلما رأى زياد أن جل من كان مع حجر أقيم عنه، قال لشداد بن الهيثم الهلالي - ويقال: هيثم بن شداد أمير شرطته -: انطلق إلى حجر، فإن تبعك فأتني به، وإلا فمر من معك فلينتزعوا عمد السوق، ثم يشدوا بها عليهم حتى يأتوني به ويضربوا من حال دونه. فأتاه الهلالي فقال: أجب الأمير؛ قال: فقال أصحاب حجر: لا ولا نعمة عين! لا نجيبه. فقال لأصحابه: شدوا على عمد السوق، فاشتدوا إليها، فأقبلوا بها قد انتزعوها، فقال عمير بن يزيد الكندي من بني هند - وهو أبو العمرطة: إنه ليس معك رجل معه سيف غيري، وما يغني عنك! (الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1194).
(2) أو: أبو القمطرة الكندي (العصامي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، 550).

فغشوا حجراً بالعمد، فضرب رجل من الحمراء يقال له: بكر بن عبيد رأس عمرو بن الحمق بعمود فوقع. توارى حجر في منازل الأزد وأتاه أبو سفيان بن العويمر والعجلان بن ربيعة ـ وهما رجلان من الأزد ـ فحملاه، فأتيا به دار رجل من الأزد يقال له عبيد الله بن موعد، فلم يزل بها متوارياً حتى خرج منها».[1]

«وينتزع [أحد أتباع كعب] عموداً من بعض الشرطة، فقاتل به وحمى حجراً وأصحابه؛ حتى خرجوا من تلقاء أبواب كندة، وبغلة حجر موقوفة، فأتى بها أبو العمرطة إليه، ثم قال: اركب لا أب لغيرك! فوالله ما أراك إلا قد قتلت نفسك، وقتلتنا معك؛ فوضع حجر رجله في الركاب؛ فلم يستطع أن ينهض، فحمله أبو العمرطة على بغلته، ووثب أبو العمرطة على فرسه؛ فما هو إلا أن استوى عليه حتى انتهى إليه يزيد بن طريف المسلي ـ وكان يغمز ـ فضرب أبا العمرطة بالعمود على فخذه، ويخترط أبو العمرطة سيفه، فضرب به رأس يزيد بن طريف، فخر لوجهه. ثم إنه برأ بعد... وكان ذلك السيف أول سيف ضرب به في الكوفة في الاختلاف بين الناس. ومضى حجر وأبو العمرطة حتى انتهيا إلى دار حجر، واجتمع إلى حجر ناس كثير من أصحابه، وخرج قيس بن فهدان الكندي على حمار له يسير في مجالس كندة،... فلم يأته من كندة كثير أحد».[2]

يقال إن زياد طالب الحسن بن علي وضع حد لنشاط حجر المعارض؛ «لقى حجر بن عدي [الحسن]، فقال له: يا بن رسول الله، لوددت أني مت قبل ما رأيت، أخرجتنا من العدل إلى الجوار، فتركنا الحق الذي كنا عليه،

---

(1) الأصبهاني، المرجع السابق.
(2) الطبري، المرجع السابق.

ودخلنا في الباطل الذي كنا نهرب منه، وأعطينا الدنية من أنفسنا، وقبلنا الخسيسة التي لم تلق بنا. فاشتد على الحسن ﷺ كلام حجر، فقال له: إني رأيت هوى عظم الناس في الصلح، وكرهوا الحرب، فلم أحب أن أحملهم على ما يكرهون، فصالحت بقياً على شيعتنا خاصة من القتل، فرأيت دفع هذه الحروب إلى يوم ما، فإن الله كل يوم هو في شأن. قال: فخرج من عنده، ودخل على الحسين ﷺ مع عبيدة بن عمرو، فقالا: أبا عبد الله، شريتم الذل بالعز، وقبلتم القليل، وتركتم الكثير، أطعنا اليوم، واعصنا الدهر، دع الحسن وما رأى من هذا الصلح، واجمع إليك شيعتك من أهل الكوفة وغيرها، وولني وصاحبي هذه المقدمة، فلا يشعر ابن هند إلا ونحن نقارعه بالسيوف. فقال الحسين: إنا قد بايعنا وعاهدنا، ولا سبيل إلى نقض بيعتنا. وروى عن علي بن محمد بن بشير الهمداني، قال: خرجت أنا وسفيان ابن ليلى حتى قدمنا على الحسن المدينة، فدخلنا عليه، وعنده المسيب بن نخبة وعبد الله بن الوداك التميمي، وسراج بن مالك الخثعمي، فقلت: السلام عليك يا مذل المؤمنين، قال: وعليك السلام، اجلس، لست مذل المؤمنين، ولكني معزهم، ما أردت بمصالحتي معاوية إلا أن أدفع عنكم القتل عندما رأيت من تباطؤ أصحابي عن الحرب، ونكولهم عن القتال، ووالله لئن سرنا إليه بالجبال والشجر ما كان بد من إفضاء هذا الأمر إليه. قال: ثم خرجنا من عنده، ودخلنا على الحسين، فأخبرناه بما رد علينا، فقال: صدق أبو محمد، فليكن كل رجل منكم حلساً من أحلاس بيته، مادام هذا الإنسان حياً.»[1]

(1) أبو حذيفة الدينوري، الأخبار الطوال، 87.

«فقال زياد[1] ـ وهو على المنبر ـ لتقم همدان وتميم وهوازن وأبناء

(1) ثم جَد زياد في طلب أصحاب حجر، فأتى بقبيصة بن ضبيعة العبسي بأمان فحبسه، وجاء قيس بن عباد الشيباني برجل من قومه من أصحاب حجر فأحضره زياد، وسأله عن علي بن أبي طالب، فأثنى عليه فضربه وحبسه، وعاش قيس بن عباد حتى قاتل مع ابن الأشعث، ثم دخل بيته في الكوفة وسعى به إلى الحجاج فقتله، ثم أرسل زياد إلى عبد الله بن خليفة الطائي من أصحاب حجر، فتوارى عنه وجاء الشرط فأخذوه، ونادت أخته النوار بقومه فخلصوه، فأخذ زياد عدي بن حاتم، وهو في المسجد، وقال: ائتني بعبد الله بن خليفة الطائي وخبره، فقال له: آتيك بابن عمي تقتله؟! والله لو كان تحت قدمي ما رفعتها عنه، فحبسوه، فنكر الناس عليه ذلك وكلموه، وقالوا: تفعل هذا بصاحب رسول الله ﷺ وكبير طيئ؟! فقال زياد: أخرجه علَي أن يخرج ابن عمه عني، فأطلقه وأمر عدي عبد الله أن يلحق بجبلي طيئ، فلم يزل هنالك حتى مات. وأتى زياد بكريم بن عفيف الخثعمي من أصحاب حجر وغيره. ولما جمع منهم اثنَي عشر في السجن، دعا رؤساء الأرباع، وهم يومئذ عمرو بن حريث على ربع أهل المدينة، وخالد بن عروة على ربع تميم وهمدان، وقيس بن الوليد على ربع ربيعة وكندة، وأبو بردة بن أبي موسى على ربع مذحج وأسد، فشهدوا كلهم أن حجراً جمع الجموع وأظهر شتم معاوية ودعا إلى حربه، وزعم أن الإمارة لا تصلح إلا في الطالبيين ووثب بالمصر وأخرج العامل، وأظهر عذرَ أبي تراب والترحُمَ عليه. أقول: نعم، رحمة الله عليه ورضَاهُ، والبراءة من عدوه ومن أهل حربه. وإن النفر الذين معه وهم رءوس أصحَابه على مثل رأيه. ثم استكثر زياد من الشهود، فشهد إسحاق وموسى ابنا طلحة، والمنذر بن الزبير، وعمارة بن عقبة بن أبي معيط، وعمر بن سعد بن أبي وقاص، وغيرهم، وكتب في الشهود شريح بن الحارث القاضي وشريح بن هانئ. ثم استدعى زيادُ وائل بنَ حُجر الحضرمي، وكثير بن شهاب، ودفع إليهما حُجْراً وأصحابه، وهم الأرقم بن عبد الله الكندي، وشريك بن شداد الحضرمي، وصيفي ابن فضيل الشيباني، وقبيصة بن ضبيعة العبسي، وكريم بن عفيف الخثعمي، وعاصم بن عوت البجلي، وورقاء بن سمي البجلي، وكرام بن حيان العنزي، وعبد الرحمن بن حسان العنزي ـ أيضاً ـ ومحرز بن شهاب التميمي، وعبد الله بن حوية السعدي، ثم أتبع هؤلاء الاثني عشر بعتبة بن الأخنس بن سعد بن بكر، وسعد ابن عمران الهمداني، وأمرهما أن يسيرا بهم إلى معاوية، ثم لحقهما شريح بن هانئ، وأرسل كتابًا إلى معاوية دفعه إلى وائل بن حجر الحضرمي. فلما انتهوا إلى مرج عذراء قرب دمشق، تقدم وائل وكثير إلى معاوية، وقرأ كتاب شريح بن هانئ، وفيه: بلغني أن

بغيض ومذحج وأسد وغطفان فليأتوا جبانة كندة، وليمضوا من ثم إلى حجر، فليأتوني به. ثم كره أن تسير مضر مع اليمن، فيقع شغب واختلاف، أو تنشب الحمية فيما بينهم. فقال: لنقم تميم وهوازن وأبناء بغيض وأسد وغطفان، ولتمض مذحج وهمدان إلى جبانة كندة، ثم ليمضوا إلى حجر فليأتوني به، وليسر أهل اليمن حتى ينزلوا جبانة الصيداويين، وليمضوا إلى صاحبهم فليأتوني به. فخرجت الأزد وخثعم والأنصار وقضاعة وخزاعة، فنزلوا جبانة الصيداويين [في الطبري، جبانة الصائديين]، ولم تخرج حضرموت مع اليمن لمكانهم من كندة... عن محمد بن مخنف، قال: فإني لمع أهل اليمن وهم يتشاورون في أمر حجر، فقال لهم عبد الرحمن بن مخنف: أنا مشير عليكم برأي، فإن قبلتموه رجوت أن تسلموا من اللائمة والإثم: أن تلبثوا قليلاً حتى تكفيكم عجلة في شباب مذحج وهمدان ما تكرهون أن يكون من مساءة قومكم في صاحبكم. فأجمع رأيهم على ذلك، فلا والله ما كان إلا كلاً ولا حتى أتينا فقيل لنا: إن شباب مذحج وهمدان قد دخلوا، فأخذوا كل ما وجدوا في بني بجيلة.... فمر

زياداً كتب شهادتي، وإني أشهد على حُجر أنه ممن يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويديم الحج والعمرة ويأمر بالمعروف وينهى عنِ المنكر حرامُ الدم والمال، فإن شئت فاقتله أو فدعه، فقال معاوية: ما أرى هذا إلا أخرج نفسه من شهادتكم، يعني: شريح بن هانئ. وحبس القوم بمرج عذراء حتى لحقهم عتبة بن الأخنس، وسعد بن عمران اللذين ألحقهما بهم زياد،؟ وجاء عامر بن الأسود العجلي إلى معاوية، فأخبره بوصولها، فاستوهب يزيد بن أسد البجلي عاصماً وورقاء ابني عمه، وقد كتب جرير يزكيهما، ويشهد ببراءتهما، فأطلقهما معاوية، وشفع وائل بن حُجر في الأرقم، وأبو الأعور السلمي في ابن الأخنس، وحبيب بن سلمة في أخويه فتركهم، وسأله مالك بن هبيرة في السكوني فردهُ، فغضب وجلس في بيته. (العصامي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، 551).

أهل اليمن على نواحي دور كندة معذرين، فبلغ ذلك زياداً، فأثنى على مذحج وهمدان، وذم أهل اليمن. فلما انتهى حجر إلى داره ورأى قلة من معه قال لأصحابه: انصرفوا، فوالله ما لكم طاقة بمن اجتمع عليكم من قومكم، وما أحب أن أعرضكم للهلاك. فذهبوا لينصرفوا، فلحقتهم أوائل خيل مذحج وهمدان، فعطف عليهم عمير بن يزيد، وقيس بن يزيد، وعبيدة بن عمرو، وجماعة، فتقاتلوا معهم، فقاتلوا عنه ساعة فجرحوا، وأسر قيس بن يزيد، وأفلت سائر القوم، فقال لهم حجر: لا أبا لكم! تفرقوا لا تقتلوا؛ فإني آخذ في بعض هذه الطرق. ثم أخذ نحو طريق بني حرب من كندة، حتى أتى دار رجل منهم يقال له سليمان [في الطبري، سليم] بن يزيد، فدخل داره، وجاء القوم في طلبه، ثم انتهوا إلى تلك الدار، فأخذ سليمان بن يزيد سيفه، ثم ذهب ليخرج إليهم، فبكت بناته، فقال له حجر: ما تريد؟ لا أبا لك! فقال له: أريد والله أن ينصرفوا عنك؛ فإن فعلوا وإلا ضاربتهم بسيفي هذا ما ثبت قائمه في يدي دونك. فقال له حجر: بئس والله إذن ما دخلت به على بناتك! أما في دارك هذه حائط أقتحمه أو خوخة أخرج منها، عسى الله أن يسلمني منهم ويسلمك؛ فإن القوم إن لم يقدروا علي في دارك لم يضرك أمرهم. قال: بلى، هذه خوخة تخرجك إلى دور بني العنبر من كندة، فخرج معه فتية من الحي يقصون له الطريق، ويسلكون به الأزقة، حتى أفضى إلى النخع، فقال عند ذلك: انصرفوا، رحمكم الله. فانصرفوا عنه، وأقبل إلى دار عبد الله بن الحارث أخي الأشتر، فدخلها، فإنه لكذلك قد ألقى له عبد الله الفرش، وبسط له البسط، وتلقاه ببسط الوجه وحسن البشر إذ أتي فقيل له: إن الشرط تسأل عنك في النخع وذلك أن أمة سوداء يقال لها أدماء لقيتهم فقالت لهم: من

تطلبون؟ قالوا: نطلب حجراً، فقالت: هو ذا قد رأيته في النخع، فانصرفوا نحو النخع؛ فخرج متنكراً، وركب معه عبد الله ليلاً حتى أتى دار ربيعة بن ناجذ الأزدي، فنزل بها، فمكث يوماً وليلة.

فلما أعجزهم أن يقدروا عليه دعا زياد محمد بن الأشعث فقال: أما والله لتأتيني بحجر أو لا أدع لك نخلة إلا قطعتها، ولا داراً إلا هدمتها، ثم لا تسلم مني بذلك حتى أقطعك إرباً إرباً. فقال له: أمهلني أطلبه. قال: قد أمهلتك ثلاثاً، فإن جئت به وإلا فاعدد نفسك من الهلكى. وأخرج محمد نحو السجن وهو منتقع اللون يتل تلاً عنيفاً. فقال حجر بن يزيد الكندي من بني مرة لزياد[1]: ضمنيه وخل سبيله ليطلب صاحبه، فإنه مخلى سربه أحرى أن يقدر عليه منه إذا كان محبوساً. قال: أتضمنه لي؟ قال: نعم. قال: أما والله لئن حاص عنك لأوردنك شعوب، وإن كنت الآن علي كريماً.

(1) إن حجر بن يزيد كلمه في قيس بن يزيد، وقد أتي به أسيراً، فقال لهم: ما على قيس بأس، قد عرفنا رأيه في عثمان، وبلاءه يوم صفين مع أمير المؤمنين، ثم أرسل إليه فأتي به، فقال له: إني قد علمت أنك لم تقاتل مع حجر؛ أنك ترى رأيه، ولكن قاتلت معه حمية قد غفرتها لك لما أعلم من حسن رأيك، وحسن بلائك؛ ولكن لن أدعك حتى تأتيني بأخيك عمير؛ قال: أجيئك به إن شاء الله؛ قال: فهات من يضمنه لي معك، قال: هذا حجر بن يزيد يضمنه لك معي؛ قال حجر بن يزيد: نعم أضمنه لك، على أن تؤمنه على ماله ودمه، قال: ذلك لك، فانطلقا فأتيا به وهو جريح، فأمر به فأوقر حديداً، ثم أخذته الرجال ترفعه، حتى إذا بلغ سررها ألقوه، فوقع على الأرض، ثم رفعوه وألقوه، ففعلوا به ذلك مراراً، فقام إليه حجر بن يزيد فقال: ألم تؤمنه على ماله ودمه أصلحك الله! قال: بلى، قد آمنته على ماله ودمه، ولست أهريق له دماً، ولا آخذ له مالاً. قال: أصلحك الله! يشفى به على الموت؛ ودنا منه وقام من كان عنده من أهل اليمن، فدنوا منه وكلموه، فقال: أتضمنوه لي بنفسه، فمتى ما أحدث حدثاً أتيتموني به؟ قالوا: نعم؛ قال: وتضمنون لي أرش ضربة المسلي، قالوا: ونضمنها؛ فخلى سبيله. (الطبري، السابق).

قال: إنه لا يفعل. فخلى سبيله. ثم إن حجر بن يزيد كلمه في قيس بن يزيد، وقد أتي به أسيراً، فقال: ما عليه من بأس، قد عرفنا رأيه في عثمان ﷺ، وبلاءه مع أمير المؤمنين بصفين، ثم أرسل إليه فأتي به، فقال: قد علمت أنك لم تقاتل مع حجر أنك ترى رأيه، ولكن قاتلت معه حمية، وقد غفرنا لك لما نعلمه من حسن رأيك، ولكن لا أدعك حتى تأتيني بأخيك عمير. قال: آتيك به إن شاء الله. قال: هات من يضمنه معك. قال: هذا حجر بن يزيد. قال حجر: نعم، على أن تؤمنه على ماله ودمه. قال: ذلك لك. فانطلقا فأتيا به، فأمر به فأوقر حديداً، ثم أخذته الرجال ترفعه، حتى إذا بلغ سررها ألقوه، فوقع على الأرض، ثم رفعوه فألقوه، ففعل به ذلك مراراً، فقام إليه حجر بن يزيد، فقال: أو لم تؤمنه؟ قال: بلى، لست أهريق له دماً، ولا آخذ له مالاً. فقال: هذا يشفي به على الموت. وقام كل من كان عنده من أهل اليمن، فكلموه فيه، فقال: أتضمنونه لي بنفسه متى أحدث حدثاً أتيتموني به؟ قالوا: نعم. فخلى سبيله. ومكث حجر [بن عدي] في منزل ربيعة بن ناجذ يوماً وليلة، ثم بعث إلى ابن الأشعث غلاماً يدعى رشيداً من سبي أصبهان، فقال له: إنه قد بلغني ما استقبلك به هذا الجبار العنيد، فلا يهولنك شيء من أمره؛ فإني خارج إليك، فاجمع نفراً من قومك، وادخل عليه، واسأله أن يؤمنني حتى يبعثني إلى معاوية، فيرى في رأيه. فخرج محمد إلى حجر بن يزيد، وجرير بن عبد الله، وعبد الله أخي الأشتر، فدخلوا إلى زياد فطلبوا إليه فيما سأله حجر، فأجاب، فبعثوا إليه رسولاً يعلمونه بذلك. فأقبل حتى دخل على زياد، فقال له: مرحباً يا أبا عبد الرحمن، حرب في أيام الحرب، وحرب وقد سالم الناس! «على نفسها تجني براقش»، فقال له: ما خلعت يداً على طاعة، ولا فارقت جماعة،

وإني لعلى بيعتي. فقال: هيهات يا حجر، أتشج بيد وتأسو بأخرى، وتريد إذا أمكننا الله منك أن ترضى! هيهات والله! فقال: ألم تؤمنني حتى آتي معاوية، فيرى في رأيه. قال: بلى، انطلقوا به إلى السجن. فلما مضي به قال: أما والله لولا أمانه ما برح حتى يلقط عصبه. فأخرج وعليه برنس في غداة باردة، فحبس عشر ليال، وزياد ما له عمل غير الطلب لرؤوس أصحاب حجر. فخرج عمرو بن الحمق، ورفاعة بن شداد حتى نزلا المدائن، ثم ارتحلا حتى أتيا الموصل، فأتيا جبلاً فكمنا فيه، وبلغ عامل ذلك الرستاق ـ وهو رجل من همدان يقال له عبيد الله بن أبي بلتعة ـ خبرهما، فسار إليهما في الخيل، ومعه أهل البلد، فلما انتهى إليهما خرجا، فأما عمرو فكان بطنه قد استسقى، فلم يكن عنده امتناع. وأما رفاعة فكان شاباً قوياً فوثب على فرس له جواد، وقال لعمرو: أقاتل عنك. قال: وما ينفعني أن تقتل؟ انج بنفسك، فحمل عليهم، فأفرجوا له حتى أخرجه فرسه، وخرجت الخيل في طلبه، وكان رامياً فلم يلحقه فارس إلا رماه، فجرحه أو عقره، فانصرفوا عنه؛ فأخذ عمرو بن الحمق، فسألوه: من أنت؟ فقال: من إن تركتموه كان أسلم لكم، وإن قتلتموه كان أضر عليكم، فسألوه فأبى أن يخبرهم، فبعثوا به إلى عبد الرحمن بن عثمان، وهو ابن أم الحكم، الثقفي، فلما رأى عمراً عرفه. فكتب إلى معاوية بخبره. فكتب إليه معاوية: إنه زعم أنه طعن عثمان تسع طعنات، وإنه لا يتعدى عليه، فأطعنه تسع طعنات كما طعن عثمان. فأخرج فطعن تسع طعنات، فمات في الأولى منهن أو في الثانية، وبعث برأسه إلى معاوية؛ فكان رأسه أول رأس حمل في الإسلام».[1]

---

(1) الأصبهاني، المرجع السابق.

أميال من دمشق، وهم: حجر بن عدي الكندي، والأرقم بن عبد الله الكندي، وشريك بن شداد الحضرمي، وصيفي بن فسيل الشيباني، وقبيصة بن ضبيعة العبسي، وكريم بن عفيف الخثعمي، وعاصم بن عوف البجلي، وورقاء بن سمي البجلي، وكدام بن حيان، وعبد الرحمن بن حسان العنزيان، ومحرز بن شهاب المنقري، وعبد الله بن جؤية التميمي، وأتبعهم زياد برجلين، وهما عتبة بن الأخنس السعدي، وسعيد بن نمران الهمداني الناعطي[1]، فكانوا أربعة عشر.[2] فبعث معاوية إلى وائل بن

(1) وفي سنة ثلاث وخمسين قتل معاوية بن أبي سفيان حجر بن عدي الكندي، وهو أول من قتل صبراً في الإسلام، حمله زياد بن أبيه من الكوفة ومعه تسعة نفر من أصحابه من أهل الكوفة، وأربعة من غيرها، وكان زياد بن أبيه شكاهم إلى معاوية وأنهم ينكرون عليه، وخاف من خلافهم وإثارتهم الفتنة، فحملوا إلى دمشق،... فلما صار إلى مرج عذراء تقدم البريد بأخبارهم إلى معاوية ﷺ، فبعث برجل أعور، فلما أشرف على حجر وأصحابه قال رجل منهم: إن صدق الزجر فإنه سيقتل منا النصف وينجو الباقون، فقيل له: وكيف ذاك قال: أما ترون الرجل المقبل مصاباً بإحدى عينيه؟ فلما وصل إليهم قال لحجر: إن أمير المؤمنين قد أمرني بقتلك يا رأس الضلال ومعدن الكفر والطغيان والمتولي لأبي تراب، وقتل أصحابك، إلا أن ترجعوا عن كفركم وتلعنوا صاحبكم وتتبرأوا منه، فقال حجر وجماعة ممن كان معه: إن الصبر على حد السيف لأيسر علينا مما دعوتنا إليه، ثم القدوم على الله تعالى وعلى نبيه ﷺ وعلي وصيه أحب إلينا من دخول النار. وأجاب نصف ممن كان معه إلى البراءة من علي ﷺ.(محمد بن عبد المنعم الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، 497).

(2) وفي حديث ابن سيرين قال: لما قدم زياد الكوفة لم يكن له هم إلا حجراً، وأصحابه، فتكلم يوماً زياد وهو على المنبر فقال: إن من حق أمير المؤمنين، إن من حق أمير المؤمنين؛ مراراً. فقال: كذبت ليس كذلك، فسكت زياد ونظر إليه، ثم عاد في كلامه فقال: إن من حق أمير المؤمنين، إن من حق أمير المؤمنين. مراراً. قال حجر: كذبت ليس كذلك، فسكت زياد ونظر إليه، ثم عاد في كلامه فقال: إن من حق أمير المؤمنين، إن من حق أمير المؤمنين. مراراً. نحواً من كلامه. فأخذ حجر كفاً من حصى فحصبه وقال: كذبت، عليك لعنة الله. قال: فانحدر زياد من المنبر فصلى، ثم دخل الدار، وانصرف حجر فبعث إليه زياد الخيل والرجال، أجب، قال حجر: إني والله ما أنا

حجر وكثير، فأدخلهما، وفض كتابهما، وقرأه على أهل الشام: «بسم الله الرحمن الرحيم. لعبد الله معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين، من زياد بن أبي سفيان. أما بعد، فإن الله قد أحسن عند أمير المؤمنين البلاء فأداله من عدوه، وكفاه مؤونة من بغى عليه، إن طواغيت الترابية السابة [في الطبري، السبئية] رأسهم حجر بن عدي، خلعوا أمير المؤمنين، وفارقوا جماعة المسلمين، ونصبوا لنا حرباً فأطفأها الله عليهم، وأمكننا منهم، وقد دعوت خيار أهل المصر وأشرافهم وذوي النهى والدين، فشهدوا عليهم بما رأوا وعلموا، وقد بعثت إلى أمير المؤمنين، وكتبت شهادة صلحاء أهل المصر وخيارهم في أسفل كتابي هذا». فلما قرأ الكتاب قال: ما ترون في هؤلاء؟ فقال يزيد بن أسد البجلي: أرى أن تفرقهم في قرى الشام، فتكفيكهم طواغيتها[1]. ودفع وائل كتاب شريح [بن هانئ] إليه، فقرأه وهو: «بسم الله الرحمن الرحيم.لعبد الله معاوية أمير المؤمنين، من شريح بن هانىء.

بالذي يخاف، ولا آتيه أخاف على نفسي. قال ابن سيرين:.. فأبى زياد أن تقلع عنه الخيل والرجال، حتى اصطلحا أن يقيده بسلسلة، ويرسله في ثلاثين من أصحابه إلى معاوية؛ فلما خرج أتبعه زياد برداً بالكتب بالركض إلى معاوية، إن كان لك في سلطانك حاجة أو في الكوفة حاجة فاكفني حجراً، وجعل يرفع الكتب إلى معاوية حتى ألهفه عليه، فقدم فدخل عليه فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين. فقال: وأمير المؤمنين أنا! قال: نعم ثلاثاً. فأمر بحجر وبخمسة عشر رجلاً من أصحابه قد كتب زياد فيهم وسماهم، وأخرج حجراً وأصحابه الخمسة عشر، وأمر بضرب أعناقهم. (ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 830).

(1) لما انتهى الواصلون من قبل زياد بن أبيه بحجر بن عدي وأصحابه إلى مرج عذراء توجه الواصلون بكتب زياد إلى معاوية، فإذا فيها ما يقتضي توريطهم والشهادة عليهم بمخالفة الطاعة، فتردد فيهممعاوية وشاور فيهم، فكتب إليه زياد: أما بعد فقد عجبت من اشتباه الأمر عليك فيهم فإن كانت لك حاجة بهذا المصر فلا تردنّ حجراً وأصحابه إليّ، فخلى معاوية منهم ستة وقتل ثمانية منهم حجر بن عدي (محمد بن عبد المنعم الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، 585).

أما بعد؛ فقد بلغني أن زياداً[1]

---

(1) ويقال: إن زياد دعا إلى الشهادة من أمسك عن الشهادة أو غاب فكتب زياد بشهادتهم، وكتب زياد شهادة شريح بن الحارث الكندي القاضي وهو غائب، فلما بلغه ذلك كتب إلى معاوية: اني نبئت أن زياداً كتب أليك كتاباً في منزله ستره عن العامة أكد فيه شهادات قوم على حجر أخي كندة وسماني فيهم، ألا وإن شهادتي على حجر أنه رجل مسلم عفيف يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويصوم شهر رمضان ويديم الحج والعمرة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، حرام الدم والمال، وإن له لغناءً في الإسلام، وقد رفعتها إليك فتقلد معها ما أنت مختار لنفسك، والسلام. فقال معاوية حين قرا كتاب شريح: أما هذا فقد أخرج نفسه من الشهادة. وكان فيمن شهد على حجر شداد بن المنذر أخو حضين بن المنذر لأبيه، وكانت أمه نبطية من بارق، وهو موضع بطريق الكوفة، واسمها بزعة وكانت تصغر فيقال بزيعة، ولم يكن ينسب إلا إليها، فلما مر اسمه بزياد فرأى: وشهد شداد بن بزيعة قال: أما لهذا أب ينسب إليه؟ فقالوا: هذا أخو حضين بن المنذر الرقاشي فقال: اطرحوا اسمه، فقال شداد: ويلي على ابن الزانية وهل يعرف إلا بسمية الزانية. وحمل زياد حجراً وأصحابه إلى معاوية في السلاسل على جمال اكتراها لهم صعابا، ووجه معهم شبث بن ربعي الرياحي، ووائل بن حجر الحضرمي، ومصقلة بن هبيرة الشيباني ويقال ابنه وذلك أثبت وكثير بن شهاب الحارثي، وكتب إليه: قد بعثت إليك بحجر ووجوه أصحابه؛ فلما نفذوا قال عبيد الله بن الحر الجعفي: ألا أجد خمسين فارساً ألا عشرين ألا خمسة نفر يتبعوني فأتخلصهم؟! فلم يجبه أحد، ومضى بهم إلى الشام، فلم يدخلوا على معاوية، وأمر أن يحبسوا على معاوية، وأمر أن يحبسوا في مرج عذراء، فحبسوا هناك. وكتب معاوية إلى زياد: إني متوقف في أمرهم. وتوقف معاوية في أمرهم، فمرةً يرى قتلهم ومرة يرى الصفح عنهم، فكتب إليه زياد: قد عجبت من اشتباه الأمر عليك في حجر وأصحابه، وقد حضرت أمرهم وشهد خيار أهل المصر بما شهدوا به عليهم، فإن كانت لك في المصر حاجة فلا تردن حجراً وأصحابه. فلما قرأ معاوية الكتاب في جواب ما كتب به إلى زياد قال: ما ترون يا أهل الشام؟ فقال عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان الثقفي، وهو ابن أم الحكم أخت معاوية: جذادها جذادها، فقال معاوية: لا يغني أمراً، وقال يزيد بن أسد البجلي: أرى أن تفرقهم في قرى الشام فيكفيكهم طواعينها، وقال له سعيد بن العاص: فرقهم في قبائلهم بالشام يكفل كل قوم صاحبهم، ولعل طواعين الشام تكفيك أمرهم. فكلم معاوية في وقاء بن سمي وعاصم بن عوف، وكتب فيهما جرير بن عبد الله البجلي، فشفعه معاوية ووهبهما له، وكلمه أبو الأعور السلمي في عتبة بن الأخنس فوهبه له،

كتب إليك بشهادتي على حجر[1]، وإن شهادتي على حجر أنه ممن يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، حرام المال والدم، فإن شئت فاقتله، وإن شئت فدعه». فقرأ كتابه على وائل، وقال: ما أرى هذا إلا قد أخرج نفسه من شهادتكم. فحبس القوم بعد هذا، وكتب

وكلمه حمزة بن مالك الهمداني في سعيد بن نمران فوهبه له، وكلمه حبيب بن مسلمة الفهري في ابن حوية فخلى سبيله، وكلم في الأرقم فخلى سبيله، وكلمه مالك بن هبيرة السكوني في حجر فلم يجبه، وقال: هذا رأس القوم، وهو أنغل المصر وأفسده، ولئن وهبته لك اليوم لتحتاجن أن تقاتله غداً، فقال: والله ما أنصفتني، قاتلت معك ابن عمك حتى ظفرت، ثم سألتك ابن عمي فسطرت علي من القول ما لا أنتفع به، ثم انصرف فجلس في بيته. وبعث معاوية إلى من بقي منهم بأكفان وحنوط مع رجل من أهل الشام ليرعبهم بذلك، وأمره أن يدعوهم إلى البراءة من علي وإظهار لعنه، ويعد من فعل ذلك أن يتركه، فإن لم يفعل قتل، فإن دماءهم حلال لشهادة أهل مصرهم عليهم، فقالوا: اللهم فإنا لا نفعل ذلك، ثم أمر بقبورهم فحفرت وأدنيت أكفانهم، فقاموا الليل يصلون، فلما أصبحوا عرض عليهم مثل الذي عرض فأبوه، وبعث إليهم معاوية هدبة الأعور بن فياض القضاعي والحصين بن عبد الله الكلابي وأبا شريف الفزاري ليقتلوهم، فلما رأوهم يصلون قالوا: ما أحسن صلاتكم!! فما تقولون في أمير المؤمنين عثمان؟ قالوا: جار في الحكم وعمل بغير الحق وخالف صاحبيه، فقالوا: أمير المؤمنين أعلم بكم، وما كان الله ليظلمكم ولا يدعكم، وقال الهيثم بن عدي: هو ابن أبي شريف. وقالوا: لما رأى حجر الأكفان قال: تكفوننا كأنا مسلمون، وتقتلوننا كأنا كافرون. (البلاذري، أنساب الأشراف، 667).

(1) وذكر أن خبيباً أول من سن الركعتين عند القتل. قوله: هذا يدل على أنهما سنة جارية، وكذلك فعلهما حجر بن عدي بن الأدبر حين قتله معاوية رحمة الله وذلك أن زياداً كتب من البصرة إلى معاوية يذكر أن حجراً وأصحابه، قد خرجوا على السلطان، وشقوا عصا المسلمين، ووجه مع الكتاب بك فيه شهادة سبعين رجلاً فيهم الحسن بن أبي الحسن البصري وابن سيرين والربيع بن زياد وجماعة من علية التابعين ذكرهم الطبري يشهدون بما قال زياد من خروج حجر بن عدي عليه، وكان حجر شديد الإنكار للظلم، غليظاً على الأمراء، وأنكر على زياد أموراً من الظلم فخرج عليه، ولم يكن قصده الخروج على معاوية، فلما حمل حجر إلى معاوية في خمسة من أصحابه (السهيلي، الروض الأنف، 321).

إلى زياد: «فهمت ما اقتصصت من أمر حجر وأصحابه والشهادة عليهم، فأحياناً أرى أن أقتلهم أفضل، وأحياناً أرى أن العفو أفضل من قتلهم». فكتب زياد إليه مع يزيد بن حجية التيمي: «قد عجبت لاشتباه الأمر عليك فيهم مع شهادة أهل مصرهم عليهم، وهم أعلم بهم؛ فإن كانت لك حاجة في هذا المصر فلا تردن حجراً وأصحابه إليه. فمر يزيد بحجر وأصحابه فأخبرهم بما كتب به زياد، فقال له حجر: أبلغ أمير المؤمنين أنا على بيعته لا نقيلها ولا نستقيلها، وإنما شهد علينا الأعداء والأظناء؛ فقدم يزيد بن حجية على معاوية بالكتاب، وأخبره بقول حجر. فقال معاوية: زياد أصدق عندنا من حجر. وكتب جرير بن عبد الله في أمر الرجلين اللذين من بجيلة، فوهبهما له وليزيد بن أسد، وطلب وائل بن حجر في الأرقم الكندي، فتركه، وطلب أبو الأعور في عتبة بن الأخنس فوهبه له، وطلب حمزة من مالك الهمداني في سعيد بن نمران فوهبه له، وطلب حبيب بن مسلمة في عبد الله بن جؤية التميمي فخلى سبيله. ثمانية. فقال لهم رسول معاوية: إنا قد أمرنا أن نعرض عليكم البراءة من علي واللعن له، فإن فعلتم هذا تركناكم، وإن أبيتم قتلناكم، وأمير المؤمنين يزعم أن دماءكم قد حلت بشهادة أهل مصركم عليكم، غير أنه قد عفا عن ذلك فابرءوا من هذا الرجل يخل سبيلكم. قالوا: لسنا فاعلين؛ فأمر بقيودهم فحلت، وأتي بأكفانهم فقاموا الليل كله يصلون. فلما أصبحوا قال أصحاب معاوية: يا هؤلاء، قد رأيناكم البارحة أطلتم الصلاة، وأحسنتم الدعاء، فأخبرونا ما قولكم في عثمان، قالوا: هو أول من جار في الحكم، وعمل بغير الحق. فقالوا: أمير المؤمنين كان أعرف بكم. ثم قاموا إليهم وقالوا: تبرءون من هذا الرجل؟ قالوا: بل نتولاه. فأخذ كل رجل منهم رجلاً يقتله، فوقع

قبيصة في يدي أبي صريف البدري، فقال له قبيصة: إن الشر بين قومي وقومك أمين، أي آمن فليقتلني غيرك، فقال: برتك رحم. فأخذ الحضرمي فقتله. وقتل القضاعي صاحبه، ثم قال لهم حجر: دعوني أصلي ركعتين، فإني والله ما توضأت قط إلا صليت، فقالوا له: صل، فصلى ثم انصرف، فقال: والله ما صليت صلاة قط أقصر منها، ولولا أن يروا أن ما بي جزع[1] من الموت لأحببت أن أستكثر منها، ثم قال: اللهم إنا نستعديك على أمتنا، فإن أهل الكوفة قد شهدوا علينا، وإن أهل الشام يقتلوننا، أما والله لئن قتلتمونا فإني أول فارس من المسلمين سلك في واديها، وأول رجل من المسلمين نبحته كلابها، فمشى إليه هدبة بن الفياض الأعور بالسيف، فأرعدت خصائله، فقال: كلا، زعمت أنك لا تجزع من الموت، فإنا ندعك، فابرأ من صاحبك. فقال: ما لي لا أجزع، وأنا أرى قبراً محفوراً، وكفناً منشوراً، وسيفاً مشهوراً، وإني والله إن جزعت لا أقول ما يسخط الرب، فقتله. وأقبلوا يقتلونهم واحداً واحداً حتى قتلوا ستة نفر، فقال عبد الرحمن بن حسان وكريم بن عفيف: ابعثوا بنا إلى أمير المؤمنين، فنحن نقول في هذا الرجل مثل مقالته. فبعثوا إلى معاوية فأخبروه، فبعث: ائتوني بهما. فالتفتا إلى حجر، فقال له العنزي: لا تبعد يا حجر، ولا يبعد مثواك؛

(1) ولما أمر معاوية بقتل حجر بن عديّ الكنديّ في ثلاثة عشر رجلاً معه قال حجر: دعوني أصلّي ركعتين. فتوضأ وأحسن الوضوء، ثم صلى وطوّل فقيل: أجزعت؟ فقال: ما توضأت قطّ إلا صليت، ولا صليت قط صلاة أخفّ منهم. وإن أجزع فقد رأيت سيفاً مشهوراً وكفناً منشوراً وقبراً محفوراً. فقيل له: مدّ عنقك. فقال: إن ذلك لدمٌ ما كنت لأعين عليه. فقدّم فضربت عنقه. وكان معاوية بعث رجلاً يقال له هدبة لقتلهم، وكان أعور، فنظر إليه رجل من خثعم فقال: إن صدقت الطيرة قتل نصفنا. فلما قتل سبعة بعث معاوية رسولاً آخر بعافيتهم فلم يقتل الباقون. (ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، 63).

فنعم أخو الإسلام كنت، وقال الخثعمي نحو ذلك. ثم مضى بهما، فالتفت العنزي، فقال متمثلاً:

كفى بشفاة القبر بـعـداً لهالك   وبالموت قطاعاً لحبل القرائن

فلما دخل عليه الخثعمي قال له: الله الله يا معاوية! إنك منقول من هذه الدار الزائلة إلى الدار الآخرة الدائمة، ومسؤول عما أردت بقتلنا، وفيما سفكت دماءنا. فقال: ما تقول في علي؟ قال: أقول فيه قولك، أتبرأ من دين علي الذي كان يدين الله به! وقام شمر بن عبد الله الخثعمي فاستوهبه، فقال: هو لك، غير أني حابسه شهراً، فحبسه، ثم أطلقه على ألا يدخل الكوفة ما دام له سلطان. فنزل الموصل، فكان ينتظر موت معاوية ليعود إلى الكوفة، فمات قبل معاوية بشهر. وأقبل على عبد الرحمن بن حسان، فقال له: يا أخا ربيعة، ما تقول في علي؟ قال: أشهد أنه من الذاكرين الله كثيراً والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، والعافين عن الناس. قال: فما تقول في عثمان؟ قال: هو أول من فتح أبواب الظلم، وأرتج أبواب الحق. قال: قتلت نفسك. قال: بل إياك قتلت، لا ربيعة بالوادي؛ يعني أنه ليس ثم أحد من قومه فيتكلم فيه. فبعث به معاوية إلى زياد، وكتب إليه: إن هذا شر من بعثت به، فعاقبه بالعقوبة التي هو أهلها واقتله شر قتلة. فلما قدم به على زياد بعث به إلى قس الناطف، فدفنه حياً.

قال أبو مخنف، عن رجاله: فكان من قتل منهم سبعة[1] نفر: حجر بن

(1) فقتلوه وقتلوا ستة معه وهم: شريك بن شداد، وصيفي بن فضيل، وقبيصة بن حنيفة، ومحرز بن شهاب، وكرام بن حبان ودفنوهم وصلوا عليهم بعبد الرحمن بن حسان العنزي وجيء بكريم بن الخثعمي إلى معاوية فطلب منه البراءة من علي فسكت، واستوهبه سمرة بن عبد الله الخثعمي من معاوية فوهبه له، على أن لا يدخل

عدي[1]، وشريك بن شداد الحضرمي[2]، وصيفي بن فسيل الشيباني[3]، وقبيصة بن ضبيعة العبسي[4]، ومحرز بن شهاب المنقري[5]، وكدام بن حيان العنزي وعاصم بن عوف البجلي، وورقاء بن سمي البجلي، وأرقم بن عبد الله الكندي، وعتبة بن الأخنس السعدي من هوازن، وسعيد بن نمران الهمذاني.[6]

قال: ولما بلغ الحسن البصري قتل حجر وأصحابه قال: أصلوا عليهم

الكوفة، فنزل إلى الموصل. ثم سأل عبد الرحمن بن حسان عن علي فأثنى خيراً. ثم عن عثمان فقال: أول من فتح باب الظلم، وأغلق باب الحق. فرده إلى زياد ليقتله شر قتلة فدفنه حياً وهو سابع القوم.(ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 757).

(1) وفي سنة ثلاث وخمسين قَتَل معاوية حُجْرَ بن عدي الكِنْدِيَّ، وهو أولى من قتل صبراً في الإسلام: حملة زياد من الكوفة ومعه تسعة نَفَر من أصحَابه من أهل الكوفة وأربعة من غَيرها (المسعودي، مروج الذهب، 348). راجَع: ابن عبد ربّه، العقد الفريد، 804.

(2) شَريك بن شَدَّاد (00ـ 51 هـ 00ـ 671 م) شريك بن شداد الحضرمي: شجاع من الرؤساء. كان من اصحاب علي، ثم سكن الكوفة. وعمل للثورة على معاوية، متفقا مع حجر بن عدي، فقبض عليه زياد، ووجهه الى الشام، فقتله معاوية بمرج عذراء. (الزركلي، الأعلام، 409).

(3) صَيْفي بن فسيل (00ـ 51 هـ 00ـ 671 م) صيفي بن فسيل الشيباني: احد الشجعان المذكورين، من اصحاب على بن ابي طالب. كان يقيم في الكوفة واشترك في اثارة الناس على بني امية، فقتله معاوية صبراً بالشام مع عدي بن حجر (المرجع السابق، 433).

(4) قَبيصَة بن ضبيعة العبسي: شجاع مقدم من اصحاب علي بن ابي طالب كانت اقامته بالكوفة وحرض الناس على مناواة بني امية بعد مقتل علي فقتله معاوية مع حجر بن عدي بالشام (المرجع السابق، 786).

(5) محرز بن شهاب السعدي التميمي: من مقدمي أصحاب علي. كان موصوفاً بالشجاعة وجودة الرأي. قتله معاوية بعد أن قبض عليه زياد بن أبيه في الكوفة مع حجر بن عدي (المرجع السابق، 839).

(6) الأصبهاني، المرجع السابق.

وكفنوهم ودفنوهم واستقبلوا بهم القبلة؟ قالوا: نعم. قال: حجوهم ورب الكعبة!».[1]

«وبعث معاوية إلى مالك بن هبيرة[2] لما غضب بسبب حجر مائة ألف درهم، فرضي. قال أبو مخنف: فحدثني ابن أبي زائدة، عن أبي إسحاق، قال: أدركت الناس يقولون: أول ذلك دخل الكوفة قتل حجر، ودعوة زياد، وقتل الحسين. قال: وجعل معاوية يقول عند موته: أي يوم لي من ابن الأدبر طويل!. قال أبو مخنف: وحدثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق من بني عامر بن لؤي أن عائشة[3] بعثت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام إلى معاوية في حجر وأصحابه، فقدم عليه وقد قتلهم، فقال له: أين غاب عنك حلم أبي سفيان؟ فقال: حين غاب عني مثلك من حلماء قومي، وحملني ابن سمية فاحتملت.[4] قال: وكانت عائشة ﵂ تقول: لولا أنا لم نغير شيئاً قط إلا آلت بنا الأمور إلى أشد مما كنا فيه لغيرنا قتل

(1) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 2415.

(2) وقام مالك بن هبيرة السكوني، فقال: دع لي ابن عمي حجراً، فقال: «هو رأس القوم، وأخاف إن خليت سبيله أن يفسد علي مصره، فأحتاج أن أشخصك إليه بالعراق! «فقال: «والله ما أنصفتني يا معاوية! قاتلت معك ابن عمك يوم صفين حتى ظفرت وعلا كعبك، ولم تخف الدوائر، ثم سألتك ابن عمي فمنعتني إياه «. ثم انصرف فجلس في بيته. (النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 2415).

(3) قال: ولما بلغ خبر حجر عائشة ﵂، أرسلت عبد الرحمن ابن الحارث إلى معاوية فيه وفي أصحابه، فقدم عليه وقد قتلهم، فقال له عبد الرحمن: أين غاب عنك حلم أبي سفيان؟ قال: «حين غاب عني مثلك من حلماء قومي، وحملني ابن سمية فاحتملت! «. وقالت عائشة: «لولا إنا لم نغير شيئاً إلا صارت بنا الأمور إلى ما هو أشد منه لغيرنا قتل حجر! أما والله إن كان ما علمت لمسلماً حجاجاً معتمراً!». (النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 2415). راجع أيضاً: (ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 830).

(4) راجع: ابن سعد، طبقات، 1159.

حجر، أما والله إن كان لمسلماً ما علمته حاجاً معتمراً.»[1]

«قال أبو الأسود: دخل معاوية على عائشة فقالت: ما حملك على قتل أهل عذراء، حجر وأصحابه؟ فقال: يا أم المؤمنين، إني رأيت قتلهم صلاحاً للأمة، وأن بقاءهم فساد للأمة. فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: سيقتل بعذراء ناس يغضب الله لهم وأهل السماء. وعن علي بن أبي طالب قال: يا أهل الكوفة، سيقتل منكم سبعة نفر خياركم، مثلهم كمثل أصحاب الأخدود، منهم حجر بن الأدبر وأصحابه. قتلهم معاوية بالعذراء من دمشق كلهم من أهل الكوفة. وروي أن الحسن بن علي أتاه ناس من أهل الكوفة من السبعة، فشكوا إليه ما صنع زياد بحجر وأصحابه، وجعلوا يبكون عنده، وقالوا: نسأل الله أن يجعل قتله بأيدينا. فقال: مه، إن في القتل كفارات، ولكن نسأل الله أن يميته على فراشه. قال مروان بن الحكم: دخلت مع معاوية على أم المؤمنين عائشة فقالت: يا معاوية: قالت حجراً وأصحابه، وفعلت الذي فعلت، أما خشيت أن أخبأ لك رجلاً فيقتلك! فقال: لا، إني في بيت أمان، سمعت رسول الله ﷺ يقول: الإيمان قيد الفتك. لا يفتك مؤمن يا أم المؤمنين، كيف أنا فيما سوى ذلك من حاجاتك وأمرك؟ قالت: صالح. قال: فدعيني وحجراً حتى نلتقي عند ربنا عزّ وجلّ. قال سفيان الثوري: قال معاوية: ما قتلت أحداً إلا وأنا اعلم فيم قتلته، وما أردت به، إلا حجر بن عدي، فإني لا أعرف فيم قتلته. وكان قتل حجر بن عدي سنة إحدى وخمسين، وقيل: قتل سنة ثلاث وخمسين، وفيها مات زياد بن أبي سفيان. قال أبو بكر بن عياش: دخل عبد الله بن يزيد بن أسد على معاوية وهو في مرضه الذي مات فيه، فرأى منه جزعاً فقال: ما يجزعك يا أمير المؤمنين إن مت؟ قال: الجنة. وإن عشت، فقد علم الله حاجة الناس إليك. قال: رحم الله أباك إن كان لناصحاً،

(1) الأصبهاني، المرجع السابق.

نهاني عن قتل ابن الأدبر يعني حجراً، ثم عاده عبد الله بن يزيد فعاد معاوية مثل ذلك القول».[1]

«ولما قتل حجر بن عدي وأصحابه استفظع أهل الكوفة ذلك استفظاعاً شديداً، وكان حجر من عظماء أصحاب علي، وقد كان علي أراد أن يوليه رياسة كندة ويعزل الأشعث بن قيس، وكلاهما من ولد الحارث بن عمرو آكل المرار، فأبى حجر بن عدي أن يتولى الأمر والأشعث حي. فخرج نفر من أشراف أهل الكوفة إلى الحسين بن علي، فأخبروه الخبر، فاسترجع وشق عليه، فأقام أولئك النفر يختلفون إلى الحسين بن علي، وعلى المدينة يومئذ مروان بن الحكم، فترقى الخبر إليه، فكتب إلى معاوية يعلمه أن رجالاً من أهل العراق قدموا على الحسين بن علي ﷺما، وهم مقيمون عنده يختلفون إليه، فاكتب إلي بالذي ترى. فكتب إليه معاوية: لا تعرض للحسين في شيء، فقد بايعنا، وليس بناقض بيعتنا ولا مخفر ذمتنا. وكتب إلى الحسين: أما بعد، فقد انتهت إلي أمور عنك لست بها حرياً، لأن من أعطى صفقة يمينه جدير بالوفاء؛ فاعلم رحمك الله أني متى أنكرك تستنكرني، ومتى تكدني أكدك، فلا يستفزنك السفهاء الذين يحبون الفتنة والسلام».[2]

«قام مالك بن هبيرة، فسأله [معاوية] في حجر فلم يشفعه؛ فغضب وجلس في بيته[3]. وبعث معاوية هدبة بن فياض القضاعي والحصين بن

---

(1) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 851.

(2) (أبو حذيفة الدينوري، الأخبار الطوال، 88).

(3) وأما مالك بن هبيرة السكوني حين لم يشفعه معاوية في حجر، فإنه جمع قومه وسار بهم إلى عذراء ليخلص حجراً وأصحابه، فلقيه قتلتهم، فلما رأوه علموا أنه جاء

عبد الله الكلابي، وآخر معهما يقال له أبو صريف [في الطبري، شريف] البدري، فأتوهم عند المساء، فقال الخثعمي حين رأى الأعور: يقتل نصفنا وينجو نصفنا[1]. فقال سعيد بن نمران: اللهم اجعلني ممن ينجو، وأنت

ليخلص حجراً، فقال لهم: ما وراءكم؟ قالوا: قد تاب القوم وجئنا لنخبر أمير المؤمنين. فسكت وسار إلى عذراء فلقيه بعض من جاء منها فأخبره بقتل القوم، فأرسل الخيل في قتلهم فلم يدركوهم، ودخلوا على معاوية فأخبروه، فقال لهم: إنما هي حرارة يجدها في نفسه، فكأنها قد طفئت. وعاد مالك إلى بيته ولم يأت معاوية، فلما كان الليل أرسل إليه معاوية مائة ألف درهم، وقال: «ما منعني أن أشفعك إلا خوف أن تعيدوا لنا حرباً، فيكون ذلك من البلاء على المسلمين ما هو أعظم من قتل حجر». فأخذها وطابت نفسه. (النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 2415)؛ أنظر أيضاً: وأما مالك بن هبيرة السكوني فلما لم يشفعه معاوية في حجر، جمع قومه وسار ليخلصه وأصحابه، فلقي القتلة وسألهم، فقالوا: مات القوم. وسار إلى عدي فتيقن قتلهم فأرسل في أثر القتلة فلم يدركوهم، وأخبروا معاوية فقال: تلك حرارة يجدها في نفسه وكأني بها قد طفئت. ثم أرسل إليه بمائة ألف وقال: خفت أن يعيد القوم حرباً فيكون على المسلمين أعظم من قتل حجر فطابت نفسه.(ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 757).

(1) ولما صار إلى مرج عفراء على اثني عشر ميلاً من دمشق تقدَّم البريد بأخبارهم إلى معاوية، فبعث برجل أعْوَر، فلما أشرف على حُجْر وأصحابه قال رجل منهم: إن صدق الزَّجْر فإنه سيقتل منَّا النصف وينجو الباقون، فقيل له: وكيف ذلك. قال: أما ترون الرجل المقبل مُصَاباً بإحدى عينيه، فلما وصل إليهم قال لحجر: إن أمير المؤمنين قد أمرني بقتلك يا رأس الضلال ومعدن الكفر والطغيان والمتولي لأبي تراب وقتل أصحابك، إلا أن ترجعوا عن كفركم، وتلعنوا صاحبكم وتتبرؤوا منه، فقال حُجْر وجماعة ممن كان معه: إن الصبر على حد السيف لأيْسَرُ علينا مما تَدْعُونَا إليه، ثم القدوم على الله وعلى نبيه وعلى وصيه أَحَبُّ إلينا من دخول النار، وأجاب نصف من كان معه إلى البراءة من علي، فلما قُدِّمَ حجر ليُقْتل قال: دعوني أصلي ركعتين، فجعل يطول في صلاته، فقيل له: أجَزَعاً مِن الموت؟ فقال: لا، ولكني ما تطهرت للصلاة قط إلا صليت، وما صليت قط أخَفَّ من هذه، وكيف لا أجزع، وإني لأرى قبراً محفوراً، وسيفاً مشهوراً وكَفَناً منشوراً، ثم تقدم فنحر، وألحق به من وافقه على قوله من أصحابه، وقيل: إن قتلهم كان في سنة خمسين. (المسعودي، مروج الذهب،

عني راض. فقال عبد الرحمن بن حسان العنزي: اللهم اجعلني ممن يكرم بهوانهم وأنت عني راض، فطالما عرضت نفسي للقتل، فأبى الله إلا ما أراد. فجاء رسول معاوية إليهم فإنه لمعهم إذ جاء رسول بتخلية ستة منهم وبقي ثمانية[1]. فقال لهم رسول معاوية: إنا قد أمرنا أن نعرض عليكم

---

349)؛ أنظر: خليفة بن خياط، تاريخ خليفة 50.

(1) كان هدبة أعور فلما رآه كريم بن عفيف الخثعمي قال: يقتل نصفكم وينجو نصفكم، فقال ابن نمران: اللهم اجعلني ممن ينجو وأنت عني راضي، وقال عبد الرحمن بن حيان العنزي: اللهم اجعلني ممن يكرم بهوانهم وأنت عنيّ راض، فعزلوا الثمانية، وعرضوا على الباقين البراءة من علي رضي الله تعالى عنه، فقال كريم بن عفيف وعبد الرحمن بن حيان: انطلقوا بنا إلى معاوية فنحن نقول بقوله، فعزلوهما وأبي الآخرون. قالوا: وأخذ كل رجلاً فقتله، وسألهم حجر أن يصلي ركعتين فأذنوا له في ذلك، فصلى وقصر ثم قال: والله ما صليت قط أقصر منها لأني خفت أن تظنوا بي اني أطلت صلاتي جزعاً من القتل، فقتله الأعور بن فياض بالسيف، ويقال: ذبحه ذبحا، وجيء بكريم بن عفيف الخثعمي وعبد الرحمن بن حيان إلى معاوية، فأما الخثعمي فقال له: ما تقول في علي؟ قال: مثل مقالتك أنا أبرأ من دين علي الذي يدين به فحبسه شهراً ليستبرئ أمره، فكلمه فيه شمر بن عبد الله الخثعمي فخلى سبيله على أن لا يدخل الكوفة، فاتى الموصل فأقام بها ومات قبل معاوية بشهر، وأما ابن حيان فقال له: ما تقول في علي، قال: كان من الذاكرين كثيراً والآمرين بالحق سرا وجهرا، فلا تسألني عن هذا فهو خير لك، فبعث به إلى زياد وكتب إليه أن اقتله شر قتلة، فبعث إلى قس الناطف فدفن حياً. وقال الهيثم بن عدي: حمل هدبة بن فياض الأعور على حجر بالسيف فاتقاه، فقال: ألم تزعم انك لا تجزع من الموت؟ فقال: وما يمنعني وأنا أرى سيفاً مشهوراً وكفناً منشوراً وقبراً محفوراً، ولا أدري على ما أقدم؛ فقتلوا وكفنوا ودفنوا. وقال الهيثم: قال عوانة: قال حجر: الله بيننا وبين أمتنا، اما أهل العراق فشهدوا علينا، وأما أهل الشام فقتلونا، والله لقد فتحت هذا الموضع وإني لأرجو أن أكون شهيداً فيه؛ وهو كان فتح مرج عذراء. قال: ولما صلى ركعتين فقصرهما فقال: والله لئن كانت صلاتي فيما مضى لم تنفعني ما هاتان الركعتان بنافعتي. وقال المدائني: اخذ زياد بعد مضي حجر رجلين: عتبة بن الأخنس من بني سعد بن بكر، وسعيد بن نمران الهمذاني، فبعث بهما مع يزيد بن حجية التيمي وعامر بن الأسود العجلي. حدثني عبد الله بن صالح العجلي عن ابن عوانة عن أبيه قال: دعا معاوية

البراءة من علي واللعن له، فإن فعلتم هذا تركناكم، وإن أبيتم قتلناكم، وأمير المؤمنين يزعم أن دماءكم قد حلت بشهادة أهل مصركم عليكم، غير أنه قد عفا عن ذلك فابرءوا من هذا الرجل يخل سبيلكم. قالوا: لسنا فاعلين؛ فأمر بقيودهم فحلت، وأتي بأكفانهم فقاموا الليل كله يصلون. فلما أصبحوا قال أصحاب معاوية: يا هؤلاء، قد رأيناكم البارحة أطلتم الصلاة، وأحسنتم الدعاء، فأخبرونا ما قولكم في عثمان، قالوا: هو أول من جار في الحكم، وعمل بغير الحق. فقالوا: أمير المؤمنين كان أعرف بكم. ثم قاموا إليهم وقالوا: تبرءون من هذا الرجل؟ قالوا: بل نتولاه. فأخذ كل رجل منهم رجلاً يقتله، فوقع قبيصة في يدي أبي صريف البدري، فقال

عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث الزهري فقال: اذهب فاقتل حجراً وأصحابه، فقال: أما وجدت رجلاً أجهل بالله واعمى عن أمره مني؟! فدعا هدبه بن الفياض الأعور فاعطاه سيفاً، وسرح معه عدة، وأمره أن يعرضهم على البراءة من علي، فإن فعلوا وإلا قتلهم، وبعث معه بأكفان وأمر أن يقبروا، فعرض عليهم ما أمر به معاوية، فلم يجيبوا، فقتلوا وذبح حجر ذبحاً، وبلغ ذلك أمه فشهقت وماتت....عن غياث بن إبراهيم قال: بعث معاوية ابن خريم المري جد أبي الهيذام ليقتلهم، فلما صار إليهم قال: ما أنتم؟ قالوا: مسلمون، فقال: على معاوية لعنة الله يأمرني بقتل المسلمين!! ثم انصرف، ثم بعث عبد الله بن يزيد أبا خالد بن عبد الله فقتلهم، وذلك غير ثبت. حدثني روح بن عبد المؤمن عن سعيد بن عامر عن هشام بن حسان عن ابن سيرين قال: لما أتي معاوية بحجر قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله، قال: أو أمير المؤمنين أنا؟! اضربا عنقه، قال: دعوني أصل فصلى ركعتين خفيفتين ثم قال: لولا أن يظنوا أن الذي بي غيره، يعني من خوف الموت، لأطلتها، فلعمري لئن كانت صلاتي لا تنفعني فيما مضى لا تنفعني الآن، ثم قال لأهله: لا تطلقوا عني حديداً، ولا تغسلوا عني دماً، فإني لاق معاوية عن اعلى الجادة، فكان ابن سيرين إذا سئل عن غسل الشهيد حدث بهذا الحديث. والمجتمع عليه انه لم يدخل على معاوية. وقال الهيثم بن عدي: كان الذي كفن حجراً وأصحابة هدبة من بني سلامان إخوة عذرة. (البلاذري، أنساب الأشراف، 668).

له قبيصة: إن الشر بين قومي وقومك أمين، أي آمن فليقتلني غيرك، فقال: برتك رحم. فأخذ الحضرمي فقتله. وقتل القضاعي صاحبه، ثم قال لهم حجر:[1] دعوني أصلي ركعتين، فإني والله ما توضأت قط إلا صليت،

(1) وقال هشام بن عمار سمعت مشايخنا يتحدثون أنه قيل لحجر بن الأدبر: مد عنقك، قال: إنه لدم ما كنت لأعين عليه، فأقيم وضربت عنقه، رحمه الله تعالى. حدثني عمر بن شبة عن سعيد بن عامر عن هشام بن حسان عن ابن سيرين قال: لما أتي معاوية بحجر قال: السلام عليك أمير المؤمنين ورحمة الله، قال: وأنا عندك أمير المؤمنين؟! اضربا عنقه. قالوا: وجمع مالك بن هبيرة جموعاً وغضب لقتل حجر، وأنه لم يجب إلى إطلاقه، فبعث إليه معاوية بمائة ألف وداراه حتى رضي... عن شر حبيل بن مسلم قال: لما أتي معاوية بحجر بن عدي وأصحابه حبسهم بمرج عذراء، فأوصى حجر فقال: ادفنوني وما أصاب الأرض من دمي، ولا تطلقوا حديدي، فأني سألقى معاوية غداً؛ إني والله ما قتلت أحداً، ولا أحدثت حدثاً، ولا آويت محدثاً. حدثنا عمرو الناقد حدثنا إسماعيل بن إبراهيم يعني ابن علية عن ابن عون عن نافع قال: لما بلغ ابن عمر قتل حجر بن عدي وهو محتب حل حبوته وقام وقد غلبه النحيب. قالوا: فكان من قتل بعذراء: حجر بن عدي، شريك بن شداد الحضرمي ثم التبعي، صيفي بن فشيل الشيباني، قبيصة بن ضبيعة بن حرملة العبسي، محرز بن شهاب المنقري، كدام بن حيان العنزي من بني هميم وكان بعضهم يقول العصري من عبد القيس عبد الرحمن بن حيان دفن حياً بالكوفة. وكان من نجا منهم: كريم بن عفيف الخثعمي، عبد الله بن حوية السعدي، عاصم بن عوف البجلي، وقاء بن سمي البجلي، الأرقم بن عبد الله الكندي، عتبة بن الأخنس من بني سعد بن بكر، سعيد بن نمران الهمداني، وصلي على حجر ومن قتل معه ودفنوا، يرحمهم الله. وقد قيل: أن ربعي بن حراش كان ممن حمل مع حجر، فكلم فيه يزيد بن الحر العبسي، فخلى سبيله. وحدثني أبو مسعود الكوفي عن عوانة قال: مشى هدبة بن فياض إلى حجر بالسيف فأرعد فقال: كلا، زعمت أنك لا تجزع من الموت، قال: وإن جزعت فإني لا أقول ما يسخط الرب، فقتله وجر بقيده.... عباس بن هشام عن أبيه قال: كان حجر فتح حين غزا المسلمون الشام مرج عذراء، فلما أرادوا قتله وهو بها قال: لئن قتلت بها إني لأول من نبحته كلابها، ومشى في أكنافها، وكبرا في واديها. حدثني العمري عن الهيثم عن أبي جناب قال: لم يبعث معاوية إلى حجر وأصحابه بأكفان، ولكن عشائرهم جاؤوا بأكفان فكفنوهم فيها ودفنوهم. وحدثني أبو فراس الشامي عن هشام بن الكلبي عن أبيه

أن مسروقاً قال: قالت عائشة حين قتل حجر: لو علم معاوية أن عند أهل الكوفة منعة وغيراً ما اجترأ على قتل حجر وأصحابه، ولكن ابن آكلة الأكباد علم أن الناس قد ذهبوا... قالوا: وبعث معاوية رجلاً وقال له: امض حتى تجلس إلى الحسين وتنعي حجراً، وانظر ما يقول، فقال له الرجل: إن معاوية قتل حجراً وأصحابه قال: ثم صنع ماذا؟ قال: كفنهم ودفنهم، فقال: خصموه ورب الكعبة، ثم ترحم على حجر. قالوا: وبعثت عائشة عبد الرحمن بن الحارث بن هشام إلى معاوية ليسأله الصفح عن حجر وأصحابه، فوجده قد قتلهم، فقال له: أقتلت حجراً! فقال: إنه خلع يداً من الطاعة وفارق الجماعة وفعل وفعل، فقال له: واين كان حلمك وأحلام بني حرب عنك؟ قال: غابت عني حين غاب عني مثلك من حلماء قومي. حدثنا أبو عبد الرحمن الجعفي مشكدانة عن عبد الله بن المبارك عن عبيد الله بن أبي يزيد عن ابن أبي مليكة أن معاوية لما حج أتى باب عائشة رحمها الله يستأذن فلم تأذن له، فلم يزل بها ذكوان غلامها حتى أذنت له، فذكرت أمر حجر فقال: خشيت فتنةً فكان قتله حياً من حرب تهراق فيها الدماء وتستحل المحارم، فدعيني يفعل الله بي ما يشاء، فقالت: ندعك والله، ندعك والله. (البلاذري، أنساب الأشراف، 669). راجع أيضاً، السابق، 670؛ الذي يضيف: «لما قتل حجر بن الأدبر وأصحابه، ومعاوية بن حديج بإفريقية، بلغه قتله فقام في أصحابه فقال: يا اشقائي في الرحم، وأصحابي في السفر، وجيرتي في الحضر، نقاتل لقريش في الملك حتى إذا استقام لهم قتلونا»؛ وأخذ زياد حجر بن عدي الكندي وثلاثة عشر رجلاً من أصحابه فأشخصهم إلى معاوية، فكتب فيهم انهم خالفوا الجماعة في لعن أبي تراب، وزرروا على الولاة، فخرجوا بذلك من الطاعة، وأنفذ شهادات قوم أولهم بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، فلما صاروا بمرج عذراء من دمشق على أميال، أمر معاوية بإيقافهم هناك، ثم وجه إليهم من يضرب أعناقهم، فكلمه قوم في ستة منهم، فوقف عنهم، فقتل سبعة: حجر بن عدي الكندي وشريك بن شداد الحضرمي، وصيفي بن فسيل الشيباني، وقبيصة ابن ضبيعة العبسي، ومحرز بن شهاب التميمي، وكدام بن حيان العنزي، ولما أراد قتلهم قال حجر بن عدي: دعوني حتى أصلي، فصلى ركعتين خفيفتين ثم أقبل عليهم فقال: لو لا أن تظنوا بي خلاف ما بي لأحببت أن تكونا أطول مما هما، وإني لأول من رمي بسهم في هذا الموضع، وأول من هلك فيه. فقيل له: أجزعت؟ فقال: ولم لا أجزع، وأنا أرى سيفاً مشهوراً، وكفناً منشوراً، وقبراً محفوراً؟ ثم ضربت عنقه وأعناق القوم، وكفنوا ودفنوا، وكان ذلك في سنة اثنان وخمسين. وقال معاوية للحسين بن علي: يا أبا عبد الله! علمت أنا قتلنا شيعة أبيك، فحنطناهم، وكفناهم، وصلينا عليهم، ودفناهم؟

فقالوا له: صل، فصلى ثم انصرف، فقال: والله ما صليت صلاة قط أقصر منها، ولولا أن يروا أن ما بي جزع من الموت لأحببت أن أستكثر منها، ثم قال: اللهم إنا نستعديك على أمتنا، فإن أهل الكوفة قد شهدوا علينا، وإن أهل الشام يقتلوننا، أما والله لئن قتلتمونا فإني أول فارس من المسلمين سلك في واديها، وأول رجل من المسلمين نبحته كلابها، فمشى إليه هدبة بن الفياض[1] الأعور بالسيف، فأرعدت خصائله، فقال: كلا، زعمت

فقال الحسين: حجرك، ورب الكعبة، لكنا والله إن قتلنا شيعتك ما كفناهم، ولا حنظناهم، ولا صلينا عليهم ولا دفناهم. وقالت عائشة لمعاوية حين حج، ودخل إليها: يا معاوية! أقتلت حجرا وأصحابه، فأين عزب حلمك عنهم؟ أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: يقتل بمرج عذراء نفر يغضب لهم أهل السموات. قال: لم يحضرني رجل رشيد، يا أم المؤمنين. وروي أن معاوية كان يقول: ما أعد نفسي حليما بعد قتلي حجرا وأصحاب حجر .(اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 201)؛ لما قتل معاوية حجر بن عدي وأصحابه، لقي في ذلك العام الحسين عليه السلام فقال: أبا عبد الله هل بلغك ما صنعت بحجر وأصحابه من شيعة أبيك؟ فقال: لا. قال: إنا قتلناهم وكفناهم وصلينا عليهم، فضحك الحسين عليه السلام، ثم قال: خصمك القوم يوم القيامة يا معاوية. أما والله لو ولينا مثلها من شيعتك ما كفناهم ولا صلينا عليهم. وقد بلغني وقوعك بأبي حسن، وقيامك واعتراضك بني هاشم بالعيوب، وايم الله لقد أوترت غير قوسك، ورميت غير غرضك، وتناولتها بالعداوة م مكان قريب، ولقد أطعت امرءا ما قدم إيمانه، ولا حدث نفاقه، وما نظر لك، فانظر لنفسك أوّدع. يريد: عمرو بن العاس. (الآبي، نثر الدر، 68).

(1) وبعث معاوية هدبة بن فياض القضاعي، والحصين بن عبد الله الكلابي، وأبا شريف البدي إلى حجروأصحابه، ليقتلوا منهم من أمر بقتله، فأتوهم وعرضوا عليهم البراءة من عَلي، فأبوا وصَلوا عامة ليلتهم، ثم قدموا من الغد للقتل، فتوضأ حُجر وصلى وقال: والله لولا أن يظنوا بي الجزع من الموت، لاستكثرت منها، اللهم إنا نستعديك على أمتنا، أهل الكوفة يشهدون علينا، وأهل الشام يقتلوننا، ثم مَشَى إليه هدبة بن فياض بالسيف فارتعد، فقالوا له: كيف وأنت تزعم أنك لا تجزع من الموت، فابرأ من صاحبك ونحن ندعك! فقال: وما لي لا أجزع، وأنا بين القبر والكفن والسيف، وإن جزعت من القتل، لا أقول ما يسخط الرب فقتلوه، وقتلوا خمسة معه: شريك بن

أنك لا تجزع من الموت، فإنا ندعك، فابرأ من صاحبك. فقال: ما لي لا أجزع، وأنا أرى قبراً محفوراً، وكفناً منشوراً، وسيفاً مشهوراً، وإني والله إن جزعت لا أقول ما يسخط الرب، فقتله. وأقبلوا يقتلونهم واحداً واحداً حتى قتلوا ستة نفر، فقال عبد الرحمن بن حسان وكريم بن عفيف: ابعثوا بنا إلى أمير المؤمنين، فنحن نقول في هذا الرجل مثل مقالته. فبعثوا إلى معاوية فأخبروه، فبعث: ائتوني بهما. فالتفتا إلى حجر، فقال له العنزي: لا تبعد يا حجر، ولا يبعد مثواك؛ فنعم أخو الإسلام كنت، وقال الخثعمي نحو ذلك. ثم مضى بهما، فالتفت العنزي، فقال متمثلاً:

كفى بشفاة القبر بعداً لهالك   وبالموت قطاعاً لحبل القرائن

فلما دخل عليه الخثعمي قال له: الله الله يا معاوية! إنك منقول من هذه

شهاد، وصيفي بن فضيل، وقبيصة بن ضبيعة، ومحرز ابن شهاب، وكرام بن حيان، وصلفوا عليهم ودفنوهم. وجيء بعبد الرحمن بن حيان العنزي، وكريم الخثعمي إلى معاوية، فوعظه الخثعمي، وطلبه معاوية البراءة من علي، فسكت واستوهبه سمرة بن عبد الله الخثعمي، فوهبه له عَلَى ألا يدخلِ الكوفة، فنزل الموصل، ثم سأل معاوية عبد الرحمن بن حسان عن علي، فأثنى خيراً، ثم عن عثمان، فقال: أول من فتح باب الظلم، وأغلق باب الحق، فرده إلى زياد ليقتله شر قتلة، فدفنه زياد حياً، فهو سابع القوم. وأما مالك بن هبيرة السكوني، فلما لم يشفعه معاوية في حُجر، جمع قومه وسار ليخلصه وأصحابه، فلقي القتلة وسألهم، فقالوا: تاب القوم، وسار إلى عذراء فتيقن قتلهم، فأرسل في أثر القتلة، فلم يدركوهم، وأخبر معاوية بما فعل مالك، فقال: تلك حرارة يجدها في نفسه، وكأني بها قد طفئت، ثم بعث إليه بمائة ألف، وقال: خفت أن يعيد القوم حرباً؛ فتكون على المسلمين أعظم من قتل حجر، فطابتْ نفس مالك. ولما بلغ عائشة خبر حجر وأصحابه، أرسلت عبد الرحمن بن الحارث إلى معاوية تشفع، فجاء وقد قتلوا، فقال لمعاوية: أين غاب عنك حلم أبي سفيان. قال: حين غاب عني مثلك من حلماء قومي، وحملني ابن سمية فاحتملت. وأسفت عائشة على قتل حُجر وكانت تُثني عليه. (العصامي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، 552).

الدار الزائلة إلى الدار الآخرة الدائمة، ومسؤول عما أردت بقتلنا، وفيما سفكت دماءنا. فقال: ما تقول في علي؟ قال: أقول فيه قولك، أتبرأ من دين علي الذي كان يدين الله به! وقام شمر بن عبد الله الخثعمي فاستوهبه، فقال: هو لك، غير أني حابسه شهراً، فحبسه، ثم أطلقه على ألا يدخل الكوفة ما دام له سلطان. فنزل الموصل، فكان ينتظر موت معاوية ليعود إلى الكوفة، فمات قبل معاوية بشهر. وأقبل على عبد الرحمن بن حسان، فقال له: يا أخا ربيعة، ما تقول في علي؟ قال: أشهد أنه من الذاكرين الله كثيراً والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، والعافين عن الناس. قال: فما تقول في عثمان؟ قال: هو أول من فتح أبواب الظلم، وأرتج أبواب الحق. قال: قتلت نفسك. قال: بل إياك قتلت، لا ربيعة بالوادي؛ يعني أنه ليس ثم أحد من قومه فيتكلم فيه. فبعث به معاوية إلى زياد، وكتب إليه: إن هذا شر من بعثت به، فعاقبه بالعقوبة التي هو أهلها واقتله شر قتلة. فلما قدم به على زياد بعث به إلى قس الناطف، فدفنه حياً»[1].

راجع أيضاً: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 294؛ المتقي الهندي، كنز العمال، 1635؛ الزركلي، الأعلام، 247؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 2936؛ البخاري، التاريخ الكبير، 196؛ ابن حجر العقلاني، الإصابة في معرفة الصحابة، ص ص 214، 688.

(1) الأصبهاني، السابق.

الفصل الخامس:

محمد بن أبي بكر الصديّق

«محَّمد بن أَبي بَكْر (10 ـ 38هـ 632 ـ 658 م) محمد بن عبد الله ـ أبي بكر ـ بن عثمان بن عامر التيمي القرشي: أمير مصر، وابن الخليفة الأول أبي بكر الصدّيق. كان يدعى عابد قريش؛ ولد بين المدينة ومكة، في حجة الوداع. ونشأ بالمدينة، في حجر علي[1] ابن أبي طالب، وكان قد تزوج أمه أسماء بنت عميس بعد وفاة أبيه؛ وشهد مع علي وقعتي الجمل وصفين.

(1) وتزوج علي بأمه أسماء بنت عميس، بعد وفاة أبي بكر، وكان أبو بكر تزوجها بعد قتل جعفر بن أبي طالب، وكان ربيبه في حجره، وشهد مع علي الجمل، وكان على الرجالة، وشهد معه صفين، ثم ولاه مصر فقتل بها، وكان ممن حصر عثمان بن عفان ودخل عليه ليقتله، فقال له عثمان: لو رآك أبوك لساءه فعلك! فتركه وخرج، ولما ولي مصر، سار إليه عمرو بن العاص فاقتتلوا، فانهزم محمد ودخل خربة، فأخرج منها وقتل، وأحرق في جوف حمار ميت، قيل: قتله معاوية بن حديج السكوني، وقيل: قتله عمرو بن العاص صبراً، ولما بلغ عائشة قتله اشتد عليها، وقالت: كنت أعده ولداً وأخا، ومذ أحرق لم تأكل عائشة لحماً مشوياً، وكان له فضل وعبادة، وكان علي يثني عليه، وهو أخو عبد الله بن جعفر لأمه، وأخو يحيى بن علي لأمه. (الهيثمي، مجمع الزوائد، 9:97).

وولّاه على إمارة مصر[1]، بعد موت الأشتر[2]، فدخلها سنة 37هـ ولما اتفق عليّ ومعاوية على تحكيم الحكمين، فات علياً أن يشترط على معاوية أن لا يقاتل أهل مصر. وانصرف علي يريد العراق،فبعث معاوية عمرو بن العاص بجيش من أهل الشام إلى مصر، فدخلها حرباً، بعد معارك شديدة، واختفى ابن أبي بكر، فعرف معاوية بن حديج مكانه، فقبض عليه وقتله وأحرقه، لمشاركته في مقتل عثمان بن عفان، وقيل: لم يحرق[3]. ودفنت جثته مع رأسه في مسجد يعرف بمسجد زمام خارج

(1) وقال الواقدي: ولم يزل عبد الله بن سعد والياً [على مصر] حتى غلب محمد بن أبي حذيفة على مصر، وهو كان أنغلها على عثمان، ثم إن علياً ﷺ ولى قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري مصر، ثم عزله واستعمل عليها محمد بن أبي بكر الصديق، ثم عزله وولى مالكاً الأشتر، فاعتل بالقلزم. ثم ولى محمد بن أبي بكر ثانية ورده عليها. فقتله معاوية بن حديج وأحرقه في جوف حمار. وكان الوالي عمرو بن العاص من قبل معاوية بن أبي سفيان. البلاذري، فتوح البلدان، 92؛ راجع: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 182:2؛ راجع: خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، 44.

(2) عن عمرو بن دينار: إن عمراً قتل محمد بن أبي بكر. وفيها مات الأشتر النخعي. واسمه مالك بن الحارث. بعثه علي على مصر. فهلك في الطريق فيقال إنه سم، وإن عبداً لعثمان لقيه فسقاه عسلاً مسموماً. وكان الأشتر من الأبطال الكبار. وكان سيد قومه وخطيبهم وفارسهم. (الذهبي، العبر في خبر من غبر، 8).

(3) واختلفوا في قتله، فقيل: قتله معاوية بن حديج صبراً، وذلك في سنة ثمان وثلاثين؛ وقيل: إنه لما ولاه على مصر سار إليه عمرو بن العاص من قبل معاوية فاقتتلوا، فانهزم أصحاب محمد وفر هو، دخل خربة فيها حمار ميت، فدخل في جوفه، فأحرق في جوف الحمار؛ وقيل ك بل قتله معاوية بن حديج في المعركة، ثم أحرق في جوف الحمار بعد ذلك، وقيل: إنه أتى عمرو بن العاص فقتله صبراً بعد إلى قال له: هل معك عهد؟ هل معك عقد من أحد؟ فقال: لا، فأمر فقتل. وكان علي يثني على محمد خيراً، ويفضله؛ لأنه كانت له عبادة واجتهاد؛ وكان ممن دخل على عثمان حين أرادوا قتله، فقال له عثمان: لو رآك أبوك لم يرض بهذا المقام منك! فخرج عنه وتركه. روى محمد بن طلحة، عن كنانة مولى صفية بنت حيي ـ وكان شهد يوم الدار ـ أنه لم ينل محمد بن أبي بكر دم عثمان بشيء. قال: محمد بن طلحة فقلت: لكنانة: فلم قيلك إنه قتله؟ قال:

مدينة الفسطاط. قال ابن سعيد: وقد زرت قبره في الفسطاط... [ويقال إنه] أقبل عمرو بن العاص بنحو محمد بن أبي بكر، وقد تفرق عنه أصحابه[1] لما بلغهم قتل كنانة، حتى بقي وما معه أحد من أصحابه، فلما رأى ذلك محمد خرج يمشي في الطريق حتى انتهى إلى خربة في ناحية الطريق، فأوى إليها، وجاء عمرو بن العاص حتى دخل الفسطاط، وخرج معاوية بن حديج في طلب محمد حتى انتهى إلى علوج في قارع الطريق، فسألهم: هل مر بكم أحد تنكرونه؟ فقال أحدهم: لا والله، إلا أني دخلت تلك الخربة، فإذا أنا برجل فيها جالس، فقال ابن حديج: هو هو ورب الكعبة؛ فانطلقوا يركضون حتى دخلوا عليه، فاستخرجوه وقد كاد يموت عطشاً؛ فأقبلوا به نحو فسطاط مصر. قال: ووثب أخوه عبد الرحمن بن

معاذ الله أن يكون قتله! إنما دخل عليه، فقال له عثمان: يا بن أخي، لست بصاحبي، وكلمه عثمان بكلام فخرج ولم ينل دمه بشيء. فقلت لكنانة: فمن قتله؟ قال: رجل من أهل مصر يقال له: جبلة بن الأيهم..(النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 2216). واختلفوا في صفة قتل محمد هذا، قيل في المعركة وقيل بل قتل أسيراً بعدها وقيل وجد بعدها في خربة في جوف حمار ميت فأحرقوه. (ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 86:6؛ راجع: تاريخ ابن خلدون، 744).

(1) ووجه معاوية بن أبي سفيان عمرو بن العاص على مصر على شرط له، فقدمها سنة ثمان وثلاثون، ومعه جيش عظيم من أهل الشام، فكان على دمشق يزيد بن أسد البجلي، وعلى أهل فلسطين شمير الخثعمي، وعلى أهل الأردن أبو الأعور السلمي، ومعاوية بن حديج الكندي على الخارجة، فلقيهم محمد بن أبي بكر بموضع يقال له المسناة، فحاربهم محاربة شديدة، وكان عمرو يقول: ما رأيت مثل يوم المسناة، وقد كان محمد استذم إلى اليمانية، فمايل عمرو بن العاص اليمانية، فخلفوا محمد بن أبي بكر وحده، فجالد ساعة، ثم مضى فدخل منزل قوم خرابة، واتبعه ابن حديج الكندي، فأخذه وقتله، وأدخله جيفة حمار، وحرقه بالنار في زقاق يعرف بزقاق الحوف. وبلغ علياً ضعف محمد بن أبي بكر وممالاة اليمانية معاوية وعمرو بن العاص. (اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 184).

أبي بكر إلى عمرو بن العاص ـ وكان في جنده؛ فقال: أتقتل أخي صبراً! ابعث إلى معاوية بن حديج فانهه، فبعث إليه عمرو بن العاص يأمره أن يأتيه بمحمد بن أبي بكر، فقال معاوية: أكذاك! قتلتم كنانة بن بشر وأخلي أنا عن محمد بن أبي بكر! هيهات، «أكفاركم خيرٌ من أولئكم أم لكم براءةٌ في الزبر»[فقال معاوية: أكذاك قتلتم كنانة بن بشر وأخلى أنا عن محمد بن أبى بكر؟ هيهات! أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر؟[1]]. فقال لهم محمد: اسقوني من الماء! قال له معاوية بن حديج: لا سقاه الله إن سقاكَ قطرةً أبداً! إنكم منعتم عثمان أن يشرب الماء حتى قتلتموه صائماً محرماً، فتلقاه الله بالرحيق المختوم، والله لأقتلنك بابن أبي بكر فيسقيك الله الحميم والغساق! قال له محمد: يا ابن اليهودية النساجة، ليس ذلك إليك وإلى من ذكرت، إنما ذلك إلى الله عز وجل يسقي أولياءه، ويظمىء أعداءه؛ أنت وضرباؤك ومن تولاه، أما والله لو كان سيفي في يدي ما بلغتم مني هذا؛ قال له معاوية: أتدري ما أصنع بك؟ أدخلك في جوف حمار، ثم أحرقه عليك بالنار؛ فقال له محمد: إن فعلتم بي ذلك، فطالما فعل ذلك بأولياء الله! وإني لأرجو هذه النار التي تحرقني بها ان يجعلها الله علي برداً وسلاماً كما جعلها على خليله إبراهيم، وأن يجعلها عليك وعلى أوليائك كما جعلها على نمروذ وأوليائه، إن الله يحرقك ومن ذكرته قبل وإمامك ـ يعني معاوية، وهذا ـ وأشار إلى عمرو بن العاص ـ بنار تلظى عليكم؛ كلما خبت زادها الله سعيراً. قال له معاوية: إني إنما أقتلك بعثمان[2]؛ قال

---

(1) ابن حبان، الثقات، 297:2.

(2) حول مقتل عثمان يمكن أن نقرأ: وجاء محمد بن أبي بكر، وسبه الحسن حتى جثم على ركبتي عثمان، ثم أخذ بلحيته، وكان طويل اللحية حسن اللمة، فهزها حتى سمعت صوت أضراسه، وقال: ما أغنى عنك معاوية؟ وما أغنى عنك ابن أبي سرح؟ وما

له محمد: وما أنت وعثمان! إن عثمان عمل بالجور، ونبذ حكم القرآن، وقد قال الله تعالى: «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون»، فنقمنا ذلك عليه فقتلناه، وحسنت أنت له ذلك ونظراؤك، فقد برأنا الله إن شاء الله من ذنبه، وأنت شريكه في إثمه وعظم ذنبه، وجاعلك على مثاله. قال: فغضب معاوية فقدمه فقتله، ثم ألقاه في جيفة حمار، ثم أحرقه بالنار[1]؛ فلما بلغ ذلك عائشة جزعت عليه جزعاً شديداً، وقنتت عليه في دبر الصلاة تدعو على معاوية وعمرو، ثم قبضت عيال محمد إليها. فكان القاسم بن محمد بن أبي بكر في عيالها. وأما الواقدي فإنه ذكر... أن عمرو بن العاص خرج في أربعة آلاف، فيهم معاوية بن حديج، وأبو الأعور السلمي، فالتقوا بالمسناة، فاقتتلوا قتالاً شديداً، حتى قتل كنانة بن بشر بن عتاب التجيبي، ولم يجد محمد بن أبي بكر مقاتلاً، فانهزم، فاختبأ عند جبلة بن مسروق، فدل عليه معاوية بن حديج، فأحاط به. فخرج محمد فقاتل حتى قتل. قال الواقدي: وكانت المسناة في صفر سنة ثمان

أغني عنك ابن عامر؟ قال: يا ابن أخي مهلاً والله لو كان أبوك ما جلس هذا المجلس مني، قال: فغمز بعضهم فأشعروه بسهم وتعاوروا عليه فقتلوه؛ قال: فما أفلت منهم مجتز فأتى مصر فأخذ عامل مصر فقدمه ليقتله، فقالوا: ابن أبي بكر وأخو عائشة، فقال: والله لا أناظر فيه أحدا بعد قتل عثمان فقتله، قال الحسن أو قتادة أو كلاهما فأدخلوه في جوف حمار فأحرقوه.(النووي، شرح مسلم، 12:212).

(1) وعن الحسن قال: أخذ الفاسق محمد بن أبي بكر في شعب من شعاب مصر، فأدخل في جوف حمار فاحرق، رواه الطبراني ورجاله ثقات.(راجع: الطبراني ـ المعجم الكبير ـ سن عثمان ووفاته؛ أبو نعيم الإصبهاني ـ معرفة الصحابة ـ معرفة سنه وولايته.؛ عند ابن سعد ـ الطبقات الكبرى ـ طبقات البدريين من المهاجرين: يقال: «الحسن قال: لما أدركوا بالعقوبة، يعني قتلة عثمان بن عفان، قال: أخذ الفاسق ابن أبي بكر، قال أبو الأشهب: وكان الحسن لا يسميه باسمه إنما كان يسميه الفاسق، قال: فأخذ فجعل في جوف حمار ثم أحرق عليه.» (ابن شبة النميري، تاريخ المدينة، ما روي عن علي ﵇)

وثلاثين، وأذرح في شعبان منها في عام واحد... وكتب عمرو بن العاص إلى معاوية عند قتله محمد بن أبي بكر وكنانة بن بشر: أما بعد، فإنا لقينا محمد بن أبي بكر وكنانة بن بشر في جموع جمة من أهل مصر، فدعوناهم إلى الهدى والسنة وحكم الكتاب، فرفضوا الحق، وتوركوا في الضلال، فجاهدناهم، واستنصرنا الله عليهم، فضرب الله وجوههم وأدبارهم، ومنحونا أكتافهم، فقتل الله محمد بن أبي بكر وكنانة بن بشر وأماثل القوم، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليك»[1].

وذكر ابن خلكان وغيره أن «علي بن أبي طالب ﷺ ولّى محمد بن أبي بكر الصديق مصر، فدخلها سنة سبع وثلاثين وقام بها إلى أن بعث معاوية بن أبي سفيان عمرو بن العاص في جيوش أهل الشام، ومعهم معاوية بن حديج... ووقع في كثير من نسخ تاريخ ابن خلكان معاوية بن خديج... وأصحابه أي أصحاب معاوية بن خديج، فاقتتلوا، فانهزم محمد بن أبي بكر واختبأ في بيت مجنونة[2]؛ فمر أصحاب معاوية بن خديج بالمجنونة[3]

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1128؛ راجع: البلاذري، فتوح البلدان 1:269؛ ابن الأثير، أسد الغابة، 988.

(2) قيل إنه اختفى في بيت امرأة من غافق آواه فيه أخوها وكان الذي يطلبه معاوية بن حديج فلقيتهم أخت الرجل الذي كان آواه في بيتها وكانت ناقصة العقل فظنت أنهم يطلبون أخاها؛ فقالت: أي شيء تلتمسون ابن أبي بكر أدلكم عليه على أن لا تقتلوا أخي قالوا: نعم فدلتهم عليه فقال: احفظوني لأبي بكر فقال له معاوية بن حديج قتلت ثمانين رجلاً من قومي في دم عثمان وأتركك وأنت صاحبه فقتله ثم جعله في جيفة حمار ميت وأحرقه بالنار. (المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، 2846).

(3) لما انهزم المصريون فقيل: إنه اختفى في بيت امرأة من غافق آواه فيه أخوها وكان الذي يطلبه معاوية بن حديج فلقيتهم أخت الرجل الذي كان آواه في بيتها وكانت ناقصة العقل فظنت أنهم يطلبون أخاها فقالت: أي شيء تلتمسون ابن أبي بكر أدلكم عليه على أن لا تقتلوا أخي؟ قالوا: نعم فدلتهم عليه فقال: احفظوني لأبي بكر! فقال له

وهي قاعدة على الطريق، وكان لها أخ في الحبس فقالت: أتريد قتل أخي؟ قال: لا ما أقتله. قالت: فهذا محمد بن أبي بكر داخل بيتي، فأمر معاوية أصحابه فدخلوا إليه وربطوه بالحبال وجروه على الأرض وأتوا به معاوية، فقال له محمد: احفظني لأبي بكر! فقال له: قتلت من قومي في قضية عثمان ثمانين رجلاً، وأتركك وأنت صاحبه لا والله. فقتله في صفر سنة ثمان وثلاثين. وأمره معاوية أن يجر في الطريق ويمر به على دار عمرو بن العاص لما يعلم من كراهته لقتله، وأمر به أن يحرق بالنار في جيفة حمار. وقال غيره: بل وضعه حياً في جيفة حمار وأحرقه بالنار، وكان سبب ذلك دعوة أخته عائشة عليه لما أدخل يده في هودجها يوم وقعة الجمل، وهي لا تعرفه فظنته أجنبياً فقالت: من هذا الذي يتعرض لحرم رسول الله ﷺ أحرقه الله بالنار؟ فقال: يا أختاه قولي بنار الدنيا! فقالت: بنار الدنيا... ودفن في الموضع الذي قتل فيه. فلما كان بعد سنة من دفنه، أتى غلامه وحفر قبره فلم يجد فيه سوى الرأس فأخرجه ودفنه في المسجد تحت المنارة. ويقال إن الرأس في القبلة. قال: وكانت عائشة ﵂ قد أنفذت أخاها عبد الرحمن إلى عمرو بن العاص في شأن محمد فاعتذر بأن الأمر لمعاوية بن خديج. ولما قتل ووصل خبره إلى المدينة مع مولاه مسالم، ومعه قميصه، ودخل به داره اجتمع رجال ونساء فأمرت أم حبيبة بنت

معاوية بن حديج: قتلت ثمانين رجلاً من قومي في دم عثمان وأتركك وأنت صاحبه فقتله ثم جعله في جيفة حمار ميت وأحرقه بالنار. (المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، 2846). فوجدت أخت الرجل الغافقي الذي كان أواه كانت ضعيفة العقل فقالت:أي شيء تلتمسون ابن أبي بكر أدلكم عليه ولا تقتلون أخي. فدلتهم عليه... ثم أمر به بجاد التجيبي فأحرقه في جيفة حمار. (أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي، الولاة والقضاة، 7).

أبي سفيان زوج النبي ﷺ بكبش فشوي وبعثت به إلى عائشة، وقالت: هكذا قد شوي أخوك! فلم تأكل عائشة بعد ذلك شواء حتى ماتت. وقالت هند بنت شمر الحضرمية: رأيت نائلة امرأة عثمان بن عفان تقبل رجل معاوية بن خديج وتقول: بك أدركت ثأري! ولما سمعت أمه أسماء بنت عميس بقتله كظمت الغيظ حتى شخبت ثدياها دماً. ووجد عليه علي بن أبي طالب ﷺ، وجداً عظيماً وقال: كان لي ربيباً وكنت أعده ولداً ولبني أخاً. وذلك لأن علياً كان قد تزوج أمه أسماء بنت عميس بعد وفاة الصديق ورباه كما تقدم»[1].

في نص ابن أبي الحديد توجد بعض الإضافات: «فأمر [معاوية] عمرو بن العاصى أن يتجهز إلى مصر في ستة الآف رجل ووصاه بالتؤدة وترك العجلة فنزل أدنى أرض مصر وإجتمعت إليه العثمانية، وبعث كتابه وكتاب معاوية إلى محمد بن أبى بكر بالتهديد، وأن الناس اجتمعوا عليك وهم مسلموك فاخرج؛ فبعث بالكتابين إلى علي فوعده بإنفاذ الجيوش وأمره بقتال العدو والصبر، فقدّم محمد بن أبى بكر كنانة بن بشر في ألفين، فبعث معاوية عمرو بن حديج وسرحه في أهل الشام، فأحاطوا بكنانة فترجل عن فرسه وقاتل حتى استشهد؛ وجاء الخبر إلى محمد بن أبى بكر فافترق عنه أصحابه وآوى في مفره إلى خربة واستتر في تلك الخربة، فقبض عليه فأخذه ابن حديج وجاء به إلى الفسطاط؛ وطلب أخوه عبد الرحمن من عمرو أن يبعث إلى ابن حديج في البقاء عليه، فأبوا طلب محمد الماء فمنعه ابن حديج جزاء بما فعل بعثمان؛ ثم أحرقه في جوف حمار بعد أن لعنه ودعا عليه وعلى معاوية وعمرو؛

(1) الدميري، حياة الحيوان الكبرى، 246؛ راجع: أبو عمر الكندي، ولاة مصر، 8.

وكانت عائشة تقنت في الصلاة بالدعاء على قتلته، ويقال: إنه لما انهزم اختفى عند جبلة بن مسروق حتى أحاط به معاوية بن حديج وأصحابه، فخرج إليهم فقاتل حتى قتل؛ ولما بلغ الخبر علياً خطب الناس وندبهم إلى أعدائهم، وقال: أخرجوا بنا إلى الجرعة بين الحيرة والكوفة وخرج من الغد إلى منتصف النهار يمشي إليها حتى نزلها فلم يلحق به أحد فرجع من العشي وجمع أشراف الناس. ويقال: ووثب أخوه عبد الرحمن بن أبي بكر إلى عمرو بن العاص، وكان في جنده، فقال: لا والله لا تقتل أخي صبراً، ابعث إلى معاوية بن حديج فانهه، فأرسل عمرو بن العاص: أن ائتني بمحمد، فقال معاوية: أقتلتم كنانة بن بشر، ابن عمي، وأخلي عن محمد؛ هيهات! «أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر». فقال محمد: اسقوني قطرة من الماء، فقال له معاوية بن حديج: لا سقاني الله إن سقيتك قطرة أبداً؛ إنكم منعتم عثمان أن يشرب الماء حتى قتلتموه صائماً محرماً، فسقاه الله من الرحيق المختوم؛ والله لأقتلنك يا ابن أبي بكر وأنت ظمآن، ويسقيك الله من الحميم والغسلين، فقال له محمد: يا ابن اليهودية النساجة؛ ليس ذلك اليوم إليك ولا إلى عثمان، إنما ذلك إلى الله يسقي أولياءه ويظمئ أعداءه؛ وهم أنت وقرناؤك ومن تولاك وتوليته، والله لو كان سيفي في يدي ما بلغتم مني ما بلغتم. فقال له معاوية بن حديج: أتدري ما أصنع بك؛ أدخلك جوف هذا الحمار الميت ثم أحرقه عليك بالنار. قال: إن فعلتم ذلك بي فطالما فعلتم ذاك بأولياء الله، وأيم الله إني لأرجو أن يجعل الله هذه النار التي تخوفني بها برداً وسلاماً، كما جعلها الله على إبراهيم خليله، وأن يجعلها عليك وعلى أوليائك، كما جعلها على نمرود وأوليائه، وإني لأرجو أن يحرقك الله وإمامك معاوية، وهذا

ـ وأشار إلى عمرو بن العاص ـ بنار تلظى، كلما خبت زادها الله عليكم سعيراً. فقال له معاوية بن حديج: إني لا أقتلك ظلماً، إنما أقتلك بعثمان بن عفان، قال محمد: وما أنت وعثمان! رجل عمل بالجور، وبدل حكم الله والقرآن، وقد قال الله عز وجل: «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون»، «فأولئك هم الظالمون»، «فأولئك هم الفاسقون»؛ فنقمنا عليه أشياء عملها، فأردنا أن يخلع من الخلافة علناً، فلم يفعل، فقتله من قتله من الناس. فغضب معاوية بن حديج، فقدمه فضرب عنقه، ثم ألقاه في جوف حمار وأحرقه بالنار. فلما بلغ ذلك عائشة جزعت عليه جزعاً شديداً، وقنتت في دبر كل صلاة تدعو على معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ومعاوية بن حديج، وقبضت عيال محمد أخيها وولده إليها، فكان القاسم بن محمد من عيالها. قال: وكان ابن حديج ملعوناً خبيثاً يسب علي بن أبي طالب ﷺ. دخل معاوية بن حديج على الحسن بن علي في مسجد المدينة، فقال له الحسن: ويلك يا معاوية! أنت الذي تسب أمير المؤمنين علياً ﷺ أما والله لئن رأيته يوم القيامة ـ وما أظنك تراه ـ لترينه كاشفاً عن ساق، يضرب وجوه أمثالك عن الحوض ضرب غرائب الإبل. [و] حلفت عائشة لا تأكل شواء أبداً بعد قتل محمد، فلم تأكل شواء حتى لحقت بالله، وما عثرت قط إلا قالت: تعس معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص، ومعاوية بن حديج!. [و] أن أسماء بنت عميس، لما جاءها نعي محمد ابنها وما صنع به، قامت إلى مسجدها، وكظمت غيظها حتى تشخبت دماً. قال إبراهيم: وروى ابن عائشة التيمي عن رجالي عن كثير النواء، أن أبا بكر خرج في حياة رسول الله ﷺ في غزاة، فرأت أسماء بنت عميس وهي تحته؛ كأن أبا بكر مخضب بالحناء رأسه ولحيته، وعليه ثياب

بيض، فجاءت إلى عائشة فأخبرتها، فقالت: إن صدقت رؤياك فقد قتل أبو بكر، إن خضابه الدم، وإن ثيابه أكفانه، ثم بكت، فدخل النبي ﷺ وهي كذلك، فقال: ما أبكاها؟ فقالوا: يا رسول الله، ما أبكاها أحد، ولكن أسماء ذكرت رؤيا رأتها لأبي بكر، فاخبر النبي ﷺ، فقال: «ليس كما عبرت عائشة؛ ولكن يرجع أبو بكر صالحاً، فيلقى أسماء، فتحمل منه بغلام، فتسميه محمداً، يجعله الله غيظاً على الكافرين والمنافقين». قال: فكان كما أخبر ﷺ»[1].

يتضمن نص ابن تغري بردي إضافات هامة أيضاً: «فسار عمرو حتى وصل إلى مصر واجتمعت العثمانية إليه، فكتب عمرو إلى محمد بن أبي بكر صاحب مصر: أما بعد، فنح عني بدمك يا ابن أبي بكر فإني لا أحب أن يصيبك مني قلامة ظفر، والناس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك ورفض أمرك، وندموا على اتباعك، فهم مسلموك لوقد التقت حلقتا البطان فاخرج منها إني لك من الناصحين؛ ومعه كتاب معاوية يقول: يا محمد، إن غب البغي والظلم عظيم الوبال، وسفك الدماء الحرام لا يسلم صاحبه من النقمة في الدنيا والآخرة؛ وإنا لا نعلم أحداً كان على عثمان أشد منك، فسعيت عليه مع الساعين وسفكت دمه مع السافكين؛ ثم أنت تظن أني نائم عنك وناس سيئاتك؛ وكلام طويل من هذا النمط حتى قال: ولن يسلمك الله من القصاص أينما كنت والسلام. فطوى محمد الكتابين وبعث بهما إلى علي بن أبي طالب وفي ضمنهما يستنجده ويطلب منه المدد والرجال، فرد عليه الجواب من عند علي بن أبي طالب بالوصية والشدة، ولم يمده بأحد. ثم كتب محمد إلى معاوية وعمرو كتاباً

(1) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 561.

خشن لهما فيه في القول. ثم قام محمد في الناس خطيباً فقال: أما بعد، فإن القوم الذين ينتهكون الحرمة وينعشون الضلالة ويشبون نار الفتنة ويتسلطون بالجبرية قد نصبوا لكم العداوة وساروا إليكم بجيوشهم؛ فمن أراد الجنة والمغفرة فليخرج إليهم فليجاهدهم في الله؛ انتدبوا مع كنانة بن بشر؛ فانتدب مع كنانة نحواً من ألفي رجل، ثم خرج محمد ابن أبي بكر في ألفي رجل؛ واستقبل عمرو بن العاص كنانة وهو على مقدمة محمد، وكنانة يسرح لعمرو الكتائب. فلما رأى عمرو ذلك بعث إلى معاوية بن حديج السكوني. وفي رواية: لما رأى عمرو كنانة سرح إليه الكتائب من أهل الشام كتيبة بعد كتيبة وكنانة يهزمها فاستنجد عمرو بمعاوية بن حديج السكوني فسار في أصحابه وأهل الشام فأحاطوا بكنانة. فلما رأى كنانة ذلك ترجل عن فرسه وترجل أصحابه، وقرأ: وما كان لنفسٍ أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً إلى قوله: وسنجزي الشاكرين، فقاتلَ حتى قتل بعد أن قتل من أهل الشام مقتلة عظيمة؛ فلما رأى أصحاب محمد ذلك تفرقوا عنه فنزل محمد عن فرسه ومشى حتى انتهى إلى خربة فأوى إليها، وجاء عمرو بن العاص ودخل الفسطاط ؛ وخرج معاوية بن حديج في طلب محمد ابن أبي بكر، فسأل قوماً من العلوج وكانوا على الطريق فقال: هل رأيتم رجلاً من صفته كذا وكذا؟ فقال واحد منهم: قد دخل تلك الخربة، فدخلوها فإذا برجل جالس، فقال معاوية بن حديج: هو ورب الكعبة ؛ فدخلوها واستخرجوه وقد كاد يموت عطشاً، فأقبلوا به على الفسطاط؛ ووثب أخوه عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق إلى عمرو بن العاص ـ وكان في جنده، فقال: أيقتل أخي صبراً؟ فأرسل عمرو إلى معاوية بن حديج يأمره أن يأتيه بمحمد بن أبي بكر كرامة لأخيه عبد الرحمن بن أبي بكر،

فقال معاوية: أيقتل كنانة بن بشر وأخلي أنا محمداً! هيهات هيهات! فقال محمد: اسقوني ماء؛ فقال معاوية بن حديج: لا سقاني الله إن سقيتك قطرة ؛ إنكم منعتم عثمان الماء، ثم قتلتموه صائماً فتلقاه الله بالرحيق المختوم؛ والله لأقتلنك يا ابن أبي بكر فليسقك الله من الجحيم ؛ فقال محمد لمعاوية: يا بن اليهودية النساجة، ليس ذلك إليك؛ وأما والله لو كان سيفي بيدي ما بلغتم بي هذا؛ فقال له معاوية: أتدري ما أصنع بك؟ أدخلك في جوف حمار، ثم أحرقه عليك بالنار؛ قال محمد: إن فعلتم ذلك لطالما فعلتموه بأولياء الله تعالى؛ ثم طال الكلام بينهما حتى أخذ معاوية محمداً ثم ألقاه في جيفة حمار ميت ثم حرقه بالنار؛ وقيل: إنه قطع رأسه وأرسله إلى معاوية بن أبي سفيان بدمشق وطيف به، وهو أول رأس طيف به في الإسلام. ولما بلغ عائشة ـ ﵂ ـ قتل أخيها محمد بن أبي بكر هذا وجدت عليه وجداً عظيماً وأخذت أولاده وعياله وتولت تربيتهم. وقال أبو مخنف بإسناده: ولما بلغ علي بن أبي طالب مقتل محمد بن أبي بكر وما كان من الأمر بمصر وتملك عمرو لها واجتماع الناس عليه وعلى معاوية قام في الناس خطيباً فحثهم على الجهاد والصبر والسير إلى أعدائهم من الشاميين والمصريين، وواعدهم الجرعة بين الكوفة والحيرة»[1].

في مرجع ثالث نجد بعض الإضافات: «واستسقي محمد ماء فقال له ابن حديج: منعتم عثمان أن يشرب حتى قتلتموه صائماً فتلقاه الله بالرحيق المختوم، والله لأقتلنك ظمآن حتى يلقاك الله بالحميم والغساق. فقال له: ليس هذا إليك لا أم لك، أما والله لو أن سيفي في يدي ما بلغتم بي هذا ـ وكان ألقى سيفه ليختلط بالناس فلا يعرف ـ فقال معاوية بن حديج: إني

(1) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، 45.

قاتلك بعثمان الخليفة المظلوم، فقال محمد: إن عثمان عمل بالجور، وترك حكم الكتاب فنقمنا ذلك عليه، فقدمه فقتله وجعله في جوف حمار وحرقه بالنار. فلما بلغ ذلك عائشة ﵂ جزعت عليه، وقبضت عياله وولده إليها، ولم تأكل مذ ذاك شواءاً حتى توفيت، ولم تعثر قط إلا قالت: تعس معاوية بن حديج... وبلغ علياً مقتل ابن أبي بكر؛ فخطب الناس فقال: ألا إن محمد ابن أبي بكر رحمه الله قتل، وتغلّب ابن النابغة ـ يعني عمرو بن العاص ـ على مصر، فعند الله نحتسب محمداً، فقد كان ممن ينتظر القضاء ويعمل للجزاء. فتكلم بكلام كثير وبخ فيه أصحابه واستبطأهم وقال لهم: دعوتكم إلى غياث أصحابكم بمصر مذ بضع وخمسون ليلة فجرجرتم جرجرة البعير الأسر، وتثاقلتم إلى الأرض تثاقل من ليست له نية في الجهاد ولا اكتساب الأجر في المعاد، ثم خرج إليه منكم جنيد ضعيف «كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون». وقيل لعلي: لشد ما جزعت على ابن أبي بكر؟! فقال: رحم الله محمدا انه كان غلاماً حدثاً، ولقد أردت تولية مصر، هاشم بن عتبة ولو وليته إياها ما خلا لهم العرصة، بلا ذم لمحمد، فقد كان لي ربيباً وكان لبني أخي جعفر أخاً، وكنت أعده ولداً. وكانت أم عبد الله بن جعفر أسماء بنت عميس فخلف عليها أبو بكر، ثم علي ﵁، وكان محمد ربيب علي ﵁.... [وكان عليّ] بعث قيس[1]

---

(1) ضبط قيس مصر وكان ممتنعاً بالمكيدة والدهاء من معاوية وعمرو أدر الأرزاق عليهم ولم يحمل إلى أهل الشام طعاماً؛... فمكرا بعلي وكتب معاوية كتاباً من قيس إليه يذكر فيه ما أتى إلى عثمان من الأمر العظيم وإني على السمع والطاعة ثم نادى معاوية «الصلاة جامعة»؛ فخطب وقال: يا أهل الشام إن الله ينصر خليفته المظلوم ويخذل عدوه أبشروا. هذا قيس بن سعد ناب العرب قد أبصر الأمر وعرفه على نفسه ورجع إلى الطلب بدم خليفتكم وكتب إلي؛ فأمر بالكتاب فقرئ؛ وقد أمر بحمل الطعام إليكم فادعوا الله لقيس وارفعوا أيديكم! فعجوا وعج معاوية ورفعوا أيديهم ساعة،

بن سعد بن عبادة أميراً على مصر، فكتب إليه معاوية وعمرو بن العاص كتاباً أغلظا فيه وشتماه فكتب إليهما بكتاب لطيف قاربهما فيه، فكتبا إليه يذكران شرفه وفضله، فكتب إليهما بمثل جوابه كتابهما الأول، فقالا: إنا لا نطيق مكر قيس بن سعد، ولكنا نمكر به عند علي، فبعثا بكتابه الأول إلى علي فلما قرأه قال أهل الكوفة: غدر والله قيس فاعزله. فقال علي: ويحكم أنا أعلم بقيس إنه والله ما غدر ولكنها إحدى فعلاته. قالوا: فإنا لا نرضى حتى تعزله. فعزله وبعث مكانه محمد بن أبي بكر، فلما قدم عليه قال: إن معاوية وعمرو سيمكران بك، فإذا كتبا إليك بكذا فاكتب بكذا، فإذا فعلا كذا فافعل كذا ولا تخالف ما آمرك به فإن خالفته قتلت.

قالوا: وكتب علي إلى عبد الله بن عباس بمقتل محمد بن أبي بكر وعبد الله بالبصرة، قبل أن يكتب أبو الأسود الديلي إلى علي فيه، وقبل أن تقع بينهما المنافرة، وكان عبد الله قد نافر علياً بالنهروان ولحق بمكة. وأما محمد بن أبي حذيفة: فإن محمد بن أبي بكر خلفه حين زحف إلى عمرو

فقال معاوية لعمرو: نحين خروج العيون ففي سبع أو ثمان يصل الخبر إلى علي فيعزل قيساً وكل من ولي مصر كان أهون علينا! فلما ورد على علي الخبر دخل عليه محمد بن أبي بكر والأشتر وذماً قيساً وجعل علي لا يقبل ثم عزله وولى الأشتر فمات قبل أن يصل إليها. قلت: فقيل: سم وولي محمد بن أبي بكر فقتل بها وغلب عليها عمرو. قال ضمرة بن ربيعة: جعل معاوية يقول: ادعوا لصاحبكم ـ يعني قيساً ـ فإنه على رأيكم فعزله علي وولاها محمد بن أبي بكر. وتقدم إليه أن لا يعرض لابن حديج وأصحابه وكانوا أربعة آلاف قد نزلوا بنخيلة وتنحوا عن الفريقين بعد صفين فعبث بهم قال: ورحل قيس إلى المدينة وعبثت به بنو أمية فلحق بعلي. فكتب معاوية إلى مروان: ماذا صنعتم من إخراجكم قيساً إليه؟ قال: وكتب ابن حديج وأصحابه إلى معاوية: ابعث إلينا أميراً فبعث عمرو بن العاص إليهم فلجأ محمد بن أبي بكر إلى عجوز فأقر عليه ابنها فقتلوه وأحرق في بطن حمار وهرب محمد بن أبي حذيفة فقتل أيضاً. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، 287).

بن العاص على ما تحت يده، فلما قتل ابن أبي بكر؛ جمع من الناس مثل ما كان مع ابن أبي بكر وزحف نحو عمرو وأصحابه فآمنه عمرو؛ ثم غدر به وحمله إلى معاوية ومعاوية بفلسطين، فحبسه في سجن له، فمكث غير طويل ثم إنه هرب وكان معاوية يحب نجاته، فقال رجل من خثعم يقال له عبيد الله بن عمرو بن ظلام - وكان عثمانياً ـ : أنا أتبعه، فخرج في خيل فلحقه بحوران وقد دخل غاراً فدل عليه فأخرجه وخاف أن يستبقيه معاوية - إن أتاه به - فضرب عنقه. ويقال أيضاً: إن ابن أبي حذيفة توارى، فطلبه عمرو بن العاص حتى قدر عليه وحمله إلى معاوية فحبسه، ثم هرب من حبسه فلحق فقتل»[1].

يقول نص جديد: «فلما بلغ علياً وفاة الأشتر تأسف عليه لشجاعته، وكتب إلى محمد بن أبي بكر باستقراره واستمراره بديار مصر، وكان ضعف جأشه مع ما فيه من الخلاف عليه من العثمانية الذين ببلد خربتا، وقد كانوا استفحل أمرهم؛ وكان أهل الشام حين انقضت الحكومة سلموا على معاوية بالخلافة، وقوى أمرهم جداً، فعند ذلك جمع معاوية أمراءه، واستشارهم في المسير إلى مصر، فاستجابوا له؛ وعين نيابتها لعمرو بن العاص إذا فتحها، ففرح بذلك عمرو، فكتب معاوية إلى مسلمة بن مخلد ومعاوية بن خديج ـ وهما رؤساء العثمانية ببلاد مصر ـ يخبرهم بقدوم الجيش إليهم سريعاً، فأجابوه، فجهز معاوية عمرو بن العاص في ستة آلاف، فسار إليها، واجتمعت عليه العثمانية وهم عشرة آلاف. فكتب عمرو إلى محمد بن أبي بكر: أن تنح عني بدمك، فإني لا أحب أن يصيبك مني ظفر، وإن الناس قد اجتمعوا بهذه البلاد على خلافك. فأغلظ محمد

(1) البلاذري، أنساب الأشراف، 354؛ راجع: ابن الأثير، أسد الغابة 4:324.

بن أبي بكر لعمرو في الجواب، وركب في ألفي فارس من المصريين، فأقبل عليه الشاميون، فأحاطوا به من كل جانب، وتفرق عنه المصريون، وهرب هو فاختفى في خربة، ودخل عمرو بن العاص فسطاط مصر، ثم دل على محمد بن أبي بكر، فجيء به؛ وقد كاد يموت عطشاً، فقدمه معاوية بن حديج فقتله، ثم جعله في جيفة حمار، فأحرقه بالنار؛ وذلك في صفر سنة ثمان وثلاثين»[1].

«وتوفي الأشتر سنة تسع وثلاثين من الهجرة في طريق مصر، وذلك أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام ولّى محمد بن أبي بكر مصر وعزل عنها قيس بن سعد بن عبادة، وكان قيس مشهوراً بالشجاعة والسياسة؛ وكان معاوية بن حديج التجيبي وبسر بن أرطأة انحازا بعد قتل عثمان إلى قرية منها اسمها خربنا (؟) ومعهما عشرة آلاف رجل من العثمانية قد عظموا قتل عثمان وامتنعوا من بيعة علي عليه السلام وبايع سائر جند مصر علياً عليه السلام، وكان قيس يتألفهم ويرجو رجوعهم، فأشاع معاوية أن قيس معه وأنه ينافق علياً، وبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فكتب إليه: أن لم يبايع ابن حديج والمعتزله معه وإلا فأذنهم بالحرب على سواء، فلم يحاربهم قيس ورجا انحيازهم إليه بالسياسة وظن أن ذلك يوافق رأي أمير المؤمنين عليه السلام، ولم يكن على علم بما نقل عليه من مكر معاوية، فلما بلغه ذلك كتب إلى علي عليه السلام يعتذر عن مصر، فأشار عبد الله بن جعفر بولاية محمد بن أبي بكر لأنه ابن خالته أسماء بنت عميس، وأشار عبد الله بن العباس بالأشتر؛ فولّى محمد وكتب له عهداً، فلقيه قيس بن سعد بالعريش، فقال له فيما أوصاه: إنك تقدم إلى بلد مغتن وبها لمعاوية بن خديج معتزلين، فألن لهم جانبك،

---

(1) السيوطي، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، 196.

وعد مريضهم، وصل على ميتهم، وأجر أرزاقهم، تنقلب لك طاعتهم وقلوبهم، فإنه لا يمنعني عزل أمير المؤمنين لي عن نصحك، وكأني بك قد خالفتني واتكلت على حسن رأي أمير المؤمنين فيك، وهو بالكوفة فأخذت وقتلت وأدخلت في جوف حمار! ثم ودعه وانصرف إلى الكوفة، فجرى لمحمد ﷺ ما تفرس قيس، فإنه باين العثمانية ولم يقبل منهم إلا البيعة أو الجلاء أو الحرب، فاستنجد ابن حديج معاوية فأنجده بعمرو بن العاص في عشرين ألف فارس، فاجتمعوا مع العثمانية ولم يحضر القتال مع محمد من أصحابه إلا ألفا فارس، وكان شجاعاً شهماً رئيساً، فانهزم أصحابه فاختفى في خربة فدلّت عليه عجوز كان ابنها من أصحابه، فأسروه بشرط أن يطلقوا ولدها، فأطلقوا ولدها ثم جيء بمحمد، وقد أنهكه العطش فقيل: إن ابن العاص لم يرد قتله، فغلبه معاوية بن حديج وضرب عنقه بيده، ثم بعثوا به إلى خربة فيها حمار ميت فأدخلوه جوفه ثم أحرقوا الحمار فحرق فيه، رحمه الله تعالى»[1].

«فكتب إليه علي: اصبر لعدوك وإن كانت فئتك أقل الفئتين، فإني باعث إليك الناس، وانتدب إلى القوم كنانة بن بشر، وقام علي ﷺ فحث الناس على مصر، فتقاعدوا، فعاد يحثهم، فخرج نحو من ألفين، فقال: أف لكم، وقام محمد خطيباً، فقال: إن القوم الذين كانوا ينتهكون الحرمة قد ساروا إليكم بالجنود فمن أراد فليخرج إليهم، انتدبوا رحمكم الله مع كنانة بن بشر. فانتدب معه نحو من ألفي رجل. وخرج محمد في ألفي رجل، وأقبل عمرو فطرد أصحابه كنانة، فبعث إلى معاوية بن حديج فأحاط أصحابه بكنانة فقاتل حتى قتل، وتفرق عن محمد أصحابه، فخرج

---

(1) مؤلّف مجهول، كتاب مجهول، 3.

يمشي حتى انتهى إلى خربة، فأوى إليها، وخرج معاوية بن حديج في طلب محمد حتى انتهى إلى علوج على قارعة الطريق، فسألهم: هل مر بكم أحد تستنكرونه؟ فقال أحدهم: لا والله إلا أني دخلت تلك الخربة فإذا فيها رجل جالس، فقال ابن حديج: هو هو ورب الكعبة، فدخلوا عليه واستخرجوه وقد كاد يموت عطشاً وأقبلوا به نحو الفسطاط، فوثب أخوه عبد الرحمن بن أبي بكر ـ وكان في جند عمرو بن العاص ـ وقال: أيقتل أخي صبراً؟ ابعث إلى معاوية بن حديج فانهه!! فبعث إليه: إن عمرو بن العاص يأمرك أن تأتيه بمحمد بن أبي بكر، فقال: أكذاك قتلتم كنانة بن بشر وأخلي أنا عن محمد، هيهات. فقال محمد: اسقوني من الماء، فقال معاوية: لا سقاني الله إن سقيتك قطرة أبداً، إنكم منعتم عثمان أن يشرب الماء حتى قتلتموه صائماً، أتدري ما أصنع بك؟ أدخلك في جوف حمار ثم أحرقه بالنار. فلما بلغ الخبر عائشة جزعت عليه جزعاً شديداً، وقنتت في دبر كل صلاة تدعو على معاوية وعمرو، وقبضت عيال محمد إليها وولده، وكان القاسم بن محمد في عيالها، وكتب عمرو بن العاص إلى معاوية بقتل محمد وكنانة. أخبرنا محمد ... بعث معاوية بن حديج بمولى له يقال له سليم إلي المدينة بشيراً بقتل محمد بن أبي بكر ومعه قميص محمد بن أبي ودخل به دار عثمان، فاجتمع إليه آل عثمان من رجال ونساء وأظهروا السرور بمقتله، وأمرت أم حبيبة بنت أبي سفيان بكبش يشوى، وبعثت بذلك إلى عائشة وقالت: هكذا شوي أخوك، فلم تأكل عائشة شواء حتى لحقت بالله عز وجل. وأما محمد بن أبي حذيفة فقد زعم قوم أنه قتل بعد قتل ابن أبي بكر. وقال آخرون: بل قتل قبل ذلك في سنة ست وثلاثين، وقد سبق ذكر ذلك فيما قدمنا. وفي هذه السنة بعد مقتل محمد

بن أبي بكر وجه معاوية عبد الله بن عمرو بن الحضرمي إلى البصرة، فوجه علي ﷺ أعين بن ضبيعة المجاشعي لإخراج ابن الحضرمي من البصرة مدداً لزياد شرح القصة: لما قتل محمد بن أبي بكر خرج ابن عباس من البصرة إلى علي بالكوفة واستخلف زياداً، وقدم ابن الحضرمي من قبل معاوية، فنزل في بني تميم، فأرسل زياداً إلى حُضَين بن المنذر، ومالك بن مسمع، فقال: أنتم يا معاشر بكر بن وائل من أنصار أمير المؤمنين، وقد نزل ابن الحضرمي حيث ترون، وأتاه من أتاه، فامنعوني حتى يأتيني رأي أمير المؤمنين، فقال حضَين: نعم، وقال مالك ـ وكان رأيه مائلاً إلى بني أمية، وكان مروان لجأ إليه يوم الجمل: هذا أمرٌ لي فيه شركاء، أستشير وأنظر. فلما رأى زياد تثَاقُل مالك خاف أن تختلف ربيعة، فأرسل إلى نافع بن خالد فسأله أن يمنعه، فأشار عليه نافع بصَبرة بن شَيْمان الحُداني، فأرسل إليه زياد فقال: ألا تجيرني وبيت مال المسلمين، قال: بلى إن حملته إلي ونزلت داري، ففعل وحول معه المنبر، وتحول معه خمسون رجلاً، فكان زياد يصلي الجمعة في مسجد الحداني[1].

وكتب محمد إلى عمرو بن العاص جواب كتابه: «أما بعد فقد فهمت ما ذكرت في كتابك يا بن العاص، زعمت أنك تكره أن يصيبني منك ظفر، فأشهد بالله إنك لمن المبطلين، وتزعم أنك لي نصيح، واقسم إنك عندي ظنين، وتزعم أن أهل البلد قد رفضوا رأيي وأمري وندموا على اتباعي، أولئك لك وللشيطان الرجيم أولياء فحسبنا الله رب العالمين، وتوكلنا على الله العزيز الرحيم، رب العرش العظيم، والسلام». ثم نشب القتال بين الفريقين، ودارت الدائرة على جيش محمد بن أبي بكر، وأسلمه

(1) ابن الجوزي، المنتظم، 624 ابن الجوزي، المنتظم، 624.

أصحابه وتفرقوا عنه حين بلغهم قتل كنانة بن بشر، حتى بقي محمد وما معه أحد منهم، فلما رأى ذلك خرج يمشي في الطريق، حتى انتهى إلى خربة فأوى إليها، وخرج معاوية ابن حديج في طلبه حتى اهتدى إليه فاستخرجه وقتله، ثم ألقاه في جيفة حمار، ثم أحرقه بالنار[1].

«وبعث ابن حديج بقميصه الذي قتل فيه إلى عائشة ليغيظها، ثم إلى أم حبيبة بنت أبي سفيان، أخت معاوية، فأمرت بضرب الدف، واجتمع بنات عثمان ونساؤه وفيهن نائلة بنت الفرافصة التي قتل عثمان عندها فلبسنه كلهن ورقصن به، ثم أن أم حبيبة أمرت بكبش فسلخ وشوي وبعثت به في طبق إلى عائشة، وقالت للرسول: قل لها هكذا شوي أخوك فحلفت عائشة لا تأكل الشوي ما عاشت، وبلغ قتل محمد علياً عليه السلام، فحزن ثم صعد المنبر فنعاه وترحم عليه وقال: كان لي ربيباً، وبي حفياً، وكنت أعده ولداً، ولقد كنت لهذا كارهاً، ولكنكم أكرهتموني على ولايته، «وكان أمر الله قدراً مقدوراً»[2].

(1) تاريخ الطبري 6: 59؛ شرح ابن أبي الحديد م: 2 ص32؛ أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية، 140.
(2) مؤلّف مجهول، كتاب مجهول، 4.

الفصل السادس:

عمرو بن الحمق الخزاعي

عمرو بن الحمق الخزاعي:

يقول الزركلي: «عمرو بن الحمق بن كاهل، أو كاهن، الخزاعي الكعبي: صحابي»[1].

«عمرو بن الحمق بن الكاهن بن حبيب بن عمرو بن القين بن رزاح بن عمرو بن سعد بن كعب بن عمرو بن ربيعة الخزاعي. هاجر إلى النبي ﷺ بعد الحديبية[2]، وقيل: بل أسلم عام حجة الوداع، والأول أصح.

صحب النبي ﷺ[3]، وحفظ عنه أحاديث[4]، وسكن الكوفة، وانتقل

---

(1) الأعلام، 722.

(2) «وقال التهذيب: بايع في حجة الوداع، وصحب بعد ذلك». (السيوطي، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، 75)؛ أنظر أيضاً: «من بني كعب عمرو بن الحمق بن كاهن بن حبيب: هاجر إلى النبيّ ﷺ بعد الحديبية وقيل: أسلم عام حجة الوداع، والأول أصحُّ. وصحب النبيَّ ﷺ، وحفظ عنه أحاديث. وسكن الشام، ثم انتقل إلى الكوفة فسكنها». (البري، الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، 127).

(3) عمرو بن الحمق، الكاهن، صاحب النبي ﷺ وشهد المشاهد وعلي، وقتله معاوية بالجزيرة. الصحاري، الأنساب، 196.

(4) «عَمرو بن الحَمِق، صاحب النبي عليه الصلاة والسلام». (ابن عبد ربه الأندلسي،

إلى مصر، قاله أبو نعيم. وقال أبو عمر: سكن الشام، ثم انتقل إلى الكوفة فسكنها، والصحيح أنه انتقل من مصر إلى الكوفة... عن عمرو بن الحمق أنه سقى النبي ﷺ، فقال: «اللهم متعه بشبابه». فمرت عليه ثمانون سنة لا ترى في لحيته شعرة بيضاء»[1]. «سمع عمرو بن الحمق يقول: قال رسول الله ﷺ إذا أراد الله بعبد خيراً عسله! فقيل لرسول الله: وما عسله؟ قال: فتح له عمل صالح بين يدي موته حتى يرضي عنه ما حوله»[2]. ويضيف مرجع آخر: «روى عن النبي[3] صلى الله عليه وآله وسلم.... عن عمرو بن الحمق أنه سقى النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبناً؛ فقال: اللهم أمتعه بشبابه! فمرت به ثمانون سنة لم ير شعرة بيضاء[4]. قلت: هذا لا يصح وإسحاق بن أبي فروه واهي الحديث ولم يعش هذا الرجل بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم سوى نيف وأربعين سنة إلا أن يحمل أنه استكمل ثمانين سنة فالله أعلم»[5].

«وروى عنه جبير بن نفير ورفاعة بن شداد وغيرهما. وكان ممن سار

العقد الفريد، 405)؛ فذكرت حديثاً حدثنيه عمرو بن الحمق قال: قال رسول الله ﷺ: «أيما مؤمن أمن مؤمناً على دمه فقتله، فأنا من القاتل بريء». (ابن الأثير المؤرّخ، أسد الغابة، 847).

(1) ابن الأثير المؤرخ، أسد الغابة، 846.

(2) الذهبي، تاريخ الإسلام، 3480.

(3) «سمع عمرو بن الحمق عن النبي ﷺ قال: «ستكون فتنة خير الناس فيها الجند الغربي» وقال حيوة عن بقية بن بحير عن خالد حدثنا جبير: أن عمر الحمق حدثه عن النبي ﷺ ولا يصح عمر». (البخاري، التاريخ الكبير، 476).

(4) «روى ابن أبي شيبة في (مسنده) وأبو نعيم وابن عساكر عن عمرو بن الحمق أنه سقى رسول الله ﷺ لبنا فقال: «اللهم أمتعه بشبابه»، فمرت به ثمانون سنة لم ير الشعرة البيضاء». (شمس الدين الشامي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، 359).

(5) ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، 1160.

إلى عثمان. وهو أحد الأربعة الذين دخلوا عليه الدار فيما ذكروا ثم صار من شيعة علي ﷺ، وشهد معه مشاهده كلها: الجمل، والنهروان، وصفين، وأعان حجر بن عدي، ثم هرب في زمن زياد إلى الموصل، ودخل غاراً فنهشته حية فقتلته، فبعث إلى الغار في طلبه، فوجد ميتاً، فأخذ عامل الموصل رأسه، وحمله إلى زياد فبعث به زياد إلى معاوية، وكان أول رأس حمل في الإسلام من بلد إلى بلد. وكانت وفاة عمرو بن الحمق الخزاعي سنة خمسين. وقيل: بل قتله عبد الرحمن بن عثمان الثقفي عم عبد الرحمن بن أم الحكم سنة خمسين»[1].

يقول أحد المراجع: «عن عمرو بن الحمق، قال: بعث رسول الله ﷺ سرية، فقالوا: يا رسول الله انك تبعثنا ولا لنا زاد ولا لنا طعام ولا علم لنا بالطريق! فقال: إنكم ستمرون برجل صبيح الوجه يطعمكم من الطعام ويسقيكم من الشراب ويدلكم على الطريق وهو من أهل الجنة! فلم يزل القوم على جمل يشير بعضهم إلى بعض وينظرون إلي؛ قالوا: أبشر ببشرى من الله ورسوله فان نعرف فيك نعت رسول الله ﷺ! فأخبروني بما قال لهم فأطعمتهم وسقيتهم وزودتهم وخرجت معهم حتى دللتهم على الطريق ثم رجعت إلى أهلي وأوصيتهم بإبلي ثم خرجت إلى رسول الله[2] ﷺ فقلت: ما الذي تدعو إليه؟ فقال: أدعو إلى شهادة أن لا اله الا الله وأني رسول الله واقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان؛ فقلت: إذا أجبناك إلى هذا فنحن آمنون على أهلنا ودمائنا وأموالنا؟ قال:

---

(1) ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، 363.

(2) «عمرو بن الحمق أسلم في حجة الوداع وكان من شيعة علي ﵇». (المطهر بن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ، 291).

نعم! فأسلمت ثم رجعت فأعلمتهم بإسلامي فأسلم على يدي بشر كثير منهم، ثم هاجرت إلى رسول الله ﷺ فبينا أنا عنده ذات يوم: فقال لي: يا عمرو هل لك أن أريك آية الجنة تأكل الطعام وتشرب الشراب وتمشي في الأسواق؟ قلت: بلى! بأبي أنت! قال هذا وقومه وأشار بيده إلى علي بن أبي طالب[1] ﷺ وقال لي: يا عمرو هل لك أن أريك آية النار تأكل الطعام وتشرب الشراب وتمشي في الأسواق؟ قلت: بأبي أنت! قال: هذا وقومه آية النار وأشار إلى رجل! فلما وقعت الفتنة ذكرت قول رسول الله ﷺ ففررت من آية النار إلى آية الجنة ويرى بني أمية قاتلي بعد هذا! قلت: الله ورسوله أعلم! قال: والله إن كنت حجراً في جوف حجر لأستخرجني بنو أمية حتى يقتلوني! حدثني به حبيبي رسول الله ﷺ أن رأسي أول رأس يحتز[2] في الإسلام وينقل من بلد إلى بلد.»[3].

«عمرو بن الحمق أسلم في حجة الوداع وكان من شيعة علي عليه السلام قتله عامل معاوية بالموصل»[4].

«والحمق: زعموا الخفيف اللحية، والانحماق: الجزع»[5]

«له صحبة سكن الكوفة ثم انتقل إلى مصر وكان قد شهد مع علي

(1) «صحب النبي ﷺ ونزل الكوفة وشهد مع علي رضي الله تعالى عنه مشاهده». (ابن سعد، الطبقات الكبرى 1091)؛ أنظر أيضا: «وصار بعد ذلك من شيعة علي، وشهد معه مشاهده كلها: الجمل، وصفين، والنهروان».(ابن الأثير المؤرخ، أسد الغابة، 846).

(2) أنظر: «وكان رأسه أول رأس نصب بالإسلام». الصحاري، الأنساب، 196.

(3) الحافظ الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، 1814.

(4) المطهر بن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ، 291، 318.

(5) الصحاري، الأنساب، 196.

حروبه وقتل بالحرة وقيل بل قتل سنة خمسين قبل الحرة وقال خليفة قتل بالموصل سنة 51 قتله عبد الرحمن بن عثمان الثقفي وبعث برأسه إلى معاوية وقال غيره كان أحد من ألب على عثمان روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وعنه رفاعة بن شداد القتباني وعبد الله بن عامر المعافري وجبير بن نفير الحضرمي وأبو منصور مولى الأنصار وآخرون»[1].

«فقال قوم حضروا هذا الكلام: ما نراه إلا كاهناً يتحدث بحديث الكهنة ـ فقال: ياعمرو، إنك المقتول بعدي، وإن رأسك لمنقول؛ وهو أول رأسٍ ينقل في الإسلام، والويل لقاتلك! أما إنك لا تنزل بقوم إلا أسلموك برمتك، إلا هذا الحي من بني عمر بن عامر بن الأزد، فإنهم لن يسلموك ولن يخذلوك، قال: فوالله ما مضت إلا أيام حتى تنقل عمرو بن الحمق في خلافة معاوية في بعض أحياء العرب، خائفاً مذعوراً، حتى نزل في قومه من بني خزاعة، فأسلموه، فقتل وحمل رأسه من العراق إلى معاوية بالشام، وهو أول رأس حمل في الإسلام من بلد إلى بلد»[2].

قتله عثمان بن عفّان:

«وكان سبب ذلك أن الناس نقموا عليه أشياء فمن ذلك كلفه بأقاربه كما قاله عمر ﷺ كما قاله عمر ﷺ فآوى الحكم بن أبي العاص بن أمية طريد رسول الله ﷺ وكان سيره إلى بطن وج ولأنه كان يفشي سر رسول الله ﷺ ويطلع الناس عليه ومنها أنه أقطع الحارث بن الحكم

(1) ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، 1160؛ أنظر: ابن دريد، الاشتقاق، 147؛ ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 405؛ الفسوي، المعرفة والتاريخ، 376.
(2) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 204.

مهرقته موضع شرقي المدينة وكان النبي ﷺ لما قدم إلى المدينة ووصل إلى ذلك الموضع ضرب برجله وقال هذا مصلانا ومستمطرنا ومخرجنا لأضحانا وفطرنا فلا تنقضوها ولا تأخذوا عليها كرى لعن الله من نقض من بعض سوقنا شيئاً ومنها أنه أقطع مروان بن الحكم فدك قرية صدقة رسول الله ﷺ وأعطاه خمس الغنائم من إفريقية فقال عبد الرحمن بن حنبل الجمحي

أحلف بالله رب العباد ما ترك الحق شيئاً سدى
ولكن خلقت لنا فتنة لكي نبتلى بك أو تبتلى
فما أخذا درهما غيلةً ولا أعطيا درهماً في هوى
و أعطيت مروان خمس العباد فهيهات شاؤك ممن سعى

و منها أنه أعطى عبد الله بن خالد بن أسيد بن رافع أربعمائة ألف درهم وأعطى الحكم بن أبي العاص مائة ألف درهم ومنها أن عبيد الله بن عمر قتل الهرمزان بأبيه عمر وقتل ابنين لأبي لؤلؤة عليه اللعنة فلم يقده ومنها أنه عزل عمال عمر وولى بني أمية وانتزع عمرو بن العاص عن مصر واستعمل عليها عبد الله بن سعد بن أبي سرح وانتزع سعد بن أبي وقاص عن الكوفة واستعمل الفاسق الوليد بن أبي معيط وهو أخوه لأمه فوقع في الخمر فشربها ويصلي الصلاة لغير وقتها فصلى بالناس يوماً الفجر أربعاً وهو ثمل فلما انصرف قال أزيدكم فإني نشيط فشغب الناس وحصبوه وفيه يقول الحطيئة:

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه ان الوليد أحق بالعذر
نادى وقد تمت صلاتهم أ أزيدكم ثملاً وما يدري

فلما شكاه الناس عزله واستعمل عليهم شراً منه سعيد بن العاص، فقدم رجل عظيم الكبر شديد العجب؛ وهو أول من وضع العشور على الجسور والقناطر؛ ومنها أن ابن سرح قتل سبعمائة رجل بدم رجل واحد فأمر بعزله ولم ينكر عليه؛ منها أنه جعل الحروف كلها حرفاً واحداً وأكره الناس على مصحفه؛ ومنها أنه سيّر عامر بن قيس من البصرة إلى الشام لتنزهه عن أعماله وسّير أبا ذر الغفاري إلى الربذة وذلك أن معاوية شكاه أنه يطعن عليه فدعاه واستعتبه ولم يعتب فسيره إلى الربذة وبها مات رحمه الله؛ ومنها أنه تزوج نائلة بنت الفرافصة الكلبية فأعطاها مائة ألف من بيت المال وأخذ سفطاً فيه حلي فأعطاه بعض نسائه واستسلف من بيت المال خمسة آلاف درهم؛ وكان اشترط عليه عند البيعة أن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله وبسيرة الشيخين ﷺما، فسار بها ست سنين ثم تغيّر كما ذكر؛ ونبرأ إلى الله من عيب الصحابة قدس الله أرواحهم أجمعين؛ ومنها أنه لما ولي صعد المنبر فتسنم ذروته حيث كان يقعد رسول الله ﷺ وكان أبو بكر ينزل عنه درجة تعظيماً لقدر النبي ﷺ، فلما ولي عمر نزل عن مقعد أبي بكر بدرجة فصارت رجلاه في الأرض لأن المنبر درجتان، فتكلم الناس في ذلك وأظهروا الطعن، فخطب عثمان وقال: هذا مال الله أعطيه من أشاء وأمتعه من أشاء فأرغم الله أنف من رغم أنفه! فقام عمار بن ياسر فقال: أنا أول من رغم أنفه من ذلك! فقال له: عثمان لقد اجترأت علي يا بن سمية؟! فوثبوا بنو أمية على عمار فضربوه حتى غشي عليه، فقال: ما هذا بأول ما أوذيت في الله! وضرب عبد الله بن مسعود في مخالفته قرأته! فسار الأشتر النخعي في مائتي راكب من أهل الكوفة وسار حكيم بن جبلة العبدي في مائتي راكب من أهل البصرة وسار عبد الرحمن بن

عنبس البلوي وكانت له صحبة في ستمائة راكب من أهل مصر فيهم عمرو بن الحمق ومحمد بن أبي بكر حتى نزلوا بذي خشب فرسخاً من المدينة، وبعثوا إلى عثمان من يكلمه ويستعتبه؛ فقال: ما تنقمون علي؟ فقالوا: ننقم عليك ضربك عماراً! قال: فو الله ما أمرت به ولا ضربت، فهذه يدي بعمارٍ فليقتص! قالوا: وننقم عليك إذ جعلت الحروف حرفاً واحداً! قال: جاءني حذيفة؛ فقال: ما كنت صانعاً إذا قيل قراءة فلان وقراءة فلان فيختلفون كما اختلف أهل الكتاب؟ فإن يكن صواباً فمن الله وإن يكن خطاءً فمن حذيفة!! وقالوا: ننقم عليك أنك استعملت السفهاء من أقاربك! قال: فليقم أهل كل مصر فليسألوني صاحبكم فأوله عليهم؛ فبعث علي ﷺ إلى ذي خشبٍ فأرضاهم وردهم فانصرفوا حتى بلغوا حسمي مر بهم راكب معه كتاب إلى ابن أبي سرح بقتل القوم، ولما انصرف الراكب تكلم الناس أمرهم وأرجفوا بالأراجيف؛ فخطب عثمان وقال: قد بلغني ما تحدثتم وإنما جاؤوا في صغير من الأمر! فقال عمر بن العاص: بل جاؤوا في كبير من الأمر وقد ركبت ما بك نهابر فإما أن تعتدل وإما أن تعتزل! فقال عثمان: يا بن النابغة هذا الآن عزلتك عن مصر! قالوا: ولما أعطي عثمان القوم ما أرادوا قال مروان بن الحكم لحمران بن أبان كاتب عثمان، فكان خاتم عثمان مع مروان بن الحكم: إن هذا الشيخ قد وهن وخرف وقم فاكتب إلى ابن أبي سرح أن يضرب أعناق من ألب على عثمان!! ففعلا وبعث الكتاب مع غلام لعثمان يقال له مدس على ناقة من نوقه، فمر بالقوم وهم نزول بحسمي فاتهموه وأخذوه وقرروه وأخرجوا الكتاب من إداوة له وانصرفوا إلى المدينة، وبدؤوا بعلي بن أبي طالب ﷺ لأنه كان راوضهم وضمن لهم، فجاء علي معهم إلى عثمان؛ فقالوا: فعلت

وفعلت؟ فأنكر ذلك لعن الله الكاتب والمملي والآمر به؛ فقالوا: فما تظن؟ قال: أظن كاتبي غدر! وارتجت المدينة برجوع القوم، فحنق بنو مخزوم لضربه عمار وحنق بنو زهرة لحال عبد الله بن مسعود وحنق بنو غفار لمكان أبي ذر الغفاري؛ وكان أشد الناس طلحة والزبير ومحمد بن أبي بكر وعائشة، وخذلته المهاجرون والأنصار؛ وتكلمت عائشة في أمره واطلعت شعرة من شعر رسول الله ﷺ ونعله وثيابه وقالت: ما أسرع ما تركتم سنة نبيكم؟ فقال عثمان في آل أبي قحافة ما قال وغضب حتى ما كاد يدري ما يقول! فقال عمر بن العاص: سبحان الله؛ وهو يريد أن يحقق طعن الناس على عثمان! فقال الناس: سبحان الله! ثم صعد عثمان المنبر وهو يريد أن يتكلم بعهده فقام رجل فشتمه وعابه وقال: فعلت وفعلت وعثمان يلتفت»[1].

«ولما رأى أهل مصر أن أهل الموسم يريدون قصدهم، وأن أهل الأمصار يسيرون إليهم اعتزموا على قتل عثمان ﷺ وتقبل شهادتهم يرجون في ذلك خلاصهم، واشتغال الناس عنهم، فقاموا إلى الباب ليفتحوه فمنعهم الحسن بن علي وابن الزبير ومحمد بن طلحة ومروان وسعيد بن العاص ومن معهم من أبناء الصحابة، وقاتلوهم وغلبوهم دون الباب. ثم صدهم عثمان في القتال وحلف ليدخلن فدخلوا وأغلق الباب فجاءوا بالنار وأحرقوه، ودخلوا وعثمان يصلي وقد افتتح سورة طه. وقد سار أهل الدار فما شغله شيء من أمرهم حتى فرغ وجلس إلى المصحف يقرأ فقرأ: «الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل». ثم قال لمن عنده: إن رسول

(1) المطهر بن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ، 318.

الله ﷺ قد عهد إلي عهداً فأنا صابر عليه ومنعهم من القتال، وأذن للحسن في اللحاق بأبيه وأقسم عليه، فأبى وقاتل دونه. وكان المغيرة بن الأخنس بن شريق قد تعجل من الحج في عصابة لنصره فقاتل حتى قتل. وجاء أبو هريرة ينادي: يا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار، وقاتل. ثم اقتحمت الدار من ظهرها من جهة دار عمرو بن حزم فامتلأت قوماً ولا يشعر الذين بالباب، وانتدب رجل فدخل على عثمان في البيت فحاوره في الخلع فأبى، فخرج ودخل آخر ثم آخر كلهم يعظه فيخرج ويفارق القوم. وجاء ابن سلام فوعظهم فهموا بقتله. ودخل عليه محمد بن أبي بكر فحاوره طويلاً بما لا حاجة إلى ذكره، ثم استحيا وخرج. ثم دخل عليه السفهاء فضربه أحدهم وأكبت عليه نائلة إمرأته تتقي الضرب بيدها، فنفحها أحدهم بالسيف في أصابعها. ثم قتلوه وسال دمه على المصحف. وجاء غلمانه فقتلوا بعض أولئك القاتلين وقتلاء أخر وانتهبوا ما في البيت وما على النساء حتى ملاءة نائلة، وقتل الغلمان منهم، وقتلوا من الغلمان. ثم خرجوا إلى بيت المال فانتهبوه وأرادوا قطع رأسه فمنعهم النساء. فقال ابن عديس: اتركوه.ويقال إن الذي تولى قتله كنانة بن بشر التجيبي. وطعنه عمرو بن الحمق طعنات. وجاء عمير بنضابىء وكان أبوه مات في سجنه فوثب عليه حتى كسر ضلعاً من أضلاعه»[1].

كان المصريون الذين حصروا عثمان ستمائة عليهم عبد الرحمن بن عديس البلوي وكنانة بن بشر بن عتاب الكندي وعمرو بن الحمق الخزاعي، والذين قدموا من الكوفة مائتين عليهم مالك بن الأشتر النخعي، والذين قدموا من البصرة مائة رجل رئيسهم حكيم بن جبلة العبدي

(1) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 721.

وضوت إليه حثالة من الناس قد مرجت أماناتهم وسفهت أحلامهم، وكان أصحاب النبي ﷺ الذين خذلوه لا يرون أن الأمر يبلغ به القتل فلما قتل ندموا، ولعمري لو قام بعضهم فحثا التراب في وجوه أولئك لانصرفوا. وقال الواقدي في روايته: تسور على عثمان من دار عمرو بن حزم... عن ابن سيرين قال: جاء ابن بديل إلى عثمان، وكان بينهما شحناء، ومعه السيف وهو يقول: لأقتلنه، فقالت له جارية عثمان: لأنت أهون على الله من ذاك، فدخل على عثمان فضربه ضربةً لا أدري ما أخذت منه. وقال الواقدي في روايته: لما ضرب محمد بن أبي بكر عثمان بمشاقصه قال عثمان: بسم الله توكلت على الله، وإذا الدم يسيل على لحيته وعلى المصحف حتى وقع على: «فسيكفيكهم الله» وأطبق عثمان المصحف»[1].

«وكان محمد بن أبي بكر، ومحمد بن أبي حُذيفة لا يفتران من التحريض على عثمان بمصر، فخرج عبد الرحمن بن عُديس البلوي، وسودان بن حمران المُرادي، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وعروة بن شييم الليثي في خمسمائة، وأظهروا أنهم يريدون العمرة، وكان خروجهم في رجب، ووجه عبد الله بن سعد بن أبي سرح إلى عثمان بخبرهم رسولاً سار إحدى عشرة ليلة، وساروا المنازل حتى نزلوا بذي خُشب، فقال عثمان: هؤلاء يُظهرون أنهم يريدون العمرة ووالله ما يريدون إلا الفتنة، لقد طال على الناس عمري، ولئن فارقتهم ليتمنون يوماً من أيامي. فأتى عثمان علياً في منزله فقال له: يا بن عم إن قرابتي قريبة وحقي عظيم، والقوم فيما بلغني على أن يصبحوني ليقتلوني، وأنا أعلم أن لك عند الناس قدراً وأنهم يسمعون منك، فأُحب أن تركب إليهم فتردهم على أن أصير إلى

(1) البلاذري، أنساب الأشراف، 796.

ما تُشير به وتراه ولا أخرج عن أمرك ولا أخالفك. فركب عليّ ومعه: عيد بن زيد، عمرو بن نُفيل أبو الأعور، وأبو الجهم بن حُذيفة العدوي، وجبير بن مطعم، وحكيم بن حزام، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد، ومن الأنصار: أبو حميد الساعدي، وأبو أُسيد الساعدي، وزيد بن ثابت، وحسان بن ثابت، وكعب بن مالك، ومحمد بن مسلمة ـ وقال بعضهم: إن عمار بن ياسر كان معهم ـ فكلمهم عليّ ومحمد بن مسلمة حتى انصرفوا راجعين إلى مصر، ثم لم ينشبوا أن رجعوا وادعوا أموراً، فأقسم عثمان أنه لم يفعلها.... عن الزهري أن الناس كانوا يأتون علياً لسابقته وقرابته وفضله، لا أنه أراد ذلك منهم، وكان مروان يأتي عثمان فيخبره أنه يؤلب الناس عليه ويعصب كل شيء يكون من أهل مصر وغيرهم له، وأبلغه عنه أن قوماً قدموا من مصر فاستقل عدتهم فقال لهم: ارجعوا فتأهبوا فإني باعث إلى العراق من يأتيني من أهله بجيش يُبطل الله به هذه السيرة الجائرة ويُريح من مروان وذويه، فقال عثمان: اللهم إن علياً أبى إلا حب الإمارة فلا تُبارك له فيها»[1].

«وكان رؤساؤهم أربعة: عبد الرحمن بن عديس البلوي وسودان بن حمران المرادي وابن البياع وعمرو بن الحمق الخزاعي؛ لقد كان الاسم غلب حتى يقال جيش عمرو بن الحمق؛ فأتاهم محمد بن مسلمة فقال: إن أمير المؤمنين يقول كذا ويقول كذا، وأخبرهم بقوله، فلم يزل بهم حتى رجعوا! فلما كانوا بالبويب رأوا جملاً عليه ميسم الصدقة فأخذوه فإذا غلام لعثمان فأخذوا متاعه ففتشوه فوجدوا فيه قصبة من رصاص فيها كتاب في جوف الإدواة في الماء إلى عبد الله بن سعد، أن افعل بفلان كذا

(1) البلاذري، أنساب الأشراف، 780.

وبفلان كذا من القوم الذين شرعوا في عثمان؛ فرجع القوم ثانية حتى نزلوا بذي خشب فأرسل عثمان إلى محمد بن مسلمة، فقال: اخرج فارددهم عني! فقال: لا أفعل! قال: فقدموا فحصروا عثمان؛ أنكر عثمان أن يكون كتب الكتاب أو أرسل ذلك الرسول وقال: فعل ذلك دوني!»[1].

حول مقتل عثمان بن عفان، يقول أحد المراجع: «فجاء محمد بن أبي بكر في ثلاثة عشر رجلاً حتى انتهى إلى عثمان؛ فأخذ بلحيته، فقال بها حتى سمع وقع أضراسه؛ فقال: ما أغنى معاوية! ما أغنى عنك ابن عامر! ما أغنت كتبك! فقال [عثمان]: أرسل لي لحيتي يا ابن أخي! أرسل لي لحيتي يا ابن أخي! قال: فأنا رأيت استعداء رجل من القوم بعينه فقام إليه بمشقص حتى وجأ به في رأسه؛ قال: ثم قلت: ثم مه! قال: ثم تغاووا والله عليه حتى قتلوه رحمه الله!!...عن عبد الرحمن بن محمد بن عبد أن محمد بن أبي بكر تسور على عثمان من دار عمرو بن حزم ومعه كنانة بن بشر بن عتاب وسودان بن حمران وعمرو بن الحمق، فوجدوا عثمان عند امرأته نائلة وهو يقرأ في المصحف سورة البقرة، فتقدمهم محمد بن أبي بكر فأخذ بلحية عثمان، فقال: قد أخزاك الله يا نعثل! فقال عثمان: لست بنعثل ولكن عبد الله وأمير المؤمنين؛ فقال محمد: ما أغنى عنك معاوية وفلان؟ فقال عثمان: يا بن أخي دع عنك لحيتي فما كان أبوك ليقبض على ما قبضت عليه! فقال محمد: ما أريد بك أشد من قبضي على لحيتك! فقال عثمان: أستنصر الله عليك وأستعين به؛ ثم طعن جبينه بمشقص في يده ورفع كنانة بن بشر بن عتاب مشاقص كانت في يده فوجأ بها في أصل أذن عثمان فمضت حتى دخلت في حلقه ثم علاه بالسيف حتى قتله! قال

(1) ابن سعد، الطبقات الكبرى، 444؛ راجع: الذهبي، تاريخ الإسلام، 443.

عبد الرحمن بن عبد العزيز فسمعت ابن أبي عون يقول: ضرب كنانة بن بشر جبينه ومقدم رأسه بعمود حديد فخر لجنبه وضربه سودان بن حمران المرادي بعدما خر لجنبه فقتله وأما عمرو بن الحمق فوثب على عثمان فجلس على صدره وبه رمق فطعنه تسع طعنات؛ وقال: أما ثلاث منهن فإني طعنتهن لله وأما ست فإني طعنت إياهن لما كان في صدري عليه!... لما ضربه بالمشاقص قال عثمان: بسم الله توكلت على الله؛ وإذا الدم يسيل على اللحية يقطر والمصحف بين يديه فاتكأ على شقه الأيسر وهو يقول: سبحان الله العظيم؛ وهو في ذلك يقرأ المصحف والدم يسيل على المصحف حتى وقف الدم عند قوله تعالى: فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم! وأطبق المصحف وضربوه جميعا ضربة واحدة»[1]. «وأرادوا قطع رأسه، فوقعت نائلة عليه وأم البنين فصحن وضربن الوجوه. فقال ابن عديس: اتركوه. وأقبل عمير بن ضابىء فوثب عليه فكسر ضلعاً من أضلاعه؛ وقال: سجنت أبي حتى مات في السجن»[2]. «وقال غيره [عن عمرو]: كان أحد من ألب على عثمان»[3].

فتناول لحيته وقال: يا نَعْثَل. فقال: بئس الوضْع وضَعْتَ يدكَ، ولو كان أبوكَ مكانك لأكرمني أنْ يضع يده مكان يدك. فأهْوَى بمشاقص كانت معه إلى وجهه، وهو يريد بها عينيه، فزلَت فأصابت أوْدَاجَه وهو يتلو القرآن ومصحفٌ في حجره فجعل يتكَفَّفُ الدم فإذا راحتُهُ منه نَفَحَه وقال: اللهم ليس لهذا

(1) ابن سعد، الطبقات الكبرى، 448

(2) ابن الأثير المؤرّخ، الكامل في التاريخ، 519.

(3) ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، 1160؛ أنظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، 1091؛ البري، الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، 127؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 997؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 2774.

طالب في شراسيف عثمان حتى خالط جَوْفَه، ودخل عمرو بن الحَمِق، وكِنَانَةُ بن بِشْر، وابن رومان، وعبد الرحمن بن عُدَيْس فمالوا عليه بأسيافهم حتى قتلوه وخرج خارجٌ إلى المسجد فأخبر بقتله، فقال قائل: ما أظنكم فَعَلْتُم، فَعُودوا. فعادوا وقد حَسَرَت نائلة بنت الفرافصة عن رأسها لتكُفهُم فاقتحموا، فقالت: يا أعداءَ الله، وكيف لا تدخلون عَلَيَ وقد ركبتم الذنْب العظيم!! وتناولت سيف أحدهم فاجتذبه فقطع إصبعين من أصابعها»[1].

«دخل عليه محمد بن أبي بكر بِشَرْيَان كان معه فَضَربَه في حشائه حتى وقَعَتْ في أوْدَاجِهِ فخر، وضَرَبَ كنانَةُ بن بِشْرٍ جَبْهَتَهُ بعَمُود، وضرَبَه أسْوَدَان بن حُمْرَان بالسيف»[2]. «لكنه [محمد] هو الذي أدخلهما يعني الرجلين كنانة بن بشر، وسودان بن حمران، ورفع كنانة مشاقص فوجأ بها في أذن عثمان فمضت حتى دخلت حلقه ثم علاه بالسيف وضرب جبينه بعمود حديد وضربه سودان بن حمران المرادي، فقتله ووثب عليه عمرو بن الحمق وبه رمق فطعنه تسع طعنات»[3].

«قال الواقدي: ودخل محمد بن أبي بكر على عثمان حتى جلس بين يديه وأخذ بلحيته فقال: يا نعثل ـ ونعثل دهقان اصبهان كان جميلاً جيد اللحية فشبهوا عثمان به ـ كيف ترى صنع الله بك؟ قال: خيراً اتقي الله يا بن أخي ودع لحيتي فإن أباك لو كان حياً لم يقعد مني هذا المقعد ولم يأخذ بلحيتي، فقال محمد: إن أبي لو كان حياً ثم رآك تعمل هذا العمل لأنكره عليك، وتناول عثمان المصحف فوضعه في حجره فقال: عباد الله لكم

(1) ابن شبة، تاريخ المدينة المنورة، 394.
(2) السابق، 372.
(3) العصامي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، 472.

ما فيه والعتبى مما تكرهون، اللهم أشهد. فقال محمد بن أبي بكر «ألآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين» ثم رفع جماعة قداحٍ كانت في يده فوجأ بها خششائه حتى وقعت في أوداجه فحزت ولم تقطع فقال: عباد الله لا تقتلوني فتندموا وتختلفوا، فرفع كنانة بن بشر بن عتاب التجيبي عموداً من حديد كان معه فضرب به جبهته فوقع، وضربه سودان بن حمران ـ ويقال سيدان بن حمران ـ المرادي بالسيف ضربةً فكانت أول قطرة قطرت من دمه في المصحف على «فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم» وقعد عمرو بن الحمق الخزاعي على صدره فوجأه تسع وجآت بمشاقص... وانصرف الناس عن عثمان وترك قتيلاً في داره يوماً أو يومين حتى حمله أربعةٌ فيهم امرأةٌ، أحد الأربعة جبير بن مطعم»[1].

«وأرادوا قطع رأسه، فوقعت عليه زوجتاه: نائلة بنت الفرافصة وأم البنين، ابنة عيينة بن حصن الفزاري، فصحن وضربن الوجوه، فقال ابن عديس: اتركوه، وأقبل عمير بن ضابئ البرجمي فوثب عليه، فكسر ضلعين من أضلاعه، وقال له: سجنت أبي حتى مات في السجن!... وكان عمره ستاً وثمانين سنة»[2].

«فأخذ محمد بن أبي بكر بلحيته، فقال: يا محمد، والله لو رآك أبوك لساءه مكانك فتراخت يده، وخرج عنه إلى الدار، ودخل رجلان فوجداه فقتلاه، وكان المصحف بين يديه يقرأ فيه، فصعدت امرأته فصرخت وقالت: قد قتل أمير المؤمنين»[3].

(1) البلاذري، أنساب الأشراف، 790.
(2) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 158.
(3) مروج الذهب، المسعودي، 311.

«وكان فيمن مال عليه عمير بن ضابىء البرجمي التميمي، وخضخض سيفه في بطنه»[1].

وفي حديث آخر: أن محمد بن أبي بكر أخذ بلحيته، وأهوى بمشاقص معه ليجأ بها في حلقه، فقال: مهلاً يا بن أخي فوالله لقد أخذت مأخذ ما كان أبوك ليأخذ به، فتركه وانصرف مستحيياً نادماً، فاستقبله القوم على باب الصفة فردهم طويلاً حتى غلبوه، فدخلوا، وخرج محمد راجعاً فأتاه رجل بيده جريدة، تقدمهم حتى قام عثمان، فضرب بها رأسه فشجه، فقطر دمه على المصحف حتى لطخه، ثم تغاووا عليه، فأتاه رجل فضربه على الثدي بالسيف، فسقط، ووثبت نائلة بنت الفرافصة الكلبية فصاحت وألقت نفسها عليه وقالت: يا بنت شيبة، أيقتل أمير المؤمنين؟! فأخذت السيف، فقطع الرجل يدها، وانتهبوا متاع البيت، ومر رجل على عثمان ورأسه مع المصحف، فضرب رأسه برجله ونحاه عن المصحف وقال: ما رأيت كاليوم وجه كافر أحسن ولا مضجع كافر أكرم... وقال في آخر الحديث: وانتهبوا بيته، فهذا يأخذ الثوب، وهذا يأخذ المرآة، وهذا يأخذ الشيء. وعن كنانة مولى صفية بنت حيي قال: شهدت مقتل عثمان ﷺ وأنا ابن أربع عشرة سنة، قلت: هل أندى محمد بن أبي بكر بشيء من دمه؟ فقال: معاذ الله، دخل عليه فقال عثمان: يا بن أخي، لست بصاحبي فخرج، ولم يند من دمه بشيء، فقلت لكنانة: من قتله؟ قال: رجل من أهل البصرة، وقيل من أهل مصر يقال له: جبلة بن الأيهم، وقيل جبلة بن الأهتم، وقيل: من أهل مصر يقال له: حمار. وعن عائشة قالت: دخل محمد بن أبي بكر على عثمان متأبطاً سيفه، قد

---

(1) مروج الذهب، المسعودي، 312.

علق كنانته في همياته حتى جلس بين يديه فقال: يا نعثل، فقال: لست بنعثل ولكني عثمان أمير المؤمنين. فأهوى بيده إلى لحيته، فقال: مه يا بن أخي! كف يدك عن لحية عمك وأجلها، فإن أباك كان يجلها. فغضب فأخذ مشقصاً من كنانته فضربه في ودجه، فأسرع السهم فيه، ثم دخل التجيبي ومحمد بن أبي حذيفة فضرباه بأسيافهما حتى أثبتاه وهو يقرأ المصحف»[1].

«عن الشعبي قال: جاء رجل من تجيب من المصريين، والناس حول عثمان، فاستل سيفه، ثم قال: افرجوا، ففرجوا له، فوضع ذباب سيفه في بطن عثمان، فأمسكت نائلة بنت الفرافصة زوجة عثمان بالسيف لتمنع عنه، فحز السيف أصابعها... وعن المغيرة قال: حصروه اثنين وعشرين يوماً، ثم أحرقوا الباب، فخرج من في الدار»[2].

«وكان ممن سار إلى عثمان بن عفان ﷺ، وهو أحد الأربعة الذين دخلوا عليه الدار، فيما ذكروا، وصار بعد ذلك من شيعة علي، وشهد معه مشاهده كلها: الجمل، وصفين، والنهروان»[3].

«وقال ابن الربيع: دخل مصر في خلافة عثمان، ولهم عنه حديث في الجند الغربي. وقال التهذيب: بايع في حجة الوداع، وصحب بعد ذلك، وقتل بالحرة. وقال ابن سعد: كان فيمن سار إلى عثمان، وأعان على قتله، ثم قتله عبد الرحمن بن أم الحكم. وعن الشعبي قال: أول رأس حمل الإسلام رأس عمرو بن الحمق»[4].

(1) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 2222.
(2) الذهبي، تاريخ الإسلام، 447.
(3) ابن الأثير المؤرخ، أسد الغابة، 846.
(4) السيوطي، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، 75.

مقتل عمرو:

يقول الزركلي: وشهد مع عليّ حروبه. وكان على خزاعة[1] يوم صفين. ورحل إلى مصر ثم إلى الموصل، فطلبه معاوية، فدخل غاراً فنهشته حية[2] فمات.

فأخذ عامل الموصل رأسه فأرسله إلى زياد فبعث به زياد إلى معاوية، فكان أول رأس حمل في الإسلام[3].

---

(1) «ومن القبائل التي أقامت على مقربة من مكة «خزاعة»، ومن رجالهم عند ظهور الإسلام، «عمرو بن الحمق» الكاهن، صحب النبي وشهد المشاهد مع «علي» وقتله «معاوية» بالجزيرة». (د. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 872).

(2) «أنه خرج مع عمرو بن الحمق حين طلبه معاوية قال: فقال لي يا رفاعة أن القوم قاتلي، إن رسول الله ﷺ أخبرني أن الجن والإنس تشترك في دمي، قال رفاعة: فما تم حديثه حتى رأيت أعنة الخيل فودعته وواثبته حية فلسعته وأدركوه فاحتزوا رأسه وكان أول رأس أهدي في الإسلام»(شمس الدين الشامي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، 333). من المراجع التي تحدّثت عن «الحيّة» التي قتلته قبل قطع رأسه؛ نذكر: ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، 1160؛ ابن الأثير المؤرخ، أسد الغابة، 846؛ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 2611؛ ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، 363؛ البري، الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، 127.

(3) «حدثني به حبيبي رسول الله ﷺ أن رأسي أول رأس يحتز في الإسلام وينقل من بلد إلى بلد». (الحافظ الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، 1814). أول رأس حمل في الإسلام رأس عمرو بن الحمق إلى معاوية ـ قال سفيان: أرسل معاوية ليؤتى به، فلدغ، وكأنهم خافوا أن يتهمهم، فأتوا برأسه. (ابن الأثير المؤرخ، أسد الغابة، 846). وعن الشعبي قال: أول رأس حمل الإسلام رأس عمرو بن الحمق». (السيوطي، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، 75). «لعل إرسال رأس الحسين ومن معه كان قبل رأس عبد الله بن ابي الحمق فلا ينافي قول ابن الجوزي أول رأس حمل في الإسلام رأس عبد الله بن ابي الحمق وذلك أنه لدغ فمات فخشيت الرسل أن تتهم فقطعوا رأسه فحملوه... نصب معاوية ﷺ رأس عمرو بن ابي الحمق ونصب يزيد بن معاوية رأس الحسين ﷺ، وقول الزهري إلى المدينة لا يخالف ما في النور ما تقدم

وقيل في خبر مقتله: إن عبد الرحمن بن عبد الله الثقفي عامل الموصل ظفر به، فكتب إلى معاوية، فجاءه من معاوية: إن ابن الحمق زعم أنه طعن عثمان بن عفان تسع طعنات، فأطعنه مثلها»[1].

وضرب رجلٌ من الحمراء رأس عمرو بن الحمق بعموده فوقع، وحمله أصحابه إلى الأزد فاختفى عندهم حتى خرج، (ابن الأثير المؤرخ، الكامل في التاريخ، 631).

«عن أبي إسحق أن حجر بن عدي لما قفي به من عند زياد نادى بأعلى صوته: اللهم إني على بيعتي لا أقيلها ولا أستقيلها، سماع الله والناس، وكان عليه برنس في غداة باردة فحبس عشر ليال وزياد يطلب رؤوس أصحاب حجر، فخرج عمرو بن الحمق ورفاعة بن شداد حتى نزلا المدائن، ثم ارتحلا حتى أتيا أرض الموصل فأتيا جبلاً فكمنا فيه وبلغ عامل ذلك الرستاق أن رجلين قد كمنا في جانب الجبل، فاستنكر شأنهما، وهو رجل من همدان يقال له عبد الله بن أبي تلعة، فسار إليهما في الخيل ومعه أهل البلد فلما انتهى إليهما خرجا، فأما عمرو بن الحمق

في غزوة بدر كم من رأس حمل بين يدي رسول الله ﷺ لأن تلك الرؤوس لم تحمل إلى رسول الله ﷺ بالمدينة على أن فيه أنه لم يحمل إليه ذلك اليوم إلا رأس أبي جهل على ما تقدم.» (نور الدين الحلبي، السيرة الحلبيّة، 850). عن الشعبي قال أول رأس حمل في الإسلام رأس عمرو بن الحمق (الطبقات الكبرى، ابن سعد، 1091). والصحيح أن أول رأس حمل في الإسلام رأس عمرو بن الحمق. (ابن الأثير المؤرخ، الكامل في التاريخ، 679). وقال الشعبي وهو أول رأس نقل وكان عمرو بن الحمق أحد الرءوس الذين ساروا إلى أمير المؤمنين. (تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية، 140). وأول مسلم حُمل رأسه عمرو بن الحمق الخزاعي ﷺ..(شمس الدين الشامي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، 1515).

(1) الزركلي، الأعلام، 722.

فكان مريضاً وكان بطنه قد استسقى، فلم يكن عنده امتناع، وأما رفاعة بن شداد فكان شاباً قوياً فوثب على فرسه فقال أقاتل عنك، فقال: وما ينفعني أن تقتل، انج بنفسك إن استطعت، فحمل على القوم فأفرجوا له، وخرج يتعدى به فرسه، وخرجت الخيل في طلبه، وكان رامياً فأخذ لا يلحق به فارس إلا رماه فجرحه أو عقره، فانصرفوا عنه وأخذ عمرو بن الحمق فسألوه: من أنت؟ قال: إن تركتموه كان أسلم لكم، وإن قتلتموه كان أضر عليكم، فبعث به ابن أبي تلعة إلى عامل الموصل وهو عبد الرحمن بن عثمان الثقفي، وهو ابن أم الحكم، فلما رأى عمراً عرفه فكتب إلى معاوية يخبره، فكتب إليه إنه زعم أنه طعن عثمان تسع طعنات وإنا لا نزيد عليه فاطعنه تسع طعنات، فأخرج فطعن تسع طعنات فمات في الأولى أو في الثانية، فبعث برأسه إلى معاوية، وكان أول رأس حمل في الإسلام»[1].

«فلما ولى قال زياد: والله لأحرصن على قطع خيط رقبته! وطلب أصحابه، فخرج عمرو بن الحمق حتى أتى الموصل ومعه رفاعة بن شداد فاختفيا بجبل هناك... فبعثوه إلى عامل الموصل، وهو عبد الرحمن بن عثمان الثقفي الذي يعرف بابن أم الحكم، وهو ابن أخت معاوية، فعرفه فكتب فيه إلى معاوية. فكتب إليه: إنه زعم أنه طعن عثمان تسع طعنات بمشاقص معه فاطعنه كما طعن عثمان. فأخرج وطعن. فمات في الأولى منهن أو الثانية»[2]. «وعنه قال: تطلب زياد رؤساء أصحاب حجر، فخرج عمرو إلى الموصل هو ورفاعة بن شداد، فكمنا في جبل، فبلغ عامل ذلك

(1) ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، 1503؛ راجع: إبراهيم البيهقي، المحاسن والمساوئ، 162.
(2) ابن الأثير المؤرخ، الكامل في التاريخ، 632.

الرستاق، فاستنكر شأنهما، فسار إليهما في الخيل...عن هنيدة الخزاعي قال: أول رأس أهدي في الإسلام رأس عمرو بن الحمق. وقال عمار الدهني: أول رأس نقل رأس ابن الحمق، وذلك لأنه لدغ فمات، فخشيت الرسل أن تتهم به، فحزوا رأسه وحملوه. وقلت: هذا أصح مما مر، فإن ذاك من رواية ابن الكلبي، فالله أعلم هل قتل أو لدغ. وقال خليفة: قتل سنة خمسين»[1].

«ثم صار من شيعة علي ﷺ، وشهد معه مشاهده كلها: الجمل، والنهروان، وصفين، وأعان حجر بن عدي، ثم هرب في زمن زياد إلى الموصل، ودخل غاراً فنهشته حية فقتلته، فبعث إلى الغار في طلبه، فوجد ميتاً، فأخذ عامل الموصل رأسه، وحمله إلى زياد فبعث به زياد إلى معاوية، وكان أول رأس حمل في الإسلام من بلد إلى بلد. وكانت وفاة عمرو بن الحمق الخزاعي سنة خمسين. وقيل: بل قتله عبد الرحمن بن عثمان الثقفي عم عبد الرحمن بن أم الحكم سنة خمسين»[2].

«وأعان حجر بن عدي، وكان من أصحابه، فخاف زياداً، فهرب من العراق إلى الموصل، واختفى في غار بالقرب منها، فأرسل معاوية إلى العامل بالموصل ليحمل عمر إليه، فأرسل العامل على الموصل ليأخذه من الغار الذي كان فيه، فوجده ميتاً، كان قد نهشته حية فمات، وكان العامل عبد الرحمن بن أم الحكم، وهو ابن أخت معاوية.... سفيان قال:

---

(1) الذهبي، تاريخ الإسلام، 507، 518.

(2) ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، 363؛ راجع: العصامي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، 551؛ ابن كلبي، نسب معد واليمن الكبير، 102؛ ابن دريد، الاشتقاق، 147؛ ابن أبي عاصم، الأوائل، 12.

سمعت عماراً الدهني ـ إن شاء الله ـ قال: أول رأس حمل في الإسلام رأس عمرو بن الحمق إلى معاوية ـ قال سفيان: أرسل معاوية ليؤتى به، فلدغ، وكأنهم خافوا أن يتهمهم، فأتوا برأسه»[1].

«فقام زياد ينظر إليهم وهو على المنبر، فغشوا بالعمد، فضرب رجل من الحمراء ـ يقال له بكر ابن عبيد ـ رأس عمرو بن الحمق بعمود فوقع، وأتاه أبو سفيان بن عويمر والعجلان بن ربيعة ـ وهما رجلان من الأزد ـ فحملاه؛ فأتيا به دار رجل من الأزد ـ يقال له عبيد الله بن مالك ـ فخبأه بها، فلم يزل بها متوارياً حتى خرج منها»[2].

«أن حجراً لما قفي به من عند زياد نادى بأعلى صوته: اللهم إني على بيعتي، لا أقيلها ولا أستقيلها، سماع الله والناس. وكان عليه برنس في غداة باردة، فحبس عشر ليال، وزيادٌ ليس له عمل إلا طلب رؤساء أصحاب حجر، فخرج عمرو بن الحمق ورفاعة بن شداد حتى نزلا المدائن، ثم ارتحلا حتى أتيا أرض الموصل، فأتيا جبلاً فكمنا فيه، وبلغ عامل ذلك الرستاق أن رجلين قد كمنا في جانب الجبل، فاستنكر شأنهما ـ وهو رجل من همدان يقال له عبد الله بن أبي بلتعة ـ فسار إليهما في الخيل نحو الجبل ومعه أهل البلد»[3].

«وعن الأجلح بن عبد الله الكنديّ قال: وكان رسول الله ﷺ قال له: «يا عمرو أتحبّ أن أريك آية الجنّة؟» قال: نعم يا رسول الله؛ فمرّ على عليّ فقال: «هذا وقومه آية الجنّة». فلمّا قتل عثمان وبايع النّاس عليّاً لزمه فكان

(1) ابن الأثير المؤرخ، أسد الغابة، 846.
(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1195.
(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1195.

معه حتى أصيب؛ ثم كتب معاوية في طلبه وبعث من يأتيه به.... وكان مؤاخياً لعمرو بن الحمق أنه خرج معه حين طلب، فقال لي: يا رفاعة، إن القوم قاتلي، وإن رسول الله ﷺ أخبرني أن الجنّ والإنس تشترك في دمي؛ وقال لي: «يا عمرو إن أمنك رجل على دمه فلا تقتله فتلقى الله بوجه غادر». قال رفاعة: فما أتمّ حديثه حتى رأيت أعنّة الخيل فودّعته، وواثبته حيّة فلسعته، وأدركوه فاحتزّوا رأسه فكان أول رأس أهدي في الإسلام»[1].

«وأول رأس حمل من بلد إلى بلد رأس عمرو بن الحمق الخزاعي»[2].

«هرب عمرو بن الحمق إلى الموصل وعليها ابن أم الحكم، فصار إلى غارٍ في جبلٍ، فعثر عليه وأخبر عبد الرحمن بن أم الحكم بمكانه، فبعث إليه خيلاً فدخل أقصى الغار فنهشته حية فقتلته وأخذ رأسه فحمل إلى زياد، فحمله زياد إلى معاوية، فكان أول رأس حمل في الإسلام من بلد إلى بلد. حدثنا محمد بن الصباح عن شريك عن أبي اسحاق قال: أول رأس أهدي في الإسلام رأس عمرو بن الحمق أهدي إلى معاوية. وروي أن ابن الحمق أتى أذربيجان فنزل على رجل من بجيلة فمات عنده، فاحتز رأسه فأتى به ابن أم الحكم، فبعث به إلى معاوية، فنصبه للناس، ثم بعث به إلى امرأته آمنة بنت سويد وكانت محبوسة عند معاوية، فقالت: لقد نفيتموه طويلاً وأهديتموه قتيلاً، فمر حباً به من هديةٍ غير مقلية؛ ونفاها إلى حمص فماتت بحمص»[3].

(1) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 2611.
(2) ابن قتيبة الدينوري، 126.
(3) البلاذري، أنساب الأشراف، 673.

آمنة بنت الشريد:

آمنة بنت الشريد زوج عمر بن الحمق؛ كانت بدمشق ذكر أبو الحسن علي بن محمد الكاتب الشابشتي: أن عمرو بن الحمق، لما قتل حمل رأسه إلى معاوية، وهو أول رأس حمل في الإسلام من بلد إلى بلد، وكانت آمنة بنت الشريد زوجته بدمشق، فلما حمل رأس عمرو إليه أمر أن يلقى في حجرها وأن يسمع منها تقول، فلما رأته ارتاعت له. وأكبت عليه تقبله، وقالت: واضيعتا في دار هون! بقيتموه طويلاً، وأهديتموه إلي قتيلاً، فأهلاً وسهلاً، كنت له غير قالية، وأنا له غير ناسية، قل لمعاوية: أيتم الله ولدك، وأوحش منك أهلك، ولا غفر الله ذنبك، فعاد الرسول إليه بما قالت، فأمر بها فأحضرت، وعنده جماعة وفيهم إياس بن شرحبيل وكان في شدقيه نبوٌّ لعظم لسانه. فقال لها معاوية: يا عدوة الله أنت صاحبة الكلام. قالت: نعم، غير فازعةٍ ولا معتذرة، قد لعمري اجتهدت في الدعاء، وأنا أجتهد إن شاء الله إن نفع الاجتهاد والله من وراء العباد. فأمسك معاوية.

فقال إياس: اقتل هذه، فما كان زوجها بأحق بالقتل منها. فقالت له: تبا لك ويلك! بين شدقيك جثمان الضفدع وأنت تأمره بقتلي كما قال تعالى: «إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين»؛ فضحك معاوية والجماعة، وبان الخجل من إياس، ثم قال معاوية: اخرجي عني فلا أسمع بك في شيءٍ من الشام. قالت: سأخرج عنك، فما الشام لي بموطن، ولا أعرج فيه على حميم ولا سكن، ولقد أعظمت في مصيبتي، وما قرت به عيني، وما أنا إليك بعائدة ولا لك حيث كنت بحامدة، فأشار إليها بيده أن اخرجي، فقالت: عجباً لمعاوية يبسط علي غرب لسانه ويشير إلي ببنانه، فلما خرجت قال معاوية: يحمل

إليها ما يقطع بها غرب لسانها ويخفف به إلى بلدها فقبضت ما أمر لها به وخرجت تريد الكوفة، فلما وصلت إلى حمص توفيت.»[1].

«كان تحت عمرو بن الحمق آمنة بنت الشريد، فحبسها معاوية في سجن دمشق زماناً، حتى وجه إليها رأس عمرو بن الحمق، فألقي في حجرها، فارتاعت لذلك، ثم وضعته في حجرها، ووضعت كفها على جبينه، ثم لثمت فاه. ثم قالت: غيبتموه عني طويلاً ثم اهديتموه إليّ قتيلاً!. فأهلاً بها من هدية غير قالية ولا مقلية»[2]. «وقبره مشهور بظاهر الموصل بزار، وعليه مشهد كبير، ابتدأ بعمارته أبو عبد الله سعيد بن حمدان، ـ وهو ابن عم سيف الدولة ـ وناصر الدولة ابني حمدان، في شعبان من سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، وجرى بين السنة والشيعة فتنة بسبب عمارته»[3].

(1) مختصر تاريخ دمشق، ابن منظور، 661.
(2) ابن الأثير المؤرّخ، أسد الغابة، 847.
(3) السابق.

الفصل السابع:

عبد الرحمن بن خالد بن الوليد

من هو خالد بن الوليد؟ إنه «خالد بن الوليد بن المغيرة سيف الله، ويكنى أبا سليمان. أسلم في هُدنة الحديبية. وكان له بالشام من الولد عدد كثير بادَ أكثرهم بالطاعون. وأشهر ولده: المهاجر وعبد الرحمن. وكان المهاجر محباً في علي، وشهد معه الجمل وصفين، ورُوي عنه الحديث. وكان لعبد الرحمن فضل وهدي وكرم، إلا أنه كان مُنحرفاً عن علي وبني هاشم مُخالفةً لأخيه المهاجر. وشهد صفين مع معاوية. وله رواية عن النبي ﷺ. عن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد أنه احْتَجم في رأسه، وبين كتفيه، فقيل له: ما هذا؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «من أهراقَ منه هذه الدماءَ فلا يَضرُّه ألا يتداوى بشيء»[1].

أولاد خالد، كما يذكرهم أحد المراجع، هم: «وولد خالد بن الوليد بن المغيرة: عبد الرحمن، وكان عظيم القدر في أهل الشأم؛ وشهد مع معاوية صفين؛ وكان كعب بن جعيل مداحاً له؛ وزعموا أن معاوية قال لكعب بن جعيل بعد موت عبد الرحمن: «ليس للشاعر عهد! قد كان عبد الرحمن لك صديقاً؛ فلما مات نسيته!» قال: «ما فعلت، ولقد قلت فيه بعد موته:

(1) البري، الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، 27.

والمهاجر بن خالد؛ وعبد الله، قتل بالعراق؛ وأمهم: بنت أنس بن مدرك الخثعمي؛ وسليمان بن خالد، وبه كان يكنى، وأمه: كبشة بنت هوذة بن أبي عمرو، من ولد رزاح بن ربيعة؛ وعبد الله بن خالد، وأمه: أم تميم الثقفية؛ وأخوه لأمه: يزيد بن عبيد الله بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف»[1].

لم نجد كثيراً من النصوص حول عبد الرحمن وأخيه المهاجر قبل المرحلة العثمانية؛ مع ذلك، ثمة نص هام من المرحلة العمرية، يقول: «وبلغ عمر بن الخطاب ﷺ أن أناساً من رواة الأشعار وحملة الآثار يعيبون الناس، ويثلبونهم في أسلافهم، فقام على المنبر، وقال: إياكم وذكر العيوب، والبحث عن الأصول، فلو قلت: لا يخرج اليوم من هذه الأبواب إلا من لا وصمة فيه لم يخرج منكم أحد. فقام رجل من قريش ـ نكره أن نذكره ـ فقال: إذا كنت أنا وأنت يا أمير المؤمنين نخرج؛ فقال: كذبت، بل كان يقال لك، ياقين ابن قين، اقعد؛ قلت: الرجل الذي قام هو المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي، كان عمر يبغضه لبغضه أباه خالداً، ولأن المهاجر كان علوي الرأي جداً، وكان أخوه عبد الرحمن بخلافه، شهد المهاجر صفين مع علي ﷺ، وشهدها عبد الرحمن مع معاوية، وكان المهاجر مع علي ﷺ في يوم الجمل، وفقئت ذلك اليوم عينه. ولأن الكلام الذي بلغ عمر بلغه عن المهاجر، وكان الوليد بن المغيرة مع جلالته في قريش ـ وكونه يسمى ريحانة قريش، ويسمى العدل، ويسمى الوحيد ـ حداداً يصنع الدروع وغيرها بيده... وقال: إنه روى عند جعفر بن محمد ﷺ بالمدينة، فقال: لا تلمه يا بن أخي، إنه أشفق أن يحدج بقضية

(1) مصعب الزبيري، نسب قريش، 107.

نفيل بن عبد العزى وصهاك أمة الزبير بن عبد المطلب. ثم قال: رحم الله عمر فإنه لم يعد السنة، وتلا: «إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذابٌ أليمٌ». أما قول ابن جرير الآملي الطبرستاني في كتاب «المسترشد»: إن عثمان والد أبي بكر الصديق ﷺ كان ناكحاً أم الخير ابنة أخته، فليس بصحيح، ولكنها ابنة عمه، لأنها ابنة صخر بن عامر، وعثمان هو ابن عمرو بن عامر؛ وكيف تتصور هذه الواقعة في قريش، ولم يكن أحد منهم مجوسياً ولا يهودياً، ولا كان من مذهبهم حل نكاح بنات الأخ ولا بنات الأخت»[1].

تضيف نصوص أخرى حول عبد الرحمن بن خالد أنه «عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة القرشي المخزومي، أدرك النبي ﷺ ولم يحفظ عنه ولا سمع عنه، وأبوه خالد بن الوليد من كبار الصحابة وجلتهم؛ وكان عبد الرحمن من فرسان قريش وشجعانهم وكان له فضل وهدى حسن وكرم إلا أنه كان منحرفاً عن علي وبني هاشم مخالفة لأخيه المهاجر بن خالد؛ وكان أخوه المهاجر محباً لعلي وشهد معه الجمل وصفين وشهد عبد الرحمن صفين مع معاوية»[2].

أدرك النبي ﷺ ورآه، ولأبيه صحبة، أمه أسماء بنت أسد بن مدرك، الخثعمي، يكنى أبا محمد. وكان عبد الرحمن من فرسان قريش وشجعانهم، له هدي حسن وفضل وكرم، إلا أنه كان منحرفاً عن علي وبني هاشم مخالفة لأخيه المهاجر بن خالد، فإن المهاجر كان محباً لعلي، وشهد معه الجمل وصفين، وشهد عبد الرحمن صفين مع معاوية. وسكن

(1) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1153.
(2) ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، 250.

حِمص، وكان مع أبيه يوم اليرموك، وكان معاوية يستعمله على غزو الروم[1]، له معهم وقائع. ولما ولّي العباس بن الوليد حمص قال لأشراف أهل حمص: يا أهل حمص، ما لكم لا تذكرون أميراً من أمرائكم مثل ما تذكرون عبد الرحمن بن خالد؟ فقال بعضهم: كان يدني شريفنا، ويغفر ذنبنا، ويجلس في أفنيتنا، ويمشي في أسواقنا، ويعود مرضانا، ويشهد جنائزنا، وينصف مظلومنا»[2].

كان عبد الرحمن بن خالد أمير حمص[3]، كما رأينا في النص السابق؛ ويعتقد كثيرون أن أباه، خالد بن الوليد، مات ودفن في حمص، وهذا مناف لما وجدناه في بعض النصوص الهامة؛ يقول ياقوت الحموي: «وبحمص من المزارات والمشاهد: مشهد علي بن أبي طالب ﷺ، فيه عمود فيه موضع إصبعه راَه بعضهم في المنام؛ وبها دار خالد بن الوليد ﷺ وقبره فيما يقال؛ وبعضهم يقول: إنه مات بالمدينة ودفن بها وهو الأصح؛ وعند قبر خالد قبر عياض بن غنم القُرَشي ﷺ الذي فتح بلاد الجزيرة، وفيه قبر زوجة خالد بن الوليد وقبر ابنه عبد الرحمن، وقيل: بها قبر عبيد الله بن عمر بن الخطاب؛ والصحيح أن عبيد الله قُتل بصفين فإن كان نُقلت جثته إلى حمص فالله أعلم، ويقال: إن خالد بن الوليد مات بقرية على نحو ميل من حمص؛

(1) عن أبي أيوب قال غزونا مع عبد الرحمن بن خالد فأتى بأربعة أعلاج من العدو فأمر بهم فقتلوا صبراً بالنبل؛ فبلغ ذلك أبا أيوب فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينهى عن قتل الصبر ولو كانت دجاجة ما صبرتها؛ فبلغ ذلك عبد الرحمن فأعتق أربع رقاب.(ابن حجر العسقلاني، الإصابة في معرفة الصحابة، 844).

(2) ابن الأثير المؤرخ، أسد الغابة، 693.

(3) ولمعاوية عمال وهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد على حمص (النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 2322).

وإن هذا الذي يزار بحمص إنما هو قبر خالد بن يزيد بن معاوية وهو الذي بنى القصر بحمص وأثار هذا القصر في غربي الطريق باقية»[1].

ويؤكّد البلاذري أنّ خالد «توفي بحمص ودفن في قرية على ميل منها. قال الواقدي: فسألت عن تلك القرية فقيل دثرت، وأوصى إلى عمر بن الخطاب وكان موته سنة إحدى وعشرين... وقال عمر: ما عتبت على خالد إلا في المال»[2].

ويؤكّد أحد المراجع: «قال أبو زرعة: وسأل محمود بن إبراهيم عبد الرحمن بن إبراهيم عن موت خالد بن الوليد، فقال: بالمدينة»[3].

يجمل مرجع نادر الآراء السابقة كلها في حديثه عن حمص، فيقول: «مدينة كبيرة أكبر من حماة، لا تضايقها الجبال مثلها بل الجبال من جهاتها الأربع على مسافة ميل واحد وأكثر! لطيفة المنظر محاطة بالبساتين على فواصل قليلة، أكثر عمارتها على الطراز القديم، فيها عمائر قليلة على الطرز الحديث؛ وأسواقها كثيرة جميلة عارية السقوف واسعة الشوارع ومن جملتها شارع فخم أنيق تقوم على جانبيه عمارات جليلة واسعة تحيط بها الحدائق والجنينات وهو متنزه المدينة؛ ومتنزهها الثاني نهر العاصي. وفي حمص جامع فاتحها خالد بن الوليد وفيه قبره؛ وفي بعض الآثار التاريخية أن أصل هذا الجامع دار خالد بين الوليد؛ وقال بعضهم: إنه مات في المدينة ودفن فيها، قال ياقوت، وهو الأصح! وصحن الجامع مربع طول كل ربع منه 50 قدماً وقد عقدوا سقف قسم من الجامع طوله

(1) معجم البلدان، 617.
(2) البلاذري، أنساب الأشراف، 1359.
(3) أبو زرعة الدمشقي، تاريخ أبي زرعة الدمشقي، 84.

40 قدماً وعرضه كذلك على أربع اسطوانات من الرخام الأبيض بين كل سارية وأخرى عشرون قدماً بنيت على طراز خاص نفيس، وفي الجهة الغربية من الجامع قبر خالد بن الوليد عليه شباك من النحاس الأصفر وقبة ومئذنتان من أعلا الجامع، وعلى القبر قناديل عظيمة، وهو مزار أهل حمص ونواحيها؛ وداخل الشباك محراب ثان لأبته عبد الرحمن، وفي الجهة الشرقية قبر آخر لا شباك عليه يزعم أهل حمص أنه قبر عبيد الله بن عمر، والصحيح أن قبر عبيد الله بن عمر في مكة المكرمة في طريق أدنى الحل وهو ميقات العمرة المفردة وقد رأيته. وحمص من مدن الشام القديمة بناها اليونانيون على قول أهل السير وأما فتحها فذكر المنذر عن أبي مخنف أن أبا عبيدة بن الجراح لما فرغ من دمشق قدم أمامه خالداً بن الوليد وملحان بن زيار الطائي ثم تبعهما، فلما توافوا بحمص قاتلهم أهلها ثم لجئوا إلى المدينة وطلبوا الأمان والصلح فصالحوه على 170 ألف دينار؛ قال أبو مخنف أول راية وافت للعرب حمصاً ونزلت حول مدينتها راية ميسرة بن مسرور العبسي وأول مولد ولد للإسلام بحمص أدهم بن محرز وللواقدي وغيره في فتحها كلام حسن مبسوط فراجعه إذا شئت وقد ذكر ياقوت أن في حمص كثيراً من مشاهد الصحابة والتابعين ومزاراتهم سوى ما تقدم ذكره، فمن ذلك على ما ذكره: مشهد أمير المؤمنين علي عليه السلام فيه عمود فيه موضع أصبعه ورآه بعضهم في المنام؛ ومن ذلك قبر قنبر مولى الإمام، ويقال إن قنبر قتله الحجاج وقتل ابنه مع ميثم التمار في الكوفة؛ وقبور لأولاد جعفر بن أبي طالب وهو جعفر الطيار وغير ذلك. وقال أيضاً قيل بها قبر عبيد الله بن عمر بن الخطاب والصحيح أن عبيد الله قتل بصفين فإن كانت نقلت جثته إلى حمص فالله اعلم! ويقال

إن خالد بن الوليد مات بقربه على نحو ميل واحد من حمص وأن هذا الذي يزار بحمص قبر خالد بن يزيد بن معاوية؛ وبالجملة ففي هذه القبور كلام مختلف على القارئ اللبيب والباحث المنقب تمييزه وتحريره. وفي حمص من الآثار القديمة قلعة دارسة لم يبقى منها إلا الرسوم على جبل وسط المدينة ويحيط بها خندق؛ ومن آثارها سور محدق بالبلدة وهي مركز لواء من أعمال دمشق يحكمها متصرف»[1].

مكانة عبد الرحمن بن خالد عند الأمويين:

يبدو أن عثمان بن عفّان كان قد جعل على كلّ الشام «معاوية بن أبي سفيان، ونوابه: على حمص عبد الرحمن بن خالد بن الوليد»[2].

قبل حمص، يبدو أن عبد الرحمن كان نائباً على الجزيرة. وفي ذلك يذكر أحد المراجع أن معارضي عثمان «لما خرجوا من دمشق آووا إلى الجزيرة فاجتمع بهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ـ وكان نائباً على الجزيرة. ثم ولي حمص بعد ذلك ـ فهددهم وتوعدهم، فاعتذروا إليه وأنابوا إلى الإقلاع عما كانوا عليه، فدعا لهم وسير مالكاً الأشتر النخعي إلى عثمان بن عفان ليعتذر إليه عن أصحابه بين يديه، فقبل ذلك منهم وكف عنهم وخيرهم أن يقيموا حيث أحبوا، فاختاروا أن يكونوا في معاملة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فقدموا عليه حمص فأمرهم بالمقام بالساحل، وأجرى عليهم الرزق، ويقال: بل لما مقتهم معاوية كتب فيهم إلى عثمان فجاءه كتاب عثمان أن يردهم إلى سعيد بن العاص

(1) محسن أبو طبيخ، الرحلة المحسنية، 11.
(2) ابن كثير، البداية والنهاية، 2802

بالكوفة، فردهم إليه، فلما رجعوا كانوا أزلق ألسنة، وأكثر شراً، فضج منهم سعيد بن العاص إلى عثمان فأمره أن يسيرهم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بحمص، وأن يلزموا الدروب»[1].

ويضيف المصدر ذاته: «في هذه السنة: تكاتب المنحرفون عن طاعة عثمان وكان جمهورهم من أهل الكوفة، وهم في معاملة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بحمص منفيون عن الكوفة، وثاروا على سعيد بن العاص أمير الكوفة، وتألبوا عليه، ونالوا منه ومن عثمان، وبعثوا إلى عثمان من يناظره فيما فعل وفيما اعتمد من عزل كثير من الصحابة وتولية جماعة من بني أمية من أقربائه، وأغلظوا له في القول. وطلبوا منه أن يعزل عماله، ويستبدل أئمة غيرهم من السابقين ومن الصحابة، حتى شق ذلك عليه جداً، وبعث إلى أمراء الأجناد فأحضرهم عنده ليستشيرهم»[2].

«فكتب إليه عثمان يأمره أن يردهم إلى سعيد بن العاص بالكوفة، فردهم إليه، فلم يكونوا إلا أطلق ألسنة منهم حين رجعوا، وكتب سعيد إلى عثمان يضج منهم، فكتب عثمان إلى سعيد: أن سيرهم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وكان أميراً على حمص»[3].

«كتب عثمان إلى معاوية أن يغزو بلاد الروم. فوجه يزيد بن الحر العبسي، ثم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد على الصائفتين جميعاً ثم عزله. وولى سفيان بن عوف الغامدي فكان سفيان يخرج في البر. ويستخلف على البحر جنادة ابن أبي أمية فلم يزل كذلك حتى مات

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، 2760
(2) ابن كثير، البداية والنهاية، 2761
(3) أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، 77

سفيان. فولى معاوية عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، ثم ولى عبيد الله بن رباح وشتى في أرض الروم»[1].

«ومات عثمان ﷺ وعلى الشأم معاوية، وعامل معاوية على حمص عبد الرحمن بن خالد بن الوليد»[2].

بمجيء علي بن أبي طالب خليفة توتّر الوضع مع معاوية بن أبي سفيان، وهو ما تأوج بمعركة صفين، التي كان دور عبد الرحمن بن خالد بارزاً فيها للغاية، كما تخبرنا المراجع، إلى جانب معاوية. يُقال: «ثم غدوا على الحرب، وراية أهل الشام العظمى مع عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وكان يحمل بها فلا يلقاه شيء إلا هده، وكان من فرسان العرب»[3]. إذن، «كان على ميمنة معاوية عمرو بن العاص، وعلى ميسرته حبيب بن مسلمة الفهري، وعلى الخيل عبيد الله بن عمر بن الخطاب، وكان لواؤه مع عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي»[4].

«استعمل معاوية على الخيل عبد الله بن عمرو بن العاص، وعلى الرجالة مسلم بن عقبة، لعنه الله، وعلى الميمنة عبيد الله بن عمر بن الخطاب، وعلى الميسرة حبيب ابن مسلمة، دفع اللواء الأعظم[5] إلى عبد

(1) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، 41

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1009.

(3) أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، 73

(4) العصامي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، 494

(5) جعل معاوية لواءه الأعظم مع عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فأمر علي رضي الله عنه جارية بن قدامة السعدي أن يلقاه بأصحابه (ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 813)؛ وصبحنا علي عليه السلام غدوةً سائراً نحو معاوية ... ودفع اللواء إلى عبد الرحمن بن خالد ابن الوليد، (ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 297)؛ لواء معاوية مع عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي (خليفة بن خياط ، تاريخ

الرحمن بن خالد بن الوليد»[1].

«ثم إن معاوية عقد لرجال من مضر، منهم بسر بن أرطاة، وعبيد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد»[2].

في صفين، كان عبد الرحمن يقي معاوية الشمس بترس مذهب، حتى أن أحد أتباع علي، أبو شداد، أراد قتله كما تخبرنا الروايات: «قالوا: ما نريد غيرك. قال [ابو شداد]: فوالله لئن أعطيتمونيها لا أنتهي بكم دون صاحب الترس المذهّب قال: وعلى رأس معاوية رجل قائم معه ترس مذهب يستر به معاوية من الشمس! فقالوا له: اصنع ما شئت. فأخذ الراية ثم زحف، فجعل يطاعنهم حتى انتهى إلى صاحب الترس، وكان في خيل عظيمة، فاقتتل الناس هناك قتالاً شديداً، وكان على خيل معاوية عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فشد أبو شداد بسيفه نحو صاحب الترس فعارضه دونه رومي لمعاوية، فضرب قدم أبي شداد فقطعها، وضربه قيس فقتله، وأشرعت إليه الرماح، فقتل رحمة الله تعالى عليه»[3].

خليفة، 46)؛ توفي عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وكان شريفاً جواداً ممدوحاً مطاعاً،وعليه كان لواء معاوية يوم صفين. (اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، 56)؛ وكان لواؤه مع عبد الرحمن بن خالد بن خالد بن الوليد المخزومي (الذهبي، تاريخ الإسلام، 466).

(1) أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، 68؛ أنظر: واستعمل معاوية على الخيل عبيد الله بن عمر بن الخطاب، وعلى الرجالة مسلم بن عقبة المري، وعلى الميمنة عبد الله بن عمرو بن العاص، وعلى الميسرة حبيب بن مسلمة القهري، وأعطى اللواء عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، (ابن مزاحم، وقعة صفين، 61).

(2) ابن مزاحم، وقعة صفين، 124

(3) ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، 403؛ أنظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، 3262؛ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 2792

في صفين، «كان معاوية يخرج إليهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وأبا الأعور السلمي، وحبيب بن مسلمة الفهري، وابن ذي الكلاع الحميري، وعبيد الله بن عمر بن الخطاب، وشرحبيل بن السمط الكندي، وحمزة بن مالك الهمداني»[1].

«حدثنا عمر بن سعد قال: ولما تعاظمت الأمور على معاوية قبل قتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب دعا عمرو بن العاص، وبسر بن أرطاة وعبيد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فقال لهم: إنه قد غمني رجال من أصحاب علي، منهم سعيد بن قيس في همدان والأشتر في قومه، والمرقال وعدي بن حاتم وقيس بن سعد في الأنصار، وقد وقتكم يمانيتكم بأنفسها أياما كثيرة حتى لقد استحييت لكم، وأنتم عدتهم من قريش: وقد أردت أن يعلم الناس أنكم أهل غناء، وقد عبأت لكل رجل منهم رجلا منكم، فاجعلوا ذلك إلى. فقالوا: ذلك إليك. قال: فأنا أكفيكم سعيد بن قيس وقومه غدا، وأنت يا عمرو لأعور بني زهرة المرقال، وأنت يا بسر لقيس بن سعد، وأنت يا عبيد الله للأشتر النخعي، وأنت يا عبد الرحمن بن خالد لأعور طيء ـ يعني عدي بن حاتم ـ ثم ليرد كل رجل منكم عن حماة الخيل. فجعلها نوائب في خمسة أيام، لكل رجل منهم يوم».

ثم «أن أهل الشام لما انصرفوا عن صفين... وبايع أهل الشام معاوية بالخلافة لم يزدد معاوية إلا قوة... فدعا من كان معه من قريش؛ وهم عمرو بن العاص السهمي، وحبيب بن مسلمة الفهري وبسر بن أبي أرطأة

(1) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 2350؛ أنظر: ابن مزاحم، وقعة صفين، 57.

العامري، والضحاك بن قيس الفهري، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي»[1].

بعد انتهاء صفين واستشهاد علي بن أبي طالب، «وتسليم الحسن ﷺ الأمر إليه، [سئل] الوليد بن عقبة: أي بني عمك كان أفضل يوم صفين يا وليد، عند وقدان الحرب، واستشاطة لظاها حين قاتلت الرجال على الأحساب؟ قال:... عبد الرحمن بن خالد بن الوليد... فقال معاوية: نعم إنه كان يقاتل عن برة له وعليه»[2].

ويذكر ابن كثير أنه «ثم كتب معاوية بن أبي سفيان ـ وقد استوثق له أمر الشام بحذافيره ـ إلى أقصى بلاد الروم والسواحل، وجزيرة قبرص أيضاً تحت حكمه، وبعض بلاد الجزيرة كالرها وحران وقرقيسيا وغيرها، وقد ضوى إليها الذين هربوا يوم الجمل من العثمانية، وقد أراد الأشتر انتزاع هذه البلاد من يد نواب معاوية، فبعث إليه عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ففر منه الأشتر»[3].

لذلك، كان علي «يلعن في قنوته معاوية، وعمرو بن العاص، وأبا الأعور السلمي، وحبيب بن مسلمة، والضحاك بن قيس، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، والوليد بن عتبة.»[4] ويضيف مرجع يخر: «كان علي عليه السلام إذا صلى الغداة والمغرب وفرغ من الصلاة يقول: «اللهم العن معاوية،

---

(1) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 557؛ أنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1125؛ ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، 1727؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 744؛ البلاذري، أنساب الأشراف، 353

(2) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 812.

(3) ابن كثير، البداية والنهاية، 2819؛ أنظر: البلاذري، أنساب الأشراف، 369.

(4) ابن كثير، البداية والنهاية، 2842

وعمرا، وأبا موسى، وحبيب بن مسلمة، والضحاك بن قيس، والوليد بن عقبة، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد»، فبلغ ذلك معاوية فكان إذا قنت لعن علياً، وابن عباس، وقيس بن سعد، والحسن والحسين»[1].

«فلما قتل علي تداعى أهل الشام إلى بيعة معاوية، فقال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد: نحن المؤمنون ومعاوية أميرنا وهو أمير المؤمنين، فبايع له أهل الشام وهو بإيليا لخمس ليال خلون من شهر ربيع الأول سنة أربعين»[2].

ويقول أحد النصوص: «وأتى أهل الشام قتل علي فقام معاوية خطيباً فذكر علياً وقال: إن الله أتاح له من قتله بقطيعته وظلمه وقد ولي الكوفة بعده ابنه وهو حدث غر لا علم له بالحرب، وقد كتب الي وجوه من قبله يلتمسون الأمان فانتدب معه أهل الأجناد، فأقبل عمرو بن العاص في أهل فلسطين، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد في أهل الأردن، فكتب الحسن إلى معاوية يعلمه أن الناس قد بايعوه بعد أبيه ويدعوه إلى طاعته، فكتب إليه في جواب ذلك يعلمه أنه لو كان يعلم أنه أقوم بالأمر وأضبط للناس وأكيد للعدو وأحوط على المسلمين وأعلم بالسياسة، وأقوى على جمع المال منه لأجابه إلى ما سأل لأنه يراه لكل خير أهلاً»[3].

ثم نعرف أنه حين «دخلت سنة ثمان وأربعين: كان فيها مشتى أبي عبد الرحمن القيني أنطاكية، وصائفة عبد الله ابن قيس الفزاري وغزوة مالك بن هبيرة السكوني البحر، وغزوة عقبة بن عامر الجهني بأهل مصر البحر،

(1) ابن مزاحم، وقعة صفين، 167؛ أنظر: البلاذري، أنساب الأشراف، 338.
(2) البلاذري، أنساب الأشراف، 373؛ أنظر: ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة، 89.
(3) البلاذري، أنساب الأشراف، 383

وبأهل المدينة، وعلى أهل المدينة المنذر بن الزهير، وعلى جميعهم خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد»[1].

لكن هذا لم يمنع على الإطلاق أن يظلّ موقف عبد الرحمن غير آمن في عيني معاوية؛ «قال الزبير بن بكار في الموفقيات: حدثني علي بن عبد الله عن عوانة بن الحكم أن معاوية استعمل عبد الرحمن بن خالد بن الوليد على الصائفة[2] ثم قال له: ما تصنع بعهدي؟ قال: أتخذه إماماً لا أعصيه! وقال: اردد على عهدي علي بسفيان بن عوف. فكتب له ثم قال له: ما تصنع بعهدي؟ قال: أتخذه إماماً أمام الحرم فإن خالف خالفت؛ قال: سر على بركة الله! فسار فهلك بأرض الروم واستخلف عبد الله بن مسعود الفزاري»[3].

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1184

(2) وحدثني حفص بن عمر العمري عن الهيثم بن عدي وابن الكلبي عن عوانة عن أبيه والمدائني عن غياث بن إبراهيم أن معاوية ولى الصائفة- وقد جاشت الروم- عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وكتب له عهداً ثم قال له: ما أنت صانع بعهدي- قال: سأتخذه إماماً ومثالاً فلا أتجاوزه، فقال رد علي عهدي. فقال: أتعزلني ولم تخبرني- أما والله لو كنا ببطن مكة على السواء ما فعلت بي هذا، فقال معاوية: لو كنا ببطن مكة لكنت معاوية بن أبي سفيان بن حرب وكنت عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وكان منزلي بالأبطح وكان منزلك بأجياد أعلاه مدرة وأسفله عذرة. (البلاذري، أنساب الأشراف، 1359)؛ في الموفقيات أن عبد الرحمن قال لمعاوية اتعزلني بعد أن وليتني بغير حدث أحدثه؟ والله لو أنا بمكة على السواء لانتصفت منك! فقال معاوية: ولو كنا بمكة لكنت معاوية بن أبي سفيان بن حرب منزلي بالأبطح ينشق عنه الوادي وأنت عبد الرحمن بن خالد بن الوليد منزلك بأجياد أسفله عذرة وأعلاه مدرة.(ابن حجر العسقلاني، الإصابة في معرفة الصحابة، 844).

(3) ابن حجر العسقلاني، الإصابة في معرفة الصحابة، 670.

مقتل عبد الرحمن بن خالد:

كثيرة هي النصوص التي تتناول مقتل عبد الرحمن بن خالد، وانتقام ابن أخيه، خالد بن المهاجر، من قاتل عمه، ودور معاوية في هذه القصّة. نبدأ بالأغاني الذي يبدأ بدوره بالحديث عن خالد بن المهاجر: «فولد المهاجر بن خالد خالداً، وأمه مريم ابنة لحاء بن عوف بن خارجة بن سنان بن أبي حارثة؛ وكان خالد بن المهاجر بن خالد مع عبد الله بن الزبير، وكان اتهم معاوية بن أبي سفيان أن يكون دسّ إلى عمه عبد الرحمن بن خالد متطبباً يقال له: ابن أثال؛ فسقاه في دواء شربة فمات فيها؛ فاعترض لابن أثال فقتله، ثم لم يزل مخالفا لبني أمية وكان شاعراً.

[و]عن زيد بن رافع مولى المهاجر بن خالد بن الوليد، وعن أبي ذئب، عن أبي سهيل أو ابن سهيل: أن معاوية لما أراد أن يظهر العهد ليزيد، قال لأهل الشام: إن أمير المؤمنين قد كبرت سنه، ورق جلده، ودق عظمه، واقترب أجله، ويريد أن يستخلف عليكم[1]، فمن ترون؟ فقالوا[2]: عبد الرحمن بن خالد بن الوليد. فسكت وأضمرها، ودسّ ابن أثال الطبيب[3]

---

(1) وقيل إن معاوية خطب الناس حين كبر وأسن واستشارهم فيمن يستخلف وكان مراده أن يشيروا بيزيد فأشاروا بعبد الرحمن بن خالد وغزا عبدالرحمن الروم غير مرة (ابن العماد، شذرات الذهب، 26).

(2) وكان عبد الرحمن بن خالد يلي الصوائف فيبلى ويحسن أثره، فعظم شأنه بالشام، ومال الناس إليه فحسده معاوية وخافه، فدس إليه متطبباً يقال له: ابن أثال، وجعل له خراج حمص فسقاه شربة فمات، فاعترض خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد، ويقال خالد بن عبد الرحمن، ابن أثال وكان يعرف بالأركون، والأركون كالرئيس في الناحية، فقتله فرفع ذلك إلى معاوية فحبسه أياماً ثم أغرمه ديته ولم يقده. (البلاذري، أنساب الأشراف، 1359).

(3) ثم إن عبد الرحمن اشتكى فدعا معاوية ابن أثال وكان من عظماء الروم وكان متطبباً

إليه، فسقاه سماً فمات. وبلغ ابن أخيه خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد خبره وهو بمكة، وكان أسوأ الناس رأياً في عمه، لأن أباه المهاجر كان مع علي السلام بصفين، وكان عبد الرحمن بن خالد بن الوليد مع معاوية، وكان خالد بن المهاجر على رأي أبيه: هاشمي المذهب، ودخل مع بني هاشم الشعب، فاضطغن ذلك ابن الزبير عليه، فألقى عليه زق خمر، وصب بعضه على رأسه، وشنع عليه بأنه وجده ثملاً من الخمر، فضربه الحد. فلما قتل عمه عبد الرحمن مرّ به عروة بن الزبير، فقال له: يا خالد: أتدع ابن أثال ينقي أوصال عمك بالشأم وأنت بمكة مسبل إزارك، تجره وتخطر فيه متخايلاً؟ فحمي خالد، ودعا مولى له يدعى نافعاً، فأعلمه الخبر، وقال له: لا بد من قتل ابن أثال؛ وكان نافع جلداً شهماً. فخرجا حتى قدما دمشق، وكان ابن أثال يمسي عند معاوية، فجلس له في مسجد دمشق إلى أسطوانة، وجلس غلامه إلى أخرى، حتى خرج. فقال خالد لنافع: إياك أن تعرض له أنت، فإني أضربه، ولكن إحفظ ظهري، واكفني من ورائي، فإن رابك شيء يريدني من ورائي فشأنك. فلما حاذاه وثب عليه فقتله، وثار إليه من كان معه. فصاح بهم نافع فانفرجوا، ومضى خالد ونافع، وتبعهما من كان معه، فلما غشوهما حملا عليهم، فتفرقوا، حتى دخل خالد ونافع زقاقاً ضيقاً، ففاتا القوم. وبلغ معاوية الخبر، فقال: هذا خالد بن المهاجر، اقبلوا الزقاق الذي دخل فيه. ففتش عليه، فأتي به. فقال: لا جزاك الله من زائر خيراً، قتلت طبيبي. قال: قتلت المأمور وبقي الآمر. فقال له: عليك لعنة

يختلف إلى معاوية فقال: ائت عبد الرحمن فاحتل له، فأتى عبد الرحمن فسقاه شربة فانخرق عبد الرحمن ومات، فقال حين بلغه موته: لا جد إلا من أقعص عنك من تكره. (ابن حبيب، المنمق في أخبار قريش، 103).

الله لو كان تشهد مرة واحد لقتلتك به، أمعك نافع؟ قال: لا. قال: بلى والله ما اجترأت إلا به. ثم أمر بطلبه فوجد، فأتي به، فضربه مئة سوط. ولم يهج خالداً بشيء أكثر من أن حبسه[1]، وألزم بني مخزوم دية ابن أثال، اثني عشر ألف درهم. أدخل بيت المال منها ستة آلاف درهم، وأخذ ستة آلاف درهم، ولم يزل ذلك يجري في دية المعاهد، حتى ولي عمر بن عبد العزيز، فأبطل الذي يأخذه السلطان لنفسه، وأثبت الذي يدخل بيت المال»[2].

ثمة نص مختصر يجدر إيراده: «وكان عبد الرحمن بن الوليد عاملا على حمص، فطالت إمرته، فخافه معاوية أنما يبايع له أهل الشام بالخلافة، لما كان عندهم من آثار أبيه، خالد بن الوليد، ولقائه عن المسلمين في أرض

---

(1) وقد انقرض ولد خالد بن الوليد فلم يبق منهم أحد وورثهم أيوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن المغيرة دارهم بالمدينة وذكر الواقدي أن معاوية ضرب خالداً وأغرمه وحبس حتى مات معاوية وقيل أن الذي قتل ابن أثال خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وذكره بن حبان في الثقات له في مسلم حديث واحد في المتعة.(ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، 368)؛ فضربه معاوية أسواطاً وحبسه وأغرمه ديتين ألفي دينار. فألقى ألفاً في بيت المال وأعطى ورثة ابن أثال ألفاً. ولم يزل ذلك يجري في دية المعاهد حتى ولي عمر بن عبد العزيز فأبطل الذي يأخذه السلطان لنفسه، وبقي الذي يدخل بيت المال. ولم يخرج خالد من الحبس حتى مات معاوية. وكان شاعراً، ولذلك يقول ما انصرف من دمشق إلى المدينة، وقد قتل اليهودي الطبيب ابن أثال لأنه كان قد سقى عمه عبد الرحمن وسيأتي ذكره سماً فقتله... وقال الزبير بن بكار: وقد انقرض ولد خالد بن الوليد ولم يبق منهم أحد. وكان وفاة خالد هذا في حدود المائة، وروى له مسلم.(الصفدي، الوافي بالوفيات، 1850)؛ ثم إن عبد الرحمن مرض فأمر معاوية طبيباً عنده يهودياً أن يأتيه فيسقيه سقية يقتله بها، فسقاه فانحرق بطنه. ودخل أخوه المهاجر دمشق مستخفياً هو وغلام له فرصدا ذلك اليهودي، فخرج ليلاً من عند معاوية فقتله المهاجر.(الصفدي، الوافي بالوفيات، 2569)؛ أنظر: (المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، 774).

(2) أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، 1812.

الروم، فدس إليه ابن أوثال من سقاه سما فمات. فجلس المهاجر بن خالد بن الوليد مع عروة بن الزبير بالمدينة، فقال عروة للمهاجر: هذا ابن أوثال يفخر بقتل عبد الرحمن. فخرج المهاجر من فوره حتى أتى دمشق، فسأل عن ابن أوثال، فأخبر إنه من كتاب معاوية، فوقف ناحية حتى خرج من ديوانه، فلما رآه المهاجر قال له: إن لي إليك حاجة، فاعدل معي، فعدل معه إلى زقاق يعرف بزقاق عطاف بدمشق، وكان معه سيف، فعلاه به فقتله. فأخذه معاوية فحبسه سنة، ثم خلا»[1].

من هو ابن آثال؟ يقول أحد المراجع: «كان طبيباً متقدماً من الأطباء المتميزين في دمشق، نصراني المذهب، ولما ملك معاوية بن أبي سفيان دمشق اصطفاه لنفسه وأحسن إليه، وكان كثير الافتقاد له والاعتقاد فيه، والمحادثة معه ليلاً ونهاراً، وكان ابن أثال خبيراً بالأدوية المفردة والمركبة وقواها[2]، وما منها سموم قواتل، وكان معاوية يقربه لذلك كثيراً، ومات في أيام معاوية جماعة كثيرة من أكابر الناس والأمراء من المسلمين بالسم»[3].

يقدّم ابن كثير رواية أخرى لا تخلو من بعض الفوارق: «سنة ست وأربعين: فيها شتى المسلمون ببلاد الروم مع أميرهم عبد الرحمن ابن خالد بن الوليد. وقيل: كان أميرهم غيره والله أعلم. عبد الرحمن بن خالد بن الوليد القرشي المخزومي، وكان من الشجعان المعروفين، والأبطال المشهورين كأبيه، وكان قد عظم ببلاد الشام لذلك حتى خاف منه معاوية،

---

(1) الجهشياري، كتاب الوزراء والكتاب، 7

(2) واشتكى عبد الرحمن، فأمر ابن أثال - طبيباً كان له من عظماء الروم - فسقاه شربةً فمات.(أبو هلال العسكري، جمهرةَ الأمثال، 214).

(3) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، 99.

ومات وهو مسموم رحمه الله وأكرم مثواه. وكان كعب بن جعيل مداحاً له ولأخويه مهاجر وعبد الله. وقال الزبير بن بكار: كان عظيم القدر في أهل الشام، شهد صفين مع معاوية. وقال ابن سميع: كان يلي الصوائف زمن معاوية، وقد حفظ عن معاوية. وقد ذكر ابن جرير وغيره: أن رجلاً يقال له: ابن أثال ـ وكان رئيس الذمة بأرض حمص ـ سقاه شربة فيها سم فمات. وزعم بعضهم أن ذلك عن أمر معاوية له في ذلك ولا يصح[1]. وقد ذكروا أن خالد بن عبد الرحمن بن خالد قدم المدينة، فقال له عروة بن الزبير: ما فعل ابن أثال؟ فسكت ثم رجع إلى حمص فثار على ابن أثال فقتله. فقال: قد كفيتك إياه، ولكن ما فعل ابن جرموز[2]؟ فسكت عروة ومحمد بن مسلمة»[3].

يضيف ابن أبي الحديد بضع تفاصيل: «عبد الرحمن بن خالد بن

---

(1) ثم إن عبد الرحمن مرض فدخل عليه ابن أثال النصراني فسقاه سماً، فمات. فقيل: إن معاوية أمره بذلك. وذلك سنة سبع وأربعين. قال محمد بن سعد: لا بقية لعبد الرحمن بن خالد. ثم إن المهاجر بن خالد دخل دمشق مستخفياً، هو وغلام له، فرصد الطبيب فخرج ليلاً من عند معاوية، فأقصده المهاجر... وقال الزبير بن بكار: كان خالد بن المهاجر بن خالد اتهم معاوية أنه دس إلى عمه عبد الرحمن متطبباً، يقال له: ابن أثال، فسقاه في دواء فمات، فاعترض لابن أثال فقتله. (ابن الأثير المؤرخ، أسد الغابة، 693)؛ وفيها أعني سنة خمس وأربعين، توفي عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وكان أهل الشام قد مالوا إليه جداً، فدس إليه معاوية سماً مع نصراني يقال له أثال، فاغتاله به. (أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، 129)؛ اتهم [خالد] معاوية بأن يكون سقى عمه عبد الرحمن بن خالد سماً، فنابذ بني أمية، وكان عم ابن الزبير... اتهم معاوية أن يكون دس إلى عمه عبد الرحمن بن خالد طبيباً يقال له ابن أثال، فسقاه في شربة سماً، فاعترض ابن أثال فقتله. (الذهبي، تاريخ الإسلام، 746).

(2) أنظر: ابن الأثير المؤرخ، أسد الغابة، 1050

(3) ابن كثير، البداية والنهاية، 2919

الوليد، وكان عظيم القدر في أهل الشام، وخاف معاوية منه أن يثب على الخلافة بعده، فسمه، أمر طبيباً له يدعى ابن أثال فسقاه فقتله»[1].

يقدّم النويري رواية هامة تختلف عن سابقاتها في أن ابن آثال يهودي[2] هنا، وفي ما قدّم معاوية للطبيب من مغريات لقتل عبد الرحمن؛ إضافة إلى أسباب التفاف الناس على ابن خالد: «سنة ست وأربعين: وفي هذه السنة مات عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وكان قد عظم أمره عند أهل الشام ومالوا إليه لغنائه بالروم ولآثار أبيه[3]، فخافه معاوية، فأمر ابن أثال النصراني أن يحتال في قتله، ضمن له أن ويضع عنه خراجه[4] مال عاش، ويوليه خراج حمص[5]. فلما قدم عبد الرحمن من الروم دس إليه ابن

(1) شرح نهج البلاغة، 1954.

(2) ثم إن عبد الرحمن مرض فأمر معاوية طبيباً عنده يهودياً وكان عنده مكيناً أن يأتيه فيسقيه سقية يقتله بها فأتاه فسقاه فانحرق بطنه فمات ثم دخل أخوه المهاجر بن خالد دمشق مستخفياً هو وغلام له فرصدا ذلك اليهودي فخرج ليلاً من عند معاوية فهجم عليه. (ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، 250).

(3) وفيها توفي عبد الرحمن بن خالد بن الوليد لما رجع من بلاد الروم إلى حمص؛ وكان قد شتى بالروم وفتح حصوناً كثيرة، فسقاه ابن أثال النصراني شربة مسمومة فمات منها. (ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، 53).

(4) واستعمل معاوية ابن أثال النصراني على خراج حمص، ولم يستعمل النصارى أحد من الخلفاء قبله فاعترضه خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بالسيف، فقتله، فحبسه معاوية أياماً، ثم أغرمه ديته، ولم يقده منه.
(اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 198).

(5) واستعمل معاوية عبد الرحمن بن خالد بن الوليد على غزو الروم، ولشدة بأسه خافه معاوية، وخشي منه، وأمر ابن أثال النصراني أن يحتال في قتله. وضمن له أن يضع عنه خراجه ما عاش، وأن يوليه خراج حمص. فلما قدم عبد الرحمن من الروم دس إليه ابن أثال شربة مسمومة مع بعض مماليكه فشربها، فمات بحمص سنة ست وأربعين (ابن العديم، زبدة الحلب في تاريخ حلب، 6). أنظر: ابن الأثير المؤرخ، أسد الغابة، 692.

أثال شربة مسمومة مع بعض مماليكه، فشربها، فمات بحمص، فوفى له معاوية. ثم قدم خالد بن عبد الرحمن[1] المدينة، فجلس يوماً إلى عروة بن الزبير فقال له عروة: ما فعل ابن أثال؛ فقام من عنده وسار إلى حمص فقتل ابن أثال، فحمل إلى معاوية فحبسه أياماً وغرمه ديته، ورجع إلى المدينة فأتى عروة فقال له ما فعل ابن أثال؟ فقال: قد كفيتكه ولكن ما فعل ابن جرموز؟ يعني قاتل الزبير فسكت عروة.

وقد روى في خبر عبد الرحمن بن خالد أن معاوية لما أراد البيعة ليزيد خطب أهل الشام وقال: «يا أهل الشام، إني قد كبرت سني وقرب أجلي، وقد أردت أن أعقد لرجل يكون نظاماً لكم، وإنما أنا رجل منكم، فارتؤا رأيكم». فأصفقوا واجتمعوا. وقالوا: رضينا عبد الرحمن بن خالد. فشق ذلك على معاوية وأسرها في نفسه، ثم مرض عبد الرحمن فأمر معاوية طبيباً عنده مكيناً أن يأتيه فيسقيه سقية يقتله بها، فأتاه فسقاه فانخرق بطنه فمات. ثم دخل أخوه المهاجر بن خالد دمشق مستخفياً، هو وغلام له، فرصدا ذلك اليهودي، فخرج ليلاً من عند معاوية، ومعه قوم، فهجم عليه المهاجر فهربوا عنه فقتله المهاجر. وقد قيل إن الذي قتل ابن أثال أو اليهودي خالد بن المهاجر بن خالد، وأن عروة بن الزبير، كان يعيره بترك الطلب بثأر عمه، فخرج خالد ونافع ملاه من المدينة حتى أتيا دمشق، فرصد الطبيب ليلاً عند مسجد دمشق، وكان يسهر عند معاوية، فلما انتهى

(1) خالد بن المهاجر ... قدم دمشق بعد وفاة عمه عبد الرحمن بن خالد، فقتل ابن أثال الطبيب، لأنه كان متهماً بقتل عمه، ثم لحق بالحجاز فسكنه.

كان خالد بن المهاجر مع عبد الله بن الزبير، وكان اتهم معاوية بن أبي سفيان أن يكون دس إلى عمه عبد الرحمن بن خالد متطبباً يقال له: ابن أثال، فسقاه في دواء شربة؛ فمات فيها، فاعترض لابن أثال فقتله، ثم لم يزل مخالفاً لبني أمية. (ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 1031).

إليهما ومعه قوم من حشم معاوية حملا عليه، فانفرجوا، وضرب خالد بن المهاجر اليهودي فقتله، ثم انصرف إلى المدينة»[1].

ثمة نص آخر يقدّم تفاصيل إضافية: «[خالد] «بن المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. وكان المهاجر والد خالد مع علي عليه السلام بصفين، وكان خالد على رأي أبيه هاشمي المذهب، ودخل مع بني هاشم الشعب، فاضطغن ذلك ابن الزبير عليه، فألقى عليه زق خمر وصب بعضه على رأسه، وشنع عليه بأنه وجده ثملاً من الخمر فضربه الحد. وكان عمه عبد الرحمن بن خالد بن الوليد مع معاوية في صفين، ولهذا كان بن المهاجر أسوأ الناس رأياً في عمه. ثم إن معاوية لما أراد أن يظهر العهد ليزيد قال لأهل الشام: إني قد كبرت سني، ورق جلدي ودق عظمي، واقترب أجلي؛ وأريد أن أستخلف عليكم، فمن ترون؟ فقالوا: عبد الرحمن بن خالد. فسكت وأضمرها، ودس إلى ابن أثال الطبيب، فسقاه سماً فمات، وبلغ ابن أخيه خالد ابن المهاجر خبره، وهو بمكة، فقال له عروة ابن الزبير: أتدع ابن أثال يفني أوصال عمك بالشام وأنت بمكة مسبلٌ إزارك. تجره وتخطر فيه متخايلاً؟! فحمي خالد، ودعا مولى له يدعى نافعاً، فأعلمه الخبر وقال له: لابد من قتل ابن أثال فخرجا حتى قدما دمشق، وكان ابن أثال يمسي عند معاوية، فجلس له في مسجد دمشق إلى أسطوانة، وجلس غلامه إلى أخرى فلما حاذاه وثب إليه خالد فقتله، وثار إليه من كان معه، فحملا عليهم فتفرقوا حتى دخل خالد ونافع زقاقاً ضيقاً ففاتا القوم. وبلغ معاوية الخبر فقال: هذا خالد بن المهاجر! اقلبوا الزقاق الذي دخل فيه فأتي به. فقال له معاوية: لا جزاك الله من زائرٍ خيراً! قتلت طبيبي! فقال خالد: قتلت المأمور، وبقي الآمر فقال: عليك لعنة الله!

(1) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 2409

والله لو كان تشهد مرة واحدة لقتلتك به! أمعك نافع؟ قال: لا. قال: بلى، والله ما اجترأت إلا به. ثم أمر بطلبه فأتى به فضربه مائة سوط، وحبس خالداً، وألزم بني مخزوم دية ابن أثال اثني عشر ألف درهم. ولما بلغت معاوية هذه الأبيات رق له وأطلقه. فرجع إلى مكة؛ ولما لقي عروة ابن الزبير قال: أما ابن أثال فقد قتلته، وذاك ابن جرموز ينعي أوصال الزبير بالبصرة فاقتله إن كنت ثائراً!»[1].

ثمة مثل شهير استخدمه معاوية بعد قتله عبد الرحمن؛ المثل هو «لا جد الا ما اقعص عنك من تكره: خاف معاوية ميل الناس إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بالشام فاشتكى فسقاه الطبيب شربة حرقته فقال ذلك، والإقعاص قتل الرجل مكانه، يضرب في الجد يعطاه الإنسان»[2].

«ثم فرض ولده يزيد على الناس فرضاً، وحملهم على بيعته قسراً، وأوعز إلى رجل من الأزد، اسمه يزيد بن المقفع، فقام خطيباً وقال: أمير المؤمنين هذا وأشار إلى معاوية، فإذا مات فهذا وأشار إلى يزيد، ومن أبى فهذا وأشار إلى السيف، فقال له معاوية: أقعد، فأنت سيد الخطباء العقد الفريد 4 ـ 370 ومروج الذهب 2 ـ 21. إقرأ بعض أخبار معاوية في تاريخ اليعقوبي 2 ـ 217 وفي الامتاع والمؤانسة 2 ـ 75 و3 ـ 178 وفي محاضرات الأدباء 1 ـ 353 وفي كتاب التاج للجاحظ 205 وفي المحاسن والمساوئ 2 ـ 148 وفي البيان والتبيين للجاحظ 2 ـ 87 و110 و4 ـ 133 وفي الأغاني 4

(1) عبد القادر البغدادي، خزانة الأدب، 237؛ راجع أيضاً: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، 100؛ أبو عبيد القاسم بن سلّام، الأمثال، 36؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 2919؛ ابن الكلبي، جمهرة أنساب العرب، 18؛ أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، 214؛ البلاذري، أنساب الأشراف، 615؛ الميداني، مجمع الأمثال، 291.

(2) الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب، 131

ـ 189 و6 ـ 266 و15 ـ 168، 197 و198 و17 ـ 144 وفي وفيات الأعيان 2 ـ 169 وفي الفخري 106 ـ 110 وفي البصائر والذخائر م2 ق2 ص671 و702 وفي نفح الطيب 2 ـ 542 وفي خزانة الأدب للبغدادي 2 ـ 518 و519»[1].

«وفي هذه السنة عمل معاوية المقصورة في المسجد وأخرج المنابر إلى المصلى في العيدين، وخطب الخطبة قبل الصلاة، وذلك أن الناس، إذا صلوا، انصرفوا لئلا يسمعوا لعن علي، فقدم معاوية الخطبة قبل الصلاة، ووهب فدكا لمروان بن الحكم ليغيظ بذلك آل رسول الله»[2].

(1) القاضي التنوخي، الفرج بعد الشدة، 215

(2) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 198؛ أنظر أيضاً: الذهبي، تاريخ الإسلام، 495؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، 9؛ مصعب الزبيري، نسب قريش، 108؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 270؛ .الذهبي، سير أعلام النبلاء، 466؛ أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، 129؛ عبد السلام هارون، نوادر المخطوطات، 122.

الفصل الثامن:

الأشتر النخعي!

«مالك بن الحارث أعني الأشتر النخعي كان من الشجعان الأبطال المشهورين، وكان من أصحاب علي وكان معه في يوم وقعة الجمل»[1].

«وكان الأشتر من الأبطال الكبار. وكان سيد قومه وخطيبهم وفارسهم»[2].

كان علي بن أبي طالب قد ولّى مصر محمد بن أبي بكر، لكن «فسدت مصر على محمد بن أبي بكر، وبلغ علياً فساد أمره وانتشاره. وكان علي قد ولى قيس بن سعد ـ بعد أمر النهروان ـ أذربيجان وولّى الأشتر الجزيرة، فكان مقامه بنصيبين، فقال: ما لمصر إلا أحد هذين الرجلين، فكتب إلى مالك الأشتر: إنك ممن أستظهر به على إقامة الدين، وأقمع ببأسه ونجدته نخوة الأثيم، وأسد به وبحزم رأيه الثغر المخوف. وأخبره بأمر ابن أبي بكر، وشرحه له، وأمره أن يستخلف على عمله بعض ثقاته ويقدم عليه، ففعل فولّاه مصر. وأتت معاوية عيونه بشخوص الأشتر والياً على مصر، فبعث إلى رأس أهل الخراج[3] بالقلزم فقال له: إن الأشتر قادم عليك؛ فإن

(1) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، 42.
(2) الذهبي، العبر في خبر من غبر، 8.
(3) وقال معاوية أيضاً حين بلغه أن الأشتر سقي شربة عسل فيها سم فمات إن لله جنوداً منها العسل. ونقلت من تاريخ أبي عبد الله محمد بن عمر الواقدي قال لما كان في سنة ثمان

أنت لطفت لكفايتي إياه لم آخذ منك خراجاً ما بقيت، فاحتل له بما قدرت عليه. فخرج الأشتر حتى إذا أتى القلزم ـ وكان شخوصه من العراق في البحر ـ استقبله الرجل فأنزله وأكرمه وأتاه بطعام، فلما أكل قال له: أي الشراب أحب إليك أيها الأمير؟ قال: العسل. فأتاه بشربة منه قد جعل فيها سماً، فلما شربها قتلته من يومه أو من غده. وبلغت معاوية وفاته فقال: كانت لعلي يدان ـ يعني قيس بن سعد والأشتر ـ فقد قطعنا إحداهما، وجعل يقول: إن لله لجنداً من عسل... عن صالح بن كيسان قال: وجه علي الأشتر إلى مصر والياً عليها حين وهن أمر ابن أبي بكر، فلما صار بعين شمس شرب شربة من عسل ـ يقال: انه سم فيها ـ ؛ فمات، فكان عمرو ابن العاص يقول: إن لله لجنداً من عسل. قالوا: ولما ورد على علي خبر الأشتر، كتب إلى محمد بن أبي بكر وقد كان وجد من تولية الأشتر مكانه: أما بعد فإني لم أول الأشتر عملك استبطاءً لك في الجهد، ولا استقصاراً لأمرك في الجد، ولو نزعت ما تحت يدك من سلطانك لوليتك ما هو أيسر عليك مؤونة، وأحب إليك ولاية منه، وإن الرجل الذي وليته أمر مصر؛ كان لنا نصيحاً، وعلى عدوك وعدونا شديداً، فقد استكمل أيامه ولاقى حمامه ونحن راضون عنه»[1].

وثلاثين بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه الأشتر والياً على مصر، بعد قتل محمد بن أبي بكر، وبلغ معاوية مسيره فدس إلى دهقان بالعريش، فقال إن قتلت الأشتر فلك خراجك عشرين سنة، فلطف له الدهقان فسأل أي الشراب أحب إليه؟ فقيل العسل، فقال عندي عسل من عسل برقة، فسمه وأتاه به فشربه فمات. (ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، 100؛ راجع أيضاً: الميداني، مجمع الأمثال، 3؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 253؛ الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب، 79؛ البري، الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، 243؛ أبو عبيد القاسم بن سلام، الأمثال، 36).

(1) البلاذري، أنساب الأشراف، 352.

ويُقال إنّ «عهد علي ﷺ إلى الأشتر، نسيج وحده، ومنه تعلم الناس الآداب والقضايا والأحكام والسياسة؛ وهذا العهد صار إلى معاوية لما سم الأشتر ومات قبل وصوله إلى مصر؛ فكان ينظر فيه ويعجب منه، وحقيق من مثله أن يقتنى في خزائن الملوك. قال إبراهيم: فلما بلغ علياً ﷺ أن ذلك الكتاب صار إلى معاوية، اشتد عليه حزناً. فقلنا: ما بالك يا أمير المؤمنين؛ فقال: إني استعملت محمد بن أبي بكر على مصر؛ فكتب إلي أنه لا علم لي بالسنة، فكتبت إليه كتاباً فيه أدب وسنة، فقتل وأخذ الكتاب... فلم يلبث محمد بن أبي بكر شهراً كاملاً حتى بعث إلى أولئك المعتزلين الذين كان قيس بن سعد موادعاً لهم، فقال: يا هؤلاء، إما أن تدخلوا في طاعتنا، وإما أن تخرجوا من بلادنا. فبعثوا إليه: إنا لا نفعل، فدعنا حتى ننظر إلى ما يصير إليه أمر الناس، فلا تعجل علينا. فأبى عليهم، فامتنعوا منه وأخذوا حذرهم.... وفسدت مصر على محمد بن أبي بكر؛ فبلغ علياً توثبهم عليه، فقال ما أرى لمصر إلا أحد الرجلين: صاحبنا الذي عزلنا بالأمس ـ يعني قيس بن سعد بن عبادة ـ أو مالك بن الحارث الأشتر. وكان علي حين رجع عن صفين، رد الأشتر إلى عمله بالجزيرة، وقال لقيس بن سعد: أقم أنت معي على شرطتي حتى نفرغ من أمر هذه الحكومة، ثم أخرج إلى أذربيجان، فكان قيس مقيماً على شرطته، فلما أن انقضى أمر الحكومة كتب علي إلى الأشتر، وهو يومئذ بنصيبين: أما بعد، فإنك ممن استظهر به على إقامة الدين، وأقمع به نخوة الأثيم، وأسد به الثغر المخوف. وقد كنت وليت محمد بن أبي بكر ممر، فخرجت عليه خوارج، وهو غلام حدث السن، ليس بذي تجربة للحروب، فأقدم علي لننظر فيما ينبغي، واستخلف على عملك أهل الثقة والنصيحة من

أصحابك. والسلام. فأقبل الأشتر إلى علي، واستخلف على عمله شبيب بن عامر الأزدي - وهو جد الكرماني الذي كان بخراسان صاحب نصر بن سيار - فلما دخل الأشتر على علي حدثه حديث مصر وخبره خبر أهلها، وقال له: ليس لها غيرك، فاخرج إليها رحمك الله، فإني لا أوصيك اكتفاء برأيك؛ واستعن بالله على ما أهمك، واخلط الشدة باللين والرفق ما كان الرفق أبلغ، واعتزم على الشدة حين لا يغني عنك إلا الشدة. فخرج الأشتر من عنده، فأتى برحله وأتت معاوية عيونه فأخبروه بولاية الأشتر مصر، فعظم ذلك عليه، وقد كان طمع في مصر، فعلم أن الأشتر إن قدم عليها كان أشد عليه من محمد بن أبي بكر، فبعث إلى رجل من أهل الخراج يثق به، وقال له إن الأشتر قد ولي مصر، فإن كفيتنيه لم آخذ منك خراجاً ما بقيت وبقيت؛ فاحتل في هلاكه ما قدرت عليه. فخرج الأشتر حتى انتهى إلى القلزم حيث تركب السفن من مصر إلى الحجاز، فأقام به، فقال له ذلك الرجل، وكان ذلك المكان مكانه: أيها الأمير؛ هذا منزل فيه طعام وعلف، وأنا رجل من أهل الخراج، فأقم واسترح، وأتاه بالطعام حتى إذا طعم سقاه شربة عسل؛ قد جعل فيها سما، فلما شربها مات»[1]..

كانت المصاعب قد انفجرت في وجه علي بن أبي طالب في خربتا بمصر، و«بلغ ذلك علياً فاتهم قيساً [بن سعد بن عبادة] وكتب إليه يأمره بقتال أهل خِرِبْتَا، وأهل خربتا يومئذ عشرة آلاف، فأبى وكتب إلى علي: إنهم وجوه أهل مصر، وقد رضوا مني أن أؤمن سربهم، وأجري عليهم أعطياتهم، وقد علمت أن هواهم مع معاوية، فأبى علي ﷺ إلا قتالهم، وأبى قيس أن يقاتلهم، وكتب إلى علي: إن كنت تتهمني فاعزلني عن

(1) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 555.

عملك، وابعث عليه غيري، فبعث الأشتر إلى مصر أميراً عليها حتى إذا صار بالقلزم سقي شربة عسل فيها سم كان فيها حتفه. فلما بلغ علياً: وفاة الأشتر بالقلزم بعث محمد بن أبي بكر أميراً على مصر. هذا قول الزهري. وقال هشام بن محمد: إنما بعث الأشتر بعد هلاك محمد بن أبي بكر، ولما جاء علياً مقتل محمد بن أبي بكر علم أن قيساً كان ينصحه فأطاعه في كل شيء. قال علماء السير: وكان عليّ ﷺ قد كتب عهد محمد بن أبي بكر لغرة رمضان، فلم يلبث محمد شهراً كاملاً حتى بعث إلى أولئك الذين كان قيس وادعهم، وقال: يا هؤلاء، إما أن تدخلوا في طاعتنا، وإما أن تخرجوا من بلادنا، فبعثوا إليه: دعنا حتى ننظر، فأبى وبعث إليهم رجلاً فقتلوه، ثم بعث آخر فقتلوه»[1].

«وقد كان أمير المؤمنين كتب على يد الأشتر كتاباً إلى أهل مصر؛ روى ذلك الشعبي عن صعصعة بن صوحان: من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى من بمصر من المسلمين: سلام الله عليكم، فإني أحمد الله إليكم، الذي لا إله إلا هو؛ أما بعد فإني قد بعثت إليكم عبداً من عباد الله، لا ينام أيام الخوف، ولا ينكل عن الأعداء حذار الدوائر. لا نأكل من قدم، ولا واه في عزم، من أشد عباد الله بأساً، وأكرمهم حسباً، أضر على الفجار من حريق النار، وأبعد الناس من دنس أو عار، وهو مالك بن الحارث الأشتر، حسام صارم، لا نابي الضريبة، ولا كليل الحد، حليم في السلم، رزين في الحرب، ذو رأي أصيل، وصبر جميل. فاسمعوا له وأطيعوا أمره، فإن أمركم بالنفر فانفروا، وإن أمركم أن تقيموا فأقيموا، فإنه لا يقدم ولا يحجم إلا بأمري. وقد آثرتكم به على نفسي؛ نصيحة لكم، وشدة شكيمة

(1) ابن الجوزي، المنتظم، 602.

على عدوكم. عصمكم الله بالهدى، وثبتكم بالتقوى، ووفقنا وإياكم لما يحب ويرضى. والسلام عليكم ورحمة الله. قال إبراهيم: وروى جابر عن الشعبي قال: هلك الأشتر حين أتى عقبة أفيق. عن عاصم بن كليب، عن أبيه، أن علياً لما بعث الأشتر إلى مصر والياً عليها، وبلغ معاوية خبره، بعث رسولاً يتبع الأشتر إلى مصر، وأمره باغتياله؛ فحمل معه مزودين فيهما شراب، وصحب الأشتر، فاستسقى الأشتر يوماً فسقاه من أحدهما، ثم استسقى يوماً آخر منه فسقاه من الآخر وفيه سم فشربه، فمالت عنقه. عن مغيرة الضبي؛ أن معاوية دس للأشتر مولى[1] لآل عمر، فلم يزل المولى يذكر للأشتر فضل علي وبني هاشم؛ حتى اطمأن إليه، واستأنس به، فقدم الأشتر يوماً ثقله أو تقدم ثقله، فاستسقى ماء، فقال له مولى آل عمر: وهل لك في شربة سويق؛ فسقاه شربة سويق فيها سم فمات. وقد كان معاوية قال لأهل الشام لما دس إليه مولى آل عمر: ادعوا على الأشتر، فدعوا عليه؛ فلما بلغه موته قال: ألا ترون كيف استجيب لكم!. قال إبراهيم: قد روي من بعض الوجوه أن الأشتر قتل بمصر بعد قتال شديد.

---

(1) يقول نص آخر: «ثم كتب للأشتر عهدا بولاية مصر، فلما بلغ ذلك معاوية وعمراً أيسا من مصر لما يعلمان من شجاعته فاعمل معاوية الحيلة، فكتب إلى دهقان العريش واسمه الجايسار، وبذل له على سم الأشتر المسامحة في خراجه عشرين سنة وجايزة كذا، فلما بلغ الأشتر العريش وهو أول بلاد مصر من جهة الحجاز جاء إلى الدهقان فأهدى إليه، ثم قال: أي الشراب أحب إلى الأمير؟ قالوا: العسل فخاضه له بالماء، وكان الأشتر صائماً فلما أفطر شربه فمات رحمه الله تعالى، فبلغ موته علياً فحزن عليه وقال: رحم الله مالكاً فلقد كان لي كما كنت لرسول الله ﷺ. وبلغ معاوية فصعد المنبر وشمت بموته وقال: إن لله جنوداً من عسل، وخطب أهل الشام بدمشق فقال في خطبته: كان لعلي يدان قطعت إحداهما بصفين والأخرى بمصر، وهما عمار بن ياسر والأشتر رضي الله عنهما. وأما ابن أبي الحديد فروى الإختلاف في سمه أو موته حتف أنفه وصحح الأول وهو الحق».(مؤلف مجهول، كتاب مجهول، 4).

والصحيح أنه سقي سما فمات قبل أن يبلغ مصر. عن علي بن محمد بن أبي سيف المدائني، أن معاوية أقبل يقول لأهل الشام: أيها الناس، إن علياً قد وجه الأشتر إلى مصر، فادعوا الله أن يكفيكموه، فكانوا يدعون طيه في دبر كل صلاة، وأقبل الذي سقاه السم إلى معاوية، فأخبره بهلاك الأشتر، فقام معاوية في الناس خطيباً، فقال: أما بعد، فإنه كان لعلي بن أبي طالب يدان يمينان، فقطعت إحداهما يوم صفين وهو عمار بن ياسر، وقد قطعت الأخرى اليوم؛ وهو مالك الأشتر. قال إبراهيم: فلما بلغ علياً موت الأشتر، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون! والحمد لله رب العالمين! اللهم إني أحتسبه عندك، فإن موته من مصائب الدهر. ثم قال: رحم الله مالكاً؛ فلقد وفى بعهده، وقضى نحبه، ولقي ربه، مع أنا قد وطنا أنفسنا أن نصبر على كل مصيبة بعد مصابنا برسول الله ﷺ فإنها من أعظم المصيبات. وعن مغيرة الضبي، قال: لم يزل أمر علي شديداً حتى مات الأشتر، وكان الأشتر بالكوفة أسود من الأحنف بالبصرة. وعن جماعة من أشياخ النخع، قالوا: دخلنا على أمير المؤمنين حين بلغه موت الأشتر، فوجدناه يتلهف ويتأسف عليه، ثم قال: لله در مالك! وما مالك! لو كان من جبل لكان فنداً، ولو كان من حجر لكان صلداً، أما والله ليهدن موتك عالماً، وليفرحن عالماً، على مثل مالك فلتبك البواكي! وهل مرجو كمالك! وهل موجود كمالك!. قال علقمة بن قيس النخعي: فما زال علي يتلهف ويتأسف؛ حتى ظننا أنه المصاب به دوننا، وعرف ذلك في وجهه أياماً»[1].

يُقال «إن عبداً لعثمان لقيه فسقاه عسلاً مسموماً، وكان الأشتر من الأبطال وكان سيد قومه وخطيبهم وفارسهم. وقد ذكر بعضهم إنه شارك

---

(1) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 556.

في قتل عثمان ﷺ قلت وقد قيل: إن دهاة العرب أربعة عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان وعروة بن مسعود الثقفي والأشتر النخعي اسمه مالك بن الحارث وكأنهم يعنون بالدهاء الكيد والرأي والمكر»[1].

بالنسبة لتوقيت تولية علي الأشتر مصر، يُقال «وكان علي ﷺ حين انصرف من صفين رد الأشتر إلى عمله على الجزيرة وكان عاملاً عليها، فكتب إليه وهو يومئذ بنصيبين: سلام عليك يا مالك، فإنك ممن استظهرتك على إقامة الدين أو قمع به نخوة الأثيم، وأسد به الثغر المخوف؛ وكنت قد وليت محمد بن أبي بكر مصر فخرجت عليه بها خوارج، وهو غلام حدث السن غر ليس بذي تجربة للحرب ولا مجرب للأشياء. فأقدم علي لننظر في ذلك كما ينبغي، واستخلف على عملك أهل الثقة والنصفة من أصحابك والسلام لا... وكتب عيون معاوية إليه بولاية الأشتر على مصر فشق عليه وعظم ذلك لديه، وكان قد طمع في مصر وعلم أن الأشتر متى قدمها كان أشد عليه، فكتب معاوية إلى الخانسيار رجل من أهل الخراج، وقيل كان دهقان القلزم يقول: إن الأشتر واصل إلى مصر قد وليها، فإن أنت كفيتني إياه لم آخذ منك خراجاً ما بقيت؛ فأقبل لهلاكه بكل ما تقدر عليه؛ فخرج الخانسيار حتى قدم القلزم فأقام به. وخرج الأشتر من العراق يريد مصر حتى قدم إلى القلزم فاستقبله الخانسيار فقال له: انزل فإني رجل من أهل الخراج وقد أحضرت ما عندي. فنزل الأشتر فأتاه بطعام وعلف وسقاه شربة من عسل جعل فيها سماً، فلما شربه مات ؛ وبعث الخانسيار من أخبر بموته معاوية... وقال ابن الكلبي عن أبيه: لما سار الأشتر إلى مصر أخذ في طريق الحجاز فقدم المدينة، فجاءه مولى لعثمان

(1) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، 49.

بن عفان يقال له نافع، وأظهر له الود وقال له: أنا مولى عمر بن الخطاب، فأدناه الأشتر وقربه ووثق به وولاه أمره. فلم يزل معه إلى عين شمس أعني المدينة الخراب خارج مصر بالقرب من المطرية وفيها ذلك العمود المذكور في أول أحوال مصر من هذا الكتاب. فلما وصل إلى عين شمس تلقاه أهل مصر بالهدايا وسقاه نافع المذكور العسل فمات منه. وقال ابن سعد: إنه سم بالعريش؛ وقال الصوري: صوابه بالقلزم؛ وقال أبو اليقظان: كان الأشتر قد ثقل على أمير المؤمنين علي أمره، وكان متجرياً عليه مع شدة محبته له. وحكي عن عبد الله بن جعفر قال: كان علي قد غضب على الأشتر وقلاه واستثقله، فكلمني أن أكلمه فيه، فقلت: يا أمير المؤمنين، وله مصر فإن ظفروا به استرحت منه، فولاه. وكانت عائشة ـ ﵂ ـ قد دعت عليه فقالت: اللهم ارمه بسهم من سهامك. واختلفوا في وفاة الأشتر، فقال ابن يونس: مات مسموماً سنة سبع وثلاثين. وقال هشام: سنة ثمان وثلاثين في رجب»[1].

«لما بلغ عليا ﵁ موت الأشتر قال: لليدين وللفم»[2].

أنظر أيضاً: أبو عمر الكندي، ولاة مصر، 7.

(1) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،.42

(2) أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي، الولاة والقضاة، 6.

الفصل التاسع:

عبد الله بن جعفر

عبد الله بن جعفر هو أبو جعفر عبد الله بن ذي الجناحين جعفر الطيار بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي.

وأما أمه فهي أسماء بنت عميس بن معد بن الحارث بن تيم الخثعمية؛ وأما شقيقاه فهما محمد وعون. وأخواه من أمه هما محمد بن أبي بكر الصديـق ويحيى بن علي. وأما زوجته، فهي حفيدة رسول الله زينب بنت علي.

كان أول مولود في الإسلام بأرض الحبشة وكانت ولادته سنة واحد للهجرة، ثم قدم مع والديه مهاجراً إلى المدينة في السنة السابعة للهجرة يوم فتح خيبر وكان قد بلغ من العمر سبع سنين، فوصلوا إلى النبي وقد فتحت خيبر.

وفي السنة الثامنة للهجرة استشهد والده جعفر الطيار بن أبي طالب في معركة مؤتة، وكان عمره ثماني سنوات فكفله رسول الله وأولاه رعايته الخاصة لمكانة أبيه، وكذلك كان علي، أما هو فكان من أكثر الناس موالاة للسبطين الحسن والحسين.

يروي أن الرسول أتاهم بعد استشهاد والده فقال: «ائتوني ببني أخي»

ثم قال: «أما محمد فشبه عمي أبي طالب، وأما عبد الله فشبه خَلقي وخُلقي». وروى إسماعيل بن عباس قال: «إن عبد الله بن جعفر وعبد الله بن الزبير بايعا النبي وهما ابنا سبع سنين، فلما رآهما رسول الله تبسم وبسط يده وبايعهما».

وهو آخر من رأى النبي وصحبه من بني هاشم. كان يمارس التجارة منذ صغره، فمر به رسول الله يوماً وهو يلعب فقال: «اللهم بارك له في تجارته». اشترك مع عمه علي بن أبي طالب في موقعة صفين، وكان أميره على قريش وأسد وكنانة. وكان له فيها وغيرها ذكر مشهور.

وأما في كربلاء فلقد كان ممن كتب إلى الحسين يثنيه عن السفر إلى العراق. وعلى الرغم من عدم سيره معه فقد أرسل ابنيه عون ومحمد إلى كربلاء برفقة أمّهما زينب، فاستشهدا كلاهما، فقتل عبد الله بن قطنة التيهاني التميمي ابنه عون، وقتل عامر بن نهشل التميمي ابنه محمد.

وقد روي أن عدم خروجه كان بسبب كف بصره. كانت وفاته في المدينة المنورة عام الوفاة: سنة ثمانين للهجرة وعمره ثمانون عاماً ووري في البقيع وكان والي المدينة أبان بن عثمان بن عفان، فلما حضر غسله كفنه وحمله مع الناس وقد ازدحم على حمله ثم لم يفارقه حتى دفنه ودموعه تسيل وهو يقول عنه: كنت والله خيراً لا شر فيك، وكنت والله شريفاً واصلاً براً.

معاوية: شراء الذمم!

كان معاوية، لأسباب عديدة، يوزّع الأموال على الجميع، خاصة أعداؤه؛ «قدم الحسن بن علي على معاوية فقال له: لأجيزنك بجائزة لم

يجزها أحد كان قبلي، فأعطاه أربعمائة ألف ألف. ووفد إليه مرة الحسن والحسين فأجازهما على الفور بمائتي ألف، وقال لهما: ما أجاز بهما أحد قبلي. فقال له الحسين: ولم تعط أحد أفضل منا.... أرسل الحسن بن علي، وعبد الله بن جعفر إلى معاوية يسألانه المال، فبعث إليهما ـ أو إلى كل منهما ـ بمائة ألف، فبلغ ذلك علياً[1] فقال لهما: ألا تستحيان؟ رجل نطعن في عينه غدوةً وعشيةً تسألانه المال؟ فقالا: بل حرمتنا أنت وجاد هو لنا. «وروى الأصمعي قال: وفد الحسن وعبد الله بن الزبير على معاوية فقال للحسن: مرحباً وأهلاً بابن رسول الله، وأمر له بثلاثمائة ألف. وقال لابن الزبير: مرحباً وأهلاً بابن عمة رسول الله ﷺ، وأمر له بمائة ألف. وقال أبو مروان المرواني: بعث معاوية إلى الحسن بن علي بمائة ألف فقسمها على جلسائه، وكانوا عشرة، فأصاب كل واحد عشرة آلاف. وبعث إلى عبد الله بن جعفر بمائة ألف فاستوهبتها منه امرأته فاطمة فأطلقها لها، وبعث إلى مروان بن الحكم بمائة ألف فقسم منها خمسين ألفاً وحبس خمسين ألفاً، وبعث إلى ابن عمر بمائة ألف ففرق منها تسعين واستبقى عشرة آلاف. فقال معاوية: إنه لمقتصد يحب الاقتصاد. وبعث إلى عبد الله بن الزبير بمائة ألف فقال للرسول: لم جئت بها بالنهار؟ هلا جئت بها بالليل؟ ثم حبسها عنده ولم يعط منها أحداً شيئاً. فقال معاوية: إنه لخب ضبّ، كأنك به قد رفع ذنبه وقطع حبله. وقال ابن دأب: كان لعبد الله بن جعفر على معاوية في كل سنة ألف ألف، ويقضي له معها مائة حاجة، فقدم عليه عاماً فأعطاه المال وقضى له الحاجات، وبقيت منها واحدة، فبينما هو عنده إذ قدم أصبغهند سجستان يطلب من معاوية أن يملكه على تلك البلاد،

(1) هذا يعني أنه كان يعطي هؤلاء حتى قبل مقتل علي.

ووعد من قضى له هذه الحاجة من ماله ألف ألف. فطاف على رؤوس الأشهاد والأمراء من أهل الشام وأمراء العراق، ممن قدم مع الأحنف بن قيس، فكلهم يقولون: عليك بعبد الله بن جعفر، فقصده الدهقان فكلم فيه ابن جعفر معاوية فقضى حاجته تكملة المائة حاجة. وأمر الكاتب فكتب له عهده، وخرج به ابن جعفر إلى الدهقان فسجد له وحمل إليه ألف ألف درهم. فقال له ابن جعفر: اسجد لله واحمل مالك إلى منزلك، فإنا أهل بيت لا نبيع المعروف بالثمن. فبلغ ذلك معاوية فقال: لأن يكون يزيد قالها أحب إليّ من خراج العراق، أبت بنو هاشم إلا كرماً»[1]. «وقد كان معاوية أجاز عبد الله بن جعفر بعشرة آلاف ألف درهم»[2].

يقول أحد المراجع: «كان لعبد الله بن جعفر من معاوية في كل سنة ألف ألف، فاجتمع عليه خمس مئة ألف دينار، فألح عليه غرماؤه فيها فاستأجلهم إلى أن يرحل إلى معاوية فأجلوه، فرحل إليه فمر بالمدينة على ابن الزبير... فرحلا جميعاً... فلما وصل استأذن على معاوية [الذي] قال: ما أقدمك يا بن جعفر؟ قال: يا أمير المؤمنين تصل قرابتي وتقضي ديني. قال: وما دينك؟ قال: خمس مئة ألف. قال: قد فعلت.

فقال معاوية:... ما أقدمك يا بن الزبير؟ قال: يا أمير المؤمنين! تصل قرابتي وتقضي ديني. قال: وما دينك؟ قال: مئة ألف. قال: قد فعلت. ثم نهضا لقبضها فقال معاوية: يا بن جعفر، إن الألف ألف تأتيك لوقتها»[3].

---

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، 2992؛ قريب منه في مختصر تاريخ دمشق، ابن منظور، 3346.

(2) الشامي البنداري، مختصر سنا البرق، 63.

(3) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 3347.

ويضيف الذهبي: «ذكر لنا أن عبد الله بن جعفر قدم على معاوية، وكان يفد في كل سنة، فيعطيه ألف ألف درهم ويقضي له مائة حاجة»[1].

كان معاوية يهدف إلى التحضير لخلافة ابنه عبر الأموال التي كان يغدقها على وجوه تلك الحقبة؛ ذكر «أن معاوية بعث إلى ابن عمر بمائة ألف درهم، فلما دعا معاوية إلى بيعة يزيد ابن معاوية قال: أترون هذا أراد؟ إن ديني إذاً عندي لرخيص... قال معاوية لعبد الله بن جعفر: بلغني أن ابن عمر يريد هذا الأمر وفيه ثلاث خصال لا يصلحن في خليفة؛ هو رجل غيور، وهو رجل عيي، وهو رجل بخيل. قال: فذهب ابن جعفر فأخبر ابن عمر، فقال ابن عمر: أما قوله إني رجل غيور فإني كنت أغلق بابي على أهلي فما حاجة الناس إلى ما وراء ذلك. وأما قوله إني رجل عيي فإني كنت أعلم الناس بكتاب الله عز وجل ولا كلام أبلغ منه، وأما قوله أني رجل بخيل فإني كنت أقسم على الناس فيهم فإذا فعلت ذلك فما حاجة الناس إلى ما أورثني ابن الخطاب. قال: فأخبر ابن جعفر معاوية بها. فقال معاوية: عزمت عليك أن يسمع هذا منك أحد»[2].

يروى أنّ «معاوية قال ليزيد: إن لي خليلاً من أهل المدينة فأكرمه. قال: ومن هو؟ قال: عبد الله بن جعفر. فلما وفد بعد موت معاوية على يزيد أضعف جائزته التي كان معاوية يعطيه إياها، وكانت جائزته على معاوية ستمائة ألف، فأعطاه يزيد ألف ألف. فقال له: بأبي أنت وأمي، فأعطاه ألف ألف أخرى. فقال له ابن جعفر: والله لا جمع أمر لأحد بعدك! ولما خرج ابن جعفر من عند يزيد وقد أعطاه ألفي ألف رأى على باب يزيد بخاتي

(1) تاريخ الإسلام، 655.
(2) الفسوي، المعرفة والتاريخ، 103

مبركات، قد قدمن عليه هدية من خراسان، فرجع عبد الله بن جعفر إلى يزيد، فسأله منها ثلاث بخاتي ليركب عليها إلى الحج والعمرة، وإذا وفد إلى الشام على يزيد. فقال يزيد للحاجب: ما هذه البخاتي التي بالباب؟ ولم يكن شعر بها فقال: يا أمير المؤمنين، هي أربعمائة بختية جاءتنا تحمل أنواع الألطاف وكان عليها أنواع من الأموال كلها فقال: اصرفها إلى أبي جعفر بما عليها. فكان عبد الله بن جعفر يقول: أتلومونني على حسن الرأي في هذا؟! يعني يزيد»[1].

وفي نص مشابه: «وفد عبد الله بن جعفر على يزيد بن معاوية فقال: بكم كان أمير المؤمنين يأمر لك؟ قال: بألف ألف درهم، قال: فأنا أضعفها، قال: جعلني الله فداءك، قال: أقلتها يا أبا جعفر؟ قال: نعم، ولا أُقولها والله لأحد بعدك أبداً؛ قال:فقد جعلتها أربعة آلاف ألف، فلما ودعه وخرج رأى على الباب ناقة سوداء، فقال له بَدَيح مولاه: ما أحوجنا إلى هذه الناقة ليعجب منها أهل المدينة، فقال عبد الله للذي الناقة معه: ادفعها إلى بديح، فأبى، فرجع إلى يزيد، فقال: ما وراءك يا أبا جعفر؟ قال: ناقة سوداء رأيتها مع غلامك، فأراد بديح أن يعجب أهل المدينة منها، فقال يزيد: ادفعوا إلى أبي جعفر كل ناقة سوداء لنا، فنظروا فإذا هي سبعمائة ناقة، فدفعت إليه، وأمر يزيد فكتب إلى عامل أذرعات أن يوقرها له زيتاً فقسم عبد الله النوق في طريقه، فلم يرد المدينة منها إلاّ بثلاثين ناقة. قال محمد بن سعد: وقال الواقدي الثبت أن صلته من معاوية كانت خمسمائة ألف درهم فصيرها

(1) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 3755؛ 3053.

يزيد ألف ألف درهم ثم ألفي ألف[1]»[2].

«وقيل لابن جعفر: بماذا حسن رأيك في يزيد بن معاوية؟ قال: شخصت أريد معاوية، فلما صرت بالشام لقيني خبر وفاته، ففكرت في القدوم على يزيد[3] أو الرجوع، وقلت: فتى من فتيان قريش وغطريف من عطارفتها لعله يجهل حقي ويحطني عن مرتبتي فيكون عليّ في ذلك غضاضة تلحقني، ثم استخرت الله عز وجل، وقدمت عله فلما رآني أعظمني وأخلاني، وقال: كأني بك حين بلغتك وفاة أبي تحيرت فميلت بين النفوذ إليّ والانصراف عني، فقلت والله ما أخطأت يا أمير المؤمنين، فأضعف لي وفادني وأعطاني رواحل كثيرة حملت لي زيتاً

(1) فلما كان في السنة الثانية قدم عبد الله بن جعفر، وقدم مولى له يقال له نافع، كانت له منزلة من يزيد بن معاوية. قال نافع: فلما قدمنا عليه أمر لعبد الله بن جعفر بألف ألف، وقضى عنه ألف ألف، ثم نظر إلي فتبسم؛ فقلت: هذه لتلك الليلة. وكنت سامرته ليلة في خلافة معاوية وأسمعته فيها فذكرته بها. وقدمت عليه هدايا من مصر كثيرة، فأمر بها لعبد الله بن جعفر، وكان له مائة ناقة، فقلت لابن جعفر: لو سألته منها شيئاً نحتلبه في طريقنا- ففعل، فأمر بصرفها كلها إليه. فلما أراد الوداع أرسل إلي فدخلت عليه، فقال: ويلك! إنما أخترك لأتفرغ إليك، هات قول جميل:

خليلي فيما عشتما هل رأيتما ... قتيلاً بكى من حب قاتله قبلي

قال: فأسمعته! فقال: أحسنت والله؛ هات حاجتك. فما سألته شيئاً إلا أعطانيه.(ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 131)؛ النص ذاته تقريباً موجود في: القاضي التنوخي، المستجاد من فعلات الأجواد، 63؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، 621؛ ابن رأس غنمة الاشبيلي، مناقل الدرر ومنابت الزهر، 81.

(2) البلاذري، أنساب الأشراف، 264.

(3) يزيد بن معاوية ... وقَّع في كتاب عبد الله بن جعفر إليه يستميحه لرجال من خاصَّته: احكم لهم بآمالهم إلى منتهى آجالهم. فحَكم بتسعمائة ألف، فأجازها. (ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 554).

وألطافاً وكِسَى»(1).

[ومرّة] «قال يزيد لعبد الرحمن بن زياد: كم قدمت به معك من المال من خراسان؟ قال: عشرين ألف ألف درهم؛ قال: إن شئت حاسبناك وقبضناها منك، ورددناك على عملك، وإن شئت سوغناك وعزلناك، وتعطي عبد الله بن جعفر خمسمائة ألف درهم؛ قال: بل تسوغني ما قلت، ويستعمل عليها غيري. وبعث عبد الرحمن بن زياد إلى عبد الله بن جعفر بألف ألف درهم، وقال: خمسمائة ألف من قبل أمير المؤمنين، وخمسمائة ألف من قبلي»(2).

«قيل لمعاوية بن عبد الله: ما بلغ من كرم عبد الله بن جعفر؟ قال: كان ليس له مال دون الناس، هو والناس في ماله شركاء، كان من سأله أعطاه ومن استمنحه شيئاً منحه، لا يرى أنه يقتصر فيقصر، ولا يرى أنه يحتاج فيدخر.

بعث رجل من أهل المدينة بابنة له إلى عبد الله بن جعفر فقال: إنا نريد أن نخدرها وقد أحببت أن تمسح يدك على ناصيتها، وتدعو لها بالبركة. قال: فأقعدها في حجره ومسح بيده على ناصيتها ودعا لها بالبركة، ثم دعا مولى له فساره بشيء، فذهب المولى ثم جاء فأتاه بشيء، فصره عبد الله في خمار الجارية، ثم دفعها إلى الرسول. قال: فنظروا، فإذا لؤلؤة، فأخرجت إلى السوق لتباع فعرفت وقيل: لؤلؤة ابن جعفر حبا بها ابنة جاره. قال: فبيعت بثلاثين ألف درهم.

---

(1) البلاذري، أنساب الأشراف، 267.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1219؛ أنظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 760؛ ابن الجوزي، المنتظم، 684.

مر عبد الله بن جعفر ومعه عدة من أصحابه بمنزل رجل قد أعرس، وإذا مغنية تقول:

قل لكرام ببابنا يلجوا ما في التصابي على الفتى حرج

فقال عبد الله لأصحابه: لجوا فقد أذن لنا القوم، فنزل ونزلوا فدخلوا. فلما رآه صاحب المنزل تلقاه وأجلسه على الفرش، فقال للرجل: كم أنفقت على وليمتك؟ قال: مئتي دينار. قال: فكم مهر امرأتك؟ قال: كذا وكذا، فأمر له بمئتي دينار ومهر امرأته وبمئة دينار بعد ذلك معونة، واعتذر إليه وانصرف.

قال إبراهيم بن صالح: عوتب عبد الله بن جعفر على السخاء فقال: يا هؤلاء إني عودت الله عادة وعودني عادة، وإني أخاف إن قطعتها قطعني.

بلغ معاوية أن عبد الله بن جعفر أصابه جهد...فكتب إليه يأمره بالقصد ويرغبه فيه، وينهاه عن السرف ويعيبه عليه. قال: فأجابه عبد الله بن جعفر:

وقد أشتري عرضي بمالي وما عسى أخول إذا ما ضيع العرض يشتري

فأعجب معاوية ما كتب إليه به، وبعث بأربعين ألف دينار عوناً له على دينه»[1].

«قال الحسن والحسين رضوان الله عليهما لعبد الله بن جعفر: إنك قد أسرفت في بذل المال، قال: بأبي أنتما وأمي إن الله عودني أن يفضل علي، وعودته أن أفضل على عباده، فأخاف ان أقطع العادة فتقطع عني»[2].

---

(1) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 1652؛ 1654.

(2) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، 36.

«وامتدح نصيب عبد الله بن جعفر، فأمر له بخيل وإبل وأثاثٍ ودننير ودراهم، فقال له رجل: أمثل هذا الأسود يعطى مثل هذا المال؟ فقال له عب الله بن جعفر: ن كان أسود فإن شعره لأبيض، ون ثناءه لعربيٌّ، ولقد استحق بما قال أكثر مما نال، وهل أعطيناه إلا ثياباً تبلى، ومالا يفنى، ومطايا تنضى، وأعطانا مدحاً يروى، وثناءً يبقى!. وقيل لعبد الله بن جعفر إنك لتبذل الكثير إذا سُئلت، وتضيق في القليل إذا توجرت. فقال: إني أبذل مالي، وأضنُّ بعقلي»[1].

وصلت حدود كرمه درجة الأساطير: «عن إسحاق بن عبد الله بن جعفر، قال: جاءت امرأة إلى عبد الله بن جعفر، فقالت له: يا سيدي، وهبت لي بعض جاراتي بيضة فحضنتها تحت ثديي حتى خرجت فروجة، فغذوتها بأطيب الطعام حتى بلغت وقد ذبحتها وشويتها وكفنتاه برقاقتين وجعلت لله علي أن أدفنها في أكرم بقعة في الأرض ولا أعلم والله بقعة أكرم من بطنك. فكلها. فقال: يا بديح، خذها منها وامض فانظر إلى الدار التي هي فيها، فإن كانت لها فاشتر لها ما حولها من الدور، وإن لم تكن لها فاشترها واشتر لها ما حولها. فذهب ثم رجع فقال: قد اشتريت الدار لها وما حواليها، فقال: احمل لها على ثلاثين بعير حنطة وشعيراً وأرزاً وزبيباً وتمراً ودراهم ودنانير. قالت العجوز: لا تسرف، إن الله لا يحب المسرفين... وعن ابن سيرين، قال: جلب رجل سكراً إلى المدينة، فكسد عليه، فذكر ذلك لعبد الله بن جعفر، فأمر قهرمانه أن يشتريه وينهبه الناس»[2].

(1) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، 153.
(2) ابن الجوزي، المنتظم، 783.

يقال إنه «لما قدم معاوية المدينة منصرفاً من مكة بعث إلى الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزّبير وعبد الله بن صفوان بن أميّة بهدايا من كسيً وطيبٍ وصلاتٍ من المال ثم قال لرسله: ليحفظ كلّ رجلٍ منكم ما يرى ويسمع من الردّ. فلما خرج الرسل من عنده، قال لمن حضر: إن شئتم أنبأناكم بما يكون من القوم. قالوا: أخبرنا يا أمير المؤمنين قال: أمّا الحسن فلعله ينيل نساءه شيئاً من الطّيب وينهب ما بقي من حضره ولا ينتظر غائباً. وأما الحسين فيبدأ بأيتام من قتل مع أبيه بصفّين فإن بقي شيء نحر به الجزر وسقى به اللبن وأما عبد الله بن جعفر فيقول: يا بديح! اقض به ديني، فإن بقي شيء فأنفذ به عداتي»[1].

من القصص الأقرب إلى الأساطير ما»روي عن عبد الله بن جعفر أنه أسلف الزبير بن العوام ألف ألف درهم. فلما توفي الزبير قال ابن الزبير لعبد الله بن جعفر: إني وجدت في كتب أبي أن له عليك ألف ألف درهم، فقال: هو صادق فاقبضها إذا شئت. ثم لقيه بعد فقال: يا أبا جعفر، إنما وهمت، المال لك عليه، قال: فهو له. قال: لا أريد ذلك، قال: فاختر، إن شئت فهو له، وإن كرهت ذلك فلك فيه نظرة ما شئت، فإن لم ترد ذلك فبعني من ماله ما شئت، قال: أبيعك، ولكني أقوم فقوم الأموال ثم أتاه فقال: أحب ألا يحضرني وإياك أحد. فقال له عبد الله: يحضرنا الحسن والحسين فيشهدان لك، قال: ما أحب أن يحضرنا أحد. قال: انطلق، فمضى معه فأعطاه خراباً وسباخاً لا عمارة له، وقومه عليه، حتى إذا فرغ قال عبد الله لغلامه: ألق لي في هذا الموضع مصلى، فألقى له في أغلظ موضع من تلك المواضع مصلى، فصلى ركعتين وسجد

(1) ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، 293.

فأطال السجود يدعو. فلما قضى ما أراد من الدعاء قال لغلامه: احفر في موضع سجودي فحفر، فإذا عين قد أنبطها، فقال له ابن الزبير: أقلني. قال: أما دعائي وإجابة الله إياي فلا أقيلك، فصار ما أخذ منه أعمر ما في أيدي ابن الزبير.

وعن الحسين قال: علمنا عبد الله بن جعفر السخاء. وعن هشام: أن دهقانا كلم عبد الله بن جعفر أن يكلم علي بن أبي طالب في حاجة، فكلمه فقضاها: فأهدى إليه الدهقان أربعين ألفاً فردها عليه وقال: إنا لا نأخذ على المعروف ثمناً.

كتب رجل إلى عبد الله بن جعفر رقعة، فجعلها في ثني وسادة التي يتكئ عليها، فقلب عبد الله الوسادة فبصر بالرقعة فقرأها، فردها في موضعها، وجعل مكانها كيساً فيه خمسة آلاف دينار، فجاء الرجل فقال: قلب المرفقة فخذ ما تحتها فأخذ الكيس وخرج»[1]

«وقيل: إن معاوية لما حج ونزل في دار مروان قال يوماً لحاجبه: انظر هل ترى بالباب الحسن أو الحسين أو ابن جعفر أو فلاناً ـ وعد جماعة ـ فخرج فلم ير أحداً، فقيل له: هم مجتمعون عند عبد الله بن جعفر يتغدون، فأتى معاوية فأخبره فقال: ما أنا إلا كأحدهم، ثم أخذ عصا فتوكأ عليها ثم أتى باب ابن جعفر فاستأذن عليه ودخل فأجلسه في صدر فراشه، فقال له معاوية: أين غداؤك يا ابن جعفر؟ فقال: وما تشتهي من شيء فادعوا به؟ فقال: معاوية أطعمنا مخاً. فقال: يا غلام هات مخاً. فأتى بصحيفة فأكل معاوية، ثم قال ابن جعفر لغلامه: هات مخاً. فجاء بصحيفة أخرى ملآنة مخاً إلى أن فعل

(1) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 1647.

ذلك ثلاث مرات. فتعجب معاوية وقال: يا ابن جعفر ما يشبعك إلا الكثير من العطاء، فلما خرج معاوية أمر له بخمسين ألف دينار»[1].

«خرج عبد الله بن جعفر إلى حيطان المدينة، فبينا هو كذلك إذ نظر إلى أسود على بعض الحيطان وهو يأكل وبين يديه كلب، وعبد الله بن جعفر واقف على دابته ينظر إليه، فلما فرغ دنا منه فقال له: يا غلام لمن أنت؟ فقال: لورثة عثمان بن عفان! فقال: لقد رأيت منك عجباً فقال له: وما الذي رأيت من العجب؟ قال: رأيتك تأكل، فكلما أكلت لقمة رميت للكلب لقمة، فقال: يا مولاي، هو رفيقي منذ سنين، ولا بد أن أجعله كأسوتي في الطعام، فقال له: فدون هذا يجزئك؟ فقال له: يا مولاي، إني لأستحي من الله أن آكل، وعين تنظر إلي لا تأكل. ثم مضى عنه حتى ورثة عثمان بن عفان فنزل عندهم؛ فقال: جئت في حاجة، تبيعوني الحائط الفلاني؛ قالوا: قد وهبناه لك فقال: لست آخذه إلا بضعف فباعوه، فقال لهم: وتبيعوني الغلام الأسود؟ فقال له: إن الأسود ربيناه وهو كأحدنا، فلم يزل بهم حتى باعوه... فقال له: فأنت حر والحائط لك.

خرج حسين بن علي وعبد الله بن جعفر وسعيد بن العاص إلى مكة... فنظروا إلى نار تلوح لهم عن ناحية من الطريق، فأموها، فإذا هي نار لإنسان من مزينة فسألوا المبيت فقال: نعم، والقرى، فأنزلهم وأدخلهم خباءه وحجز بينهم وبين امرأته وصبيانه بكساء أو شيء ثم قام إلى شاة عنده فذبحها وسلخها، ثم قربها إليهم... ثم ذهب إلى عبد الله بن جعفر فرحب به وقال: هل جئت أحداً من أصحابي؟ قال: نعم

---

(1) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 1647، 40.

كلاهما. قال: فما صنعا؟ قال: أما سعيد فأعطاني ألف شاة برعاتها، وأما حسين فأعطاني ألف شاة ورعاتها وعشرة آلاف درهم. قال: يا بديح، أعطه ألف شاة ورعاتها وسجل له فلانة بينبع، قال: لعين عظيمة الخطر تغل مالاً كثيراً»[1].

«قال أبو إسحاق المالكي: وجه يزيد بن معاوية إلى عبد الله بن جعفر مالاً جليلاً هدية له، ففرقه في أهل المدينة، ولم يدخل منزله منه شيئاً، فبلغ ذلك عبد الله بن الزبير فقال: إن عبد الله بن جعفر لمن المسرفين»[2].

«ويقولون: إن أجواد العرب في الإسلام عشرة. فأجواد أهل الحجاز عبد الله بن جعفر...ومدحه نصيب فأعطاه إبلاً وخيلاً وثياباً ودنانير ودراهم فقيل له: تعطى لهذا الأسود مثل هذا؟ فقال: إن كان أسود فشعره أبيض ولقد استحق بما قال أكثر مما نال، وهل أعطيناه إلا ما يبلى ويفنى وأعطانا مدحاً يروى وثناء يبقى. وقد قيل: إن هذا الخبر إنما جرى لعبد الله بن جعفر مع عبد الله بن قيس الرقيات»[3].

«عن ابن خُرَّبوذ، أن عبد الله بن جعفر كلم في تزويج يتيم من قريش فوهب له مائة ألف درهم، فذكر ذلك لمعاوية فقال: إذا لم يكن الهاشمي سخياً لم يشبه من هو منه.

و ابتاع عبد الله بن جعفر حائطاً من رجلٍ من الأنصار بمائتي ألف درهم فرأى ابنا له يبكي فقال: ما يبكيك؟ قال: كنت أظن أني وأبي نموت قبل

(1) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 1648؛ أسامة بن منقذ، لباب الآداب، 33.
(2) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 1650؛ النووي، رياض الصالحين، 36؛ راجع: الذهبي، تاريخ الإسلام، 656؛ البلاذري، أنساب الأشراف، 263.
(3) ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، 266.

خروج هذا الحائط من أيدينا، لقد غرست بعض نخله بيدي. فدعا أباه ورد عليه صكه وسوغه المال.

قال قدم عبد الله بن جعفر من الشام يريد المدينة فأتى على قوم من العرب قد تحاربوا ووقعت بينهم قتلى فوداهم بثلاث مائة ألف وكسر، وأصلح بينهم وهيّأ طعاماً أنفق عليه مالاً، ثم أطعمهم»[1]:

«عن الزهري أن علي بن أبي طالب أعطى عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ يوم الجمل حين أشخصها إلى المدينة اثني عشر ألفاً، فاستقل ذلك عبد الله بن جعفر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ فزادها وقال: إن أجاز علي هذه الزيادة؛ إلا فهي من مالي»[2].

«قالت بنو أمية لمعاوية يا أمير المؤمنين أتعطي أحدنا مائة ألف درهم إذا أسنيت له، وتعطي ابن جعفر ما تعطيه؟ فقال: لست أعطي ابن جعفر ما أعطيه له وحده وإنما أعطيه وأعطي الناس لأنه يقسم ما يصير إليه ويجود به، وأنتم تأخذون المال فتحبسونه وتدخرونه وإنما نعطي كل امرىءٍ على قدر مروءته وتوسعه.

كلم عبد الله بن جعفر علي بن أبي طالب في حاجة لبعض الدهاقين؛ فقضاها فحمل إليه أربعين ألف درهم ورقاً، فردّها وقال: إنّا قوم لا نأخذ على معروف ثمناً.

وفد عبد الله بن جعفر على معاوية فأعطاه صلته لوفادته خمسمائة ألف درهم؛ وقضى حوائجه.

---

(1) البلاذري، أنساب الأشراف، 263.

(2) البلاذري، أنساب الأشراف، 264.

ثم إن عبد الله وقف بين يديه فقال: يا أمير المؤمنين اقض ديني. قال: أو لم تقبض وفادتك وتقض حوائجك الخاص والعام يا بن جعفر؟ قال: بلى. قال: فليس كل قريش أسعه بمثل ما أعطيك، وقد أجحفت النوائب ببيت المال؟! قال: إن العطية يا معاوية محبة والمنع بغضة والآن تعطيني وأحبك أحبّ إليّ من أن تحرمني فأبغضك...فقال معاوية: اعلم يا بن جعفر أن ما من قريش أحد أحبّ أن يكون ولدته هند غيرك ولكني إذا ذكرت ما بينك وبين علي، وما بين عليّ وبيني اشمأز قلبي فكم دينك؟ قال: ثلاثون ألف دينار. فقال: كيف ابخل بما لا يغيب عن بيت مالي إلا أشهراً يسيرة حتى يعود إليه، اقضها عنه يا سعد»[1].

سر العلاقة بين الهاشمي وبني أمية:

«كان عبد الله بن جعفر كريماً، جواداً ظريفاً خليقاً عفيفاً سخياً يسمى بحر الجود، ويقال: إنه لم يكن في الإسلام أسخى منه وكان لا يرى بسماع الغناء بأساً»[2].

وفي نص آخر نقرأ: «أن عبد الله بن جعفر قال لعبد الله بن صفوان بن أمية الجمحي، وهو يمازحه، وكان ابن صفوان أمياً لا يقرأ ولا يكتب: ما نأمر أحداً من شباننا بالكتاب والأدب إلا قال: هذا سيد قريش عبد الله بن

(1) البلاذري، أنساب الأشراف، 266. راجع من أجل سخائه: الفسوي، المعرفة والتاريخ، 277 ؛ ابن سيده، المخصص، 936؛ الآبي، نثر الدر، 94؛ مؤرج، حذف من نسب قريش، 4؛ الرضي الصاغاني، العباب الزاخر، 389؛ ابن الحداد، الجوهر النفيس في سياسة الرئيس، 10؛ ابن عاصم، حدائق الأزاهر، 8؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 2966.

(2) ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، 265.

صفوان لا يقرأ ولا يكتب، فقال ابن صفوان: ونحن والله ما ننهى أحداً من أحداثنا ونسائنا عن البطالة واللهو إلا قال: هذا سيد قريش ابن جعفر يلهو ويسمع الغناء»[1].

«قال معاوية لعبد الله بن جعفر: ما العيش يا أبا جعفر؟ قال: ركوب الهوى وترك الحياء[2].

قال: وقدم عبد الله بن جعفر على معاوية بالشام، فأنزله في دار عياله، وأظهر من إكرامه وبره ما كان يستحقه. فغاظ ذلك فاختة بنت قرظة، زوجة معاوية، فسمعت ذات ليلة غناءً عند عبد الله بن جعفر، فجاءت إلى معاوية فقالت: هلم فاسمع ما في منزل هذا الذي جعلته بين لحمك ودمك، وأنزلته في دار محرمك. فجاء معاوية فسمع شيئاً حركه وأطربه، وقال: والله إني لأسمع شيئاً تكاد الجبال تخر له، وما أظنه إلا من تلقين الجن، ثم انصرف. فما كان من آخر الليل سمع معاوية قراءة عبد الله وهو قائم يصلي. فأنبه فاختةً، وقال لها: اسمعي مكان ما أسمعتني، هؤلاء قومي، ملوك بالنهار رهبان بالليل»[3].

سائب خاثر أحد أهم مغني ذلك العصر، والذي تبناه ابن جعفر؛ فمن هو هذا الرجل؟

«السائب بن يسار أبو جعفر المديني: مولى بني ليث، المعروف بسائب

(1) البلاذري، أنساب الأشراف، 264.
(2) وقال معاوية لعبد الله بن جعفر: ما أطيب العيش؟ قال: ليس هذا من مسائلك يا أمير المؤمنين. قال: عزمت عليك لتقولن. قال: هتك الحياء، واتباع الهوى. (ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 976).
(3) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 895.

خاثر، مغن معروف، وكان غنى صوتاً ثقيلاً فقالوا: هذا غناء خاثر غير ممذوق. فلقب خاثراً»[1]. «كان منقطعاً إلى عبد الله بن جعفر، فنسب إلى ولائه، وكان عبد الله بن جعفر يخرج به إلى معاوية إذا خرج وغيره من القرشيين، فقال معاوية لعبد الله بن جعفر: هذا الرجل الذي لا يخلو من رقاعكم ومن حوائجكم، ترفعون اسمه في حوائجكم! أي شيءٍ صناعته؟ قال له عبد الله بن جعفر: إن شئت يا أمير المؤمنين أن يدخل عليك، حتى يسمعك بعض صناعته. فدخل على معاوية بن أبي سفيان، وهو على وسادة قد جلس عليها، فقال له عبد الله بن جعفر: أسمع أمير المؤمنين بعض ما عندك. قال: فأسمعه، فلما سمع بعض ذلك قال: قم، لا أقام الله رجليك، والله لقد كدت أن أقوم عن وسادتي. قيل: إن سائباً قتل يوم الحرة»[2]. وفي نص نقرأ: «هو أبو جعفل سائب بن يسار، مولى لبني ليث. وأصله من فيء كسرى، واشتراه عبد الله بن جعفر فأعتقه. وقيل: بل كان على ولائه لبني ليث، ولكنه انقطع إلى عبد الله بن جعفر ولزمه وعرف به. وهو أول من عمل العود بالمدينة وغنى به. قال: وكان عبد الله بن عامر بن كريز سبي إماءً صناجات فأتى بهن المدينة. فكن يلعبن في يوم الجمعة ويسمع الناس منهن، فأخذ عنهن. وقدم رجل فارسي يعرف بنشيط، فغنى، فعجب عبد الله بن جعفر منه. فقال له سائب خاثر: أنا أصنع لك مثل غناء هذا الفارسي بالعربية... قال أبن الكلبي: وهو أول صوت غنى به في الإسلام من الغناء العربي المتقن الصنعة. قال: ثم أشترى عبد الله بن جعفر نشيطاً بعد ذلك؛ فأخذ عنه سائب خاثر الغناء العربي، وأخذ عنه أبن سريج

(1) البلاذري، أنساب الأشراف، 267.
(2) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 1261.

وجميلة ومعبد وعزة الميلاء وغيرهم. وقيل: إنه لم يكن يضرب بالعود وإنما كان يقرع بالقضيب ويغني مرتجلاً. قال أبن الكلبي: وكان سائب تاجراً موسراً يبيع الطعام بالمدينة، وكان تحته أربع نسوة. وكان انقطاعه إلى عبد الله بن جعفر، وهو مع ذلك يخالط سروات الناس وأشرافهم لظرفه وحلاوته وحسن صوته. وكان قد آلى على نفسه ألا يغني... سوى عبد الله بن جعفر إلا أن يكون خليفةً أو ولي عهد أو أبن خليفة؛ فكان على ذلك إلى أن قتل، على ما نذكره. وأخذ عنه معبد غناء كثيراً. قال: وسمع معاوية غناء سائب خاثر مراراً، فالمرة الأولى لما وفد عبد الله بن جعفر إلى معاوية وهو معه، فسأل عنه معاوية، فأخبره عبد الله خبره وأستأذنه في دخوله عليه، فأذن له. فلما دخل قام على الباب ثم رفع صوته»[1].

«وعن لقيط، قال: أشرف معاوية بن أبي سفيان ليلاً على منزل يزيد أبنه، فسمع صوتاً أعجبه، وأستخفه السماع فاستمع قائماً حتى مل، ثم دعا بكرسي فجلس عليه، وأشتهى الاستزادة فاستمع بقية ليلته حتى مل. فلما أصبح غداً عليه يزيد. فقال له: يا بني! من كان جليسك البارحة؟ قال: أي جليس يا أمير المؤمنين؟ وأستعجم عليه. قال: عرفني فإنه لم يخف علي شيء من أمرك. قال: سائب خاثر. قال: فأخثر له يا بني من برك وصلتك، فما رأيت بمجالسته بأساً.

قال ابن الكلبي: قدم معاوية المدينة في بعض ما كان يقدم؛ فأمر حاجبه بالإذن للناس؛ فخرج الآذن ثم رجع فقال: ما بالباب أحد. فقال معاوية: وأين الناس؟ قال: عند ابن جعفر. فدعا ببغلته فركبها ثم توجه إليهم. فلما

---

(1) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 477؛ أنظر: البلاذري، أنساب الأشراف، 267.

جلس قال بعض: القرشيين لسائب خاثر: مطرفي هذا لك ـ وكان من خز ـ إن أنت اندفعت تغني ومشيت بين السماطين وأنت تغني. فقام ومشى بين السماطين وغنى:

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

فسمع منه معاوية وطرب وأصغى إليه حتى سكت وهو مستحسن لذلك، ثم قام وأنصرف إلى منزله. وأخذ سائب خاثر المطرف»[1].

وفي نص، نقرأ عن سائب خاثر وجواري ابن جعفر: «وحدثت أن معاوية قال لعمرو: امضِ بنا إلى هذا الذي قد تشاغل باللهو وسعى في هدم مروءته، حتى ننعى عليه، أي نعيب عليه فعله ـ يريد عبد الله بن جعفر بن أبي طالبِ ـ فدخلا إليه، وعنده سائبُ خاثر، وهو يلقي على جوارٍ لعبدِ الله، فأمر عبد الله بتنحية الجواري لدخول معاوية، وثبت سائبُ مكانه، وتنحى عبد الله عن سريره لمعاوية، فرفع معاويةُ عمراً فأجلسه إلى جانبه، ثم قال لعبد الله: أعد ما كنت فيه، فأمر بالكراسي فالقيت، وأخرج الجواري، فتغنى سائبٌ بقول قيس بن الخطيم:

ديارُ التي كادت ونحن على منى تحل بنا لولا نجاء الركائبِ

ورده الجواري عليه، فحرك معاويةُ يديه وتحرك في مجلسه، ثم مد رجليه، فجعل يضرب بهما وجه السرير. فقال له عمروٌ: اتئد يا أمير المؤمنين، فإن الذي جئت لتلحاه أحسن منك حالاً وأقل حركة. فقال معاوية: اسكت لا أبا لك! فإن كل كريمٍ طروبٌ»[2].

(1) أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، 917؛ راجع: المبرد، الكامل في اللغة والأدب، 177؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1227؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 478.
(2) المبرد، الكامل في اللغة والادب، 177.

«عن المدائني قال: قتل سائب خاثر يوم الحرة، وكان خشي على نفسه من أهل الشأم فخرج إليهم وجعل يحدثهم ويقول: أنا مغن، ومن حالي وقصتي كيت وكيت؛ وقد خدمت أمير المؤمنين يزيد وأباه قبله. قالوا: فغن لنا، فجعل يغني؛ فقام إليه أحدهم فقال له: أحسنت والله! ثم ضربه بالسيف فقتله. وبلغ يزيد خبره ومر به أسمه في أسماء من قتل يومئذ فلم يعرفه وقال: من سائب خاثر هذا؟ فقيل له: هو سائب خاثر المغني. فعرفه فقال: ويله!! ماله ولنا! ألم نحسن إليه ونصله ونخلطه بأنفسنا! فما الذي حمله على عداوتنا! لا جرم أن بغيه صرعه. وقال المدائني في خبره: فقال إن لله! أو بلغ القتل إلى سائب خاثر وطبقته! ما أرى أنه بقي بالمدينة أحد. ثم قال: قبحكم الله يأهل الشام! تجدهم صادفوه في حديقة أو حائط مستتراً منهم فقتلوه»[1].

القصّة الواحدة بطلها أكثر من مغن؛ يقول أحد النصوص: «كان معاوية يعيب على عبد الله بن جعفر سماع الغناء. فأقبل معاوية عاماً من ذلك حاجاً، فنزل المدينة، فمر ليلةً بدار عبد الله بن جعفر، فسمع عنده غناءً على أوتار، فوقف ساعة يستمع ثم مضى وهو يقول: أستغفر الله، أستغفر الله. فلما انصرف من آخر الليل مر بداره أيضاً، فإذا عبد الله قائم يصلي، فوقف ليستمع قراءته، فقال: الحمد لله، ثم نهض وهو يقول: «خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم»؛ فلما بلغ ابن جعفر ذلك أعد له طعاماً، ودعاه إلى منزله، وأحضر ابن صياد المغني، ثم تقدم إليه يقول: إذا رأيت معاوية واضعا يده في الطعام فحرك أوتارك وغن. فلما وضع معاوية يده في الطعام حرك ابن صياد أوتاره وغنى بشعر عدي ابن

(1) أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، 917.

زيد، وكان معاوية يعجب به...فأعجب معاوية غناؤه حتى قبض يده عن الطعام، وجعل يضرب برجله الأرض طرباً. فقال له عبد الله بن جعفر: يا أمير المؤمنين، إنما هو مختار الشعر يركب عليه مختار الألحان، فهل ترى به بأساً؟ قال: لا بأس بحكمة الشعر مع حكمة الألحان»[1].

«مالك بن جابر بن ثعلبة الطائي، ابو الوليد:احد المغنين المقدمين في العصر الاموي وشطر من العصر العباسي اخذ صناعة الغناء عن معبد، وانقطع الى عبد الله ابن جعفر بن ابي طالب»[2].

معبد، أحد أشهر مغني بني أمية، كان على ما يبدو تلميذاً للسائب خاثر؛ يقال في «أخبار معبد: مولى معاوية بن أبي سفيان. غنى معبد في أيام بني أمية في أوائلها، ومات في أيام الوليد بن يزيد بدمشق. قال أبو الفرج الأصفهاني: إنه لما مات خرجت سلامة جارية الوليد بن يزيد بن عبد الملك وأخذت بعمود السرير والناس ينظرون إليها وهي تندبه [بصوت] وكان معبد قد علمها هذا الصوت فندبته به. قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي: كان معبد من أحسن الناس غناءً، وأجودهم صنعة، وأحسنهم حلقاً؛ وهو إمام أهل المدينة في الغناء، وأخذ عن سائب خاثرٍ ونشيط الفارسي مولى عبد الله بن جعفر، وعن جميلة مولاة بهز بطن من بني سليم»[3].

من ناحية أخرى، نشيط الفارسي كما يذكر أحد المراجع: «كان لعبد

(1) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 894؛ ابن رأس غنمة الاشبيلي، مناقل الدرر ومنابت الزهر، 80.
(2) الزركلي، الأعلام، 824.
(3) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 484.

الله بن جعفر، غلام فارسي... وكان يغني بالفارسية ويضرب على غنائه بالعود، ثم فصح فغنى بالعربية، وعنهُ وعن سائب خاثر أخذ معبد الغناء، ولنشيط أغان نسبت إلى معبد»[1].

مطرب يذكره أحد المراجع هو «مالك بن أبي السمح من طيء من ساكني المدينة، وكان أخواله من بني مخزوم، وكان يتيماً في حجر عبد الله بن جعفر، فأخذ الغناء عن معبد، وكان يغني مرتجلاً، وعاش حتى أدرك دولة بني العباس»[2].

بديح، هو واحد من أشهر المغنين عند ابن جعفر؛ يقول الجاحظ: «وكان لعبد الله بن جعفر الطّيار جوارٍ يتغنَّيْن، وغلامٌ يقال له «بديع» يتغنّى، فعابه بذلك الحكم بن مروان، فقال: وما عليَّ أن آخذ الجيِّد من أشعار العرب وأُلقيه إلى الجواري فيترنَّمن به ويشذِّرنه بحلوقهنَّ ونغمهنَّ!»[3].

وكان ابن الأثير قد ذكر أيضاً عن «محمد بن عامر: لام معاوية عبد الله بن جعفر على الغناء، فدخل عبد الله على معاوية ومعه بديح ومعاوية واضع رجلاً على رجل، فقال عبد الله لبديح: إيهاً يا بديح! فتغنى، فحرك معاوية رجله، فقال عبد الله: مه يا أمير المؤمنين! فقال معاوية: إن الكريم طروبٌ[4]»[5].

---

(1) البلاذري، أنساب الأشراف، 264.

(2) البلاذري، أنساب الأشراف، 256.

(3) الجاحظ، الرسائل،118.

(4) ابن الأثير المؤرخ، الكامل في التاريخ، 650؛ راجع: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1227؛ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 672.

(5) وقال المدائني عن محمد بن عامرٍ: عاتب معاوية عبد الله بن جعفر على الاستهتار بالغناء والطرب، فدخل عليه يوماً ومعه بُديح المليح، مولى آل الزبير ويقال مولاه،

«قال [معاوية لعبد الله بن جعفر عن بديح يوماً]: إن أذني عليلة، فمره أن يرجع إلى مجلسه، وكان مجلس بديح المغني، فأمره عبد الله بن جعفر، فرجع إلى موضعه، فقال له معاوية: داو أذني من علتها، فتناول العود وغنى... قال: فحرك عبد الله بن جعفر رأسه، فقال له معاوية: لم حركت رأسك يا ابن جعفر؟ قال: أريحية أجدها يا أمير المؤمنين لو لقيت لأبليت، ولو سئلت لأعطيت، وكان معاوية قد خضب. قال، فقال ابن جعفر لبديح: هات غير هذا، وكان عند معاوية جارية من أعز جواريه عليه، وكانت تتولى خضابه، فغنى بديح... فطرب معاوية طرباً شديداً، وجعل يحرك رجله، فقال له ابن جعفر يا أمير المؤمنين إنك سألتني عن تحريك رأسي، فأجبتك وأخبرتك، وأنا أسألك عن تحريك رجلك، فقال: كل كريم طروب، ثم قام، وقال: لا يبرح أحد منكم حتى يأتي له إذني، ثم ذهب، فبعث إلى ابن جعفر بعشرة آلاف دينار ومائة ثوب من خاصة كسوته، وإلى كل رجل منهم بألف دينار وعشرة أثواب». وحدث ابن الكلبي، والهيثم بن علي قالا: بينما عبد الله بن جعفر في بعض أزقة المدينة إذ سمع غناء، فأصغى إليه، فإذا صوت رقيق لقينة تغني وتقول:

فلما كان على باب البيت الذي فيه معاوية قال: يا بديح قل، فتغنى وجعل يقرع حلقة الباب ويوقع بها، وجعل معاوية يحرك رجليه، فقال عبد الله: ما هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: إن الكريم طروب... قدم معاوية المدينة، فأمر حاجبه أن يأذن للناس، فخرج فلم ير أحداً، فأعلمه قال: فأين الناس؟ قيل: عند عبد الله بن جعفر في مأدبة له، فأتاه معاوية، فلما جلس قال بعض المدنيين لسائب خاثر: لك مطرفي إن غنيت ومشيت بين السماطين، ففعل وغنى بشعر حسان بن ثابت:

لنا الجفنات الغرّ يلمعن بالضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دماً

فأعجب معاوية ذلك واستحسنه وأخذ السائب المطرف- (البلاذري، أنساب الأشراف، 267).

قل للكرام ببابنا يلجوا ما في التصابي على الفتى حرج

فنزل عبد الله عن دابته، ودخل على القوم بلا إذن، فلما رأوه قاموا إجلالا له، ورفعوا مجلسه، فأقبل عليه صاحب المجلس، وقال يا ابن عم رسول الله ﷺ أتدخل مجلسنا بلا إذن، وليس هذا من شأنك؟ فقال عبد الله: لم أدخل إلا بإذن. قال: ومن أذن لك؟ قال: قينتك هذه سمعتها تقول: قل للكرام ببابنا يلجوا، فولجنا، فإن كنا كراماً، فقد أذن لنا، وإن كنا لئاماً خرجنا مذمومين، فقبل صاحب المنزل يده، وقال: جعلت فداك، والله ما أنت إلا من أكرم الناس، فبعث عبد الله إلى جارية من جواريه، فحضرت ودعا بثياب وطيب، فكسا القوم، وطيبهم، ووهب الجارية لصاحب المنزل، وقال: هذه أحنت بالغناء من جاريتك»[1].

يضيف أبو الفداء تفاصيل أخرى، فيقول: «ومعاوية أول خليفة بايع لولده، وأول من وضع البريد، وأول من عمل المقصورة في مسجد، وأول من خطب جالساً، في قول بعضهم، وكان عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ممن يرى سماع الأوتار والغناء، وهو رأى أهل المدينة، وكان معاوية ينكر ذلك عليه، فدخل ابن جعفر يوماً على معاوية ومعه بديح المغني، فقال ابن جعفر لبديح: غنِّ، فغنى بشعر كان يحبه معاوية... فطرب معاوية وتحرك، وضرب برجله الأرض، فقال له ابن جعفر: مَهْ يا أمير المؤمنين. فقال معاوية: إنّ الكريم لطروب»[2]، وقال معاوية:

---

(1) الأبشيهي، المستطرف من كل فن مستظرف، 388؛ ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، 265؛ الحصري، جمع الجواهر في الملح والنوادر، 22؛ ابن رأس غنمة الاشبيلي، مناقل الدرر ومنابت الزهر، 81.

(2) أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، 131.

أعنت على علي بثلاث كان رجلاً ظهرت علته، وكنت كتوماً لسري. وكان في أخبث جند، وأشده خلافاً وكنت في أطوع جند وأقله خلافاً. وخلا بأصحاب الجمل فقلت: إن ظفر بهم أعددت ذلك عليه وَهْنا، وإن ظفروا به، كانوا أهوَنَ شوكةَ عليّ منه».

«وكان بديح أحلى الناس وأذكاهم»[1].

عزة الميلاء واحدة من أشهر مطربات زمنها والتي عملت برعاية ابن جعفر؛ يحدّثنا الأغاني: «قدم عبد الله بن جعفر على معاوية وافداً، فدخل عليه إنسانٌ ثم ذهب إلى معاوية فقال: هذا ابن جعفر يشرب النبيذ[2]، ويسمع الغناء، ويحرك رأسه عليه. فجاء معاوية متغيراً حتى دخل على ابن جعفر، وعزة الميلاء بين يديه كالشمس الطالعة في كواء البيت يضيء بها البيت، تغنيه على عودها... وبين يديه عسٌ؛ فقال: ما هذا يا أبا جعفر؟

---

(1) الحُصري، جمع الجواهر في الملح والنوادر، 22.

(2) أما في عهد الأمويين، فإن يزيد بن معاوية كان يدمن شرب الخمر، فلا يمسي إلا سكران، ولا يصبح إلا مخموراً، وكان عبد الملك يسكر في كل شهر مرة، حتى لا يعقل في السماء هو أو في الماء، وكان الوليد بن عبد الملك يشرب يوماً، ويدع يوماً، وكان سليمان ابن عبد الملك، يشرب في كل ثلاث ليال ليلة، وكان هشام يكسر في كل جمعة، وكان يزيد بن عبد الملك والوليد بن يزيد يدمنان الشرب واللهو، وكان مروان بن محمد يشرب ليلة الثلاثاء وليلة السبت... أما العباسيون، فقد كان أبو العباس يشرب عشية الثلاثاء وحدها، وكان المهدي، والهادي يشربان يوماً، ويدعان يوماً، وكان الرشيد يشرب في كل جمعة مرتين، وكان المأمون في أول أيامه يشرب الثلاثاء والجمعة، ثم أدمن الشراب عند خروجه إلى الشام في السنة 215 إلى أن توفي، وكان المعتصم لا يشرب يوم الخميس ولا يوم الجمعة، وكان الواثق ربما أدمن الشراب وتابعه، غير أنه لم يكن يشرب ليلة الجمعة، ولا في يومها. (الجاحظ، التاج في أخلاق الملوك - 151 153).

قال: أقسمت عليك يا أمير المؤمنين لتشربن منه[1]، فإذا عسلٌ مجدوحٌ بمسك وكافور. فقال: هذا طيبٌ، فما هذا الغناء؟ قال: هذا شعر حسان بن ثابت في الحارث بن هشام. قال: فهل تغني بغير هذا؟ قال: نعم، بالشعر الذي يأتيك به الأعرابي الجافي الأدفر، القبيح المنظر، فيشافهك به، فتعطيه عليه؛ وآخذه أنا، فأختار محاسنه ورقيق كلامه، فأعطيه هذه الحسنة الوجه، اللينة اللمس، الطيبة الريح، فترتله بهذا الصوت الحسن. قال: فما تحريكك رأسك؟ قال: أريحيةٌ أجدها إذا سمعت الغناء، لو سئلت عندها لأعطيت، ولو لقيت لأبليت. فقال معاوية: قبح الله قوماً عرضوني لك. ثم خرج وبعث إليه بصلةٍ»[2].

---

(1) أقول: الذي قرأته في الأغاني 6-77 أن هشام بن عبد الملك لم يكن يشرب، ولا يسقي أحداً بحضرته مسكراً، وكان ينكر ذلك ويعاقب عليه، وأن أبا جعفر المنصور لم يكن يشرب غير الماء التاج 33 ومحاضرات الأدباء 2-694، وكان المهدي لا يشرب الأغاني 5-160 لا تحرجا ولكن كان لا يشتهيه الطبري 8-160، وأن موسى الهادي وهارون الرشيد كانا مستهترين بالنبيذ نهاية الأرب 4-330، وأن الأمين كان لا يبالي مع من قعد ولا أين قعد التاج 42، أما المتوكل، فكان منهمكاً في اللذات والشراب تاريخ الخلفاء 349 وكان يعربد على جلسائه إذا سكر الطبري 9-167 أما المهتدي، محمد بن الواثق، فقد كان زاهداً ورعاً تاريخ الخلفاء 361، وكان المعتمد منهمكاً في اللهو واللذات تاريخ الخلفاء 363 وكان المقتدر مؤثراً للشهوات والشراب تاريخ الخلفاء 384 أما القاهر فكان لا يصحو من السكر تاريخ الخلفاء 386 أما المقتفي فلم يشرب النبيذ قط تاريخ الخلفاء 394 وكذلك القادر بالله تاريخ الخلفاء 412 والقائم ابنه تاريخ الخلفاء 417 والمقتدي حفيد القائم تاريخ الخلفاء 423... أما بشأن رجال الدولة، فقد ذكر أن الفضل بن يحيى البرمكي، لم يكن يشرب الخمر، وعتب عليه الرشيد، وثقل عليه مكانه لتركه الشرب معه، وكان الفضل يقول: لو علمت أن الماء ينقص من مروءتي ما شربته الطبري -8 293، وكان سيف الدولة الحمداني لا يشرب النبيذ الملح للحصري 266، وكذلك كان سيف الدولة الأسدي صدقة بن دبيس، فإنه لم يشرب مسكراً المنتظم 9-159. (القاضي التنوخي، الفرج بعد الشدة، 131).

(2) أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، 417.

نافع أحد هؤلاء المطربين؛ يقول هذا المغني: «قدمنا مع عبد الله بن جعفر مرة على معاوية، فأرسل إلي يزيد يدعوني ليلاً، فقلت: أكره أن يعلم أمير المؤمنين مكاني عندك فيشكوني إلى ابن جعفر. قال فأمهل حتى إذا سمر أمير المؤمنين فإن ابن جعفر يكون معه فلا يفتقدك ونخلو نحن بما نريد قبل قيامهما. فأتيته فغنيته، فو الله ما رأيت فتًى أشرف أريحيةً منه، والله لألقى علي من الكسا الخز والوشي وغيره ما لم أستطع حمله، ثم أمر لي بخمسمائة دينار. قال: وذهب بنا الحديث وما كنا فيه، حتى قام معاوية ونهض ابن جعفر معه، وكان باب يزيد في سقيفة معاوية، فسمع صوتي، فقال لابن جعفر: ما هذا يا بن جعفر؟ قال: هذا والله صوت نافع. فدخل علينا، فلما أحس بنا يزيد تناوم. فقال له معاوية: ما لك يا بني؟ قال: صدعت فرجوت أن يسكن عني بصوت هذا. قال: فتبسم معاوية وقال: يا نافع، ما كان أغنانا عن قدومك! فقال له ابن جعفر: يا أمير المؤمنين، إن هذا في بعض الأحايين يذكي القلب. قال: فضحك معاويةٌ وانصرف. فقال لي ابن جعفر: ويلك! هل شرب شيئاً؟ قلت: لا والله. قال: والله إني لأرجو أن يكون من فتيان بني عبد مناف الذين ينتفع بهم. قال نافع: ثم قدمنا على يزيد مع عبد الله بن جعفر بعد ما استخلف، فأجلسه معه على سريره ودخلت حاشيته تسلم عليه ودخلت معهم. فلما نظر إلي تبسم. ثم نهض ابن جعفر وتبعناه. فقيل له: نظر إلى نافعٍ وتبسم. فقال ابن جعفر: هذا تأويل تلك الليلة. فقضى حوائج ابن جعفَر وأضعف ما كان يصله به معاويةٌ. فلما أراد الانصراف أتاه يودعه ونحن معه، فأرسل إلي يزيد فدخلت عليه. قال: ويحك يا نافع! ما أخرتك إلا لأتفرغ لك. هات لحنك... فأسمعته، فقال: أعد ويلك! فأعدته، ثم قال: أعد فأعدته

ثلاثاً. فقال: أحسنت، فسل حاجتك، فما سألته في ذلك اليوم شيئاً إلا أعطانيه»[1]. ويقول الأغاني: «لنافع الخير مولى عبد الله بن جعفر لحناً من الثقيل الأول»[2].

عمارة واحدة من أشهر مغنيات عبد الله بن جعفر؛ يقال «عمارة جارية ابن جعفر كانت من مشاهير نساء عصرها حسناً وجمالاً ولها اليد الطولى في صنعة الغناء، وكان سيدها وجد بها وجداً شديداً... لا يستطيع فراقها سفراً أو حضراً؛ فقدم على معاوية سنة من السنين لأخذ حقه، فزاره يزيد، فغنت الجارية بحضرته فأخذت بمجامع قلبه وتمكن حبها من نفسه؛ وكان ذا دهاء فكتم أمرها. فلما أفضت إليه الخلافة استشار أهل سره فيأمرها وأنه لا يهنأ له قرار دونها؛ فقالوا له: إن ابن جعفرعند الناس بمنزلة وتعرف ما كان عليه من أبيك ولا نأمن عليك في ذلك فالزم المهلة واجتهد فيها الحيلة»[3]. «فبعث يزيد رجلاً من أهل العراق وأمره أن يتطلع في أمر هذه الجارية، فقدم الرجل المدينة ونزل جوار ابن جعفر وأهدى إليه هدايا وتحفاً كثيرة، وأنس به، ولا زال حتى أخذ الجارية وأتى يزيد. وكان الحسن البصري يذم ابن جعفر على سماعه الغنى واللهو وشرائه المولدات، ويقول: أما يكفيه هذا الأمر القبيح المتلبس به من هذه الأشياء وغيرها؟ حتى زوج الحجاج بنت رسول الله ﷺ وكان الحجاج يقول إنما تزوجتها لأذل بها آل أبي طالب»[4].

---

(1) السابق، 858.

(2) السابق، 857.

(3) زينب فواز، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، 266.

(4) ابن كثير، البداية والنهاية، 3156؛ أنظر: ابن الجوزي، المنتظم، 783.

وفي نص أن يزيداً «قال: انظروا لي رجلاً عراقياً له أدب وظرف ومعرفة، فطلبوه، فأتوه به. فلما دخل رأى بياناً وحلاوة وفهماً، فقال يزيد: إني دعوتك لأمر إن ظفرت به فهو حظك عندي آخر الدهر، ويد أكافئك عليها إن شاء الله. ثم أخبره بأمره، فقال له:إن عبد الله بن جعفر لا يرام ما قبله إلا بالخديعة، ولن يقدر أحد على ما سألت فأرجو أن أكونه، والقوة بالله، فأعني بالمال. قال: خذ ما أحببت، فأخذ من طرف الشام وثياب مضر، واشترى متاعاً للتجارة من رقيق ودواب وغير ذلك، ثم شخص إلى المدينة، فأناخ بعرصة عبد الله بن جعفر، واكترى منزلاً إلى جانبه، ثم توسل إليه، وقال: رجل من أهل العراق قدمت بتجارة فأحببت أن أكون في عز جوارك وكنفك إلى أن أبيع ما جئت به، فبعث عبد الله بن جعفر إلى قهرمانه: أن أكرم الرجل ووسع عليه في منزله فأنزله. فلما اطمأن العراقي سلم عليه وعرفه نفسه، وهيأ له بغلة فارهة وثياباً من ثياب العراق وألطافاً، فبعث به إليه، وكتب معها: يا سيدي، إني رجل تاجر، نعم الله علي سابغة، وقد بعثت إليك بشيء من طرف وكذا من الثياب والعطر، وبعثت ببغلة خفيفة العنان وطية الظهر، وأنا أسألك بقرابتك من رسول الله ﷺ إلا قبلت هديتي، ولا توحشني بردها، إني أدين لله تعالى بحبك وحب أهل بيتك، وإن أعظم أملي في سفرتي أن أستفيد الأنس بك، والتحرم بمواصلتك. فأمر عبد الله بقبض هديته وخرج إلى الصلاة، فلما رجع مر بالعراقي في منزله، فقام إليه وقبل يده، فرأى أدباً وظرفاً وفصاحة، فأعجب به وسر بنزوله عليه، فجعل العراقي في كل يوم يبعث إلى عبد الله بطرف، فقال عبد الله: جزى الله ضيفنا هذا خيراً، قد ملأنا شكراً وما نقدر على مكافأته.

فإنه لكذلك إلى أن دعاه عبد الله، ودعا بعمارة في جواريه، فلما طاب لهما المجلس وسمع غناء عمارة تعجب وجعل يزيد في عجبه، فلما رأى كذلك عبد الله سر به إلى أن قال: هل رأيت مثل عمارة؟ قال: لا والله يا سيدي ما رأيت مثلها، وما تصلح إلا لك، وما ظننت أن تكون في الدنيا مثل هذه الجارية، حسن وجه، وحسن عمل، قال: فكم تساوي عندك؟ قال: ما لها ثمن إلا الخلافة، فقال: تقول هذا لتزين لي رأيي فيها وتجلب سروري، قال له: يا سيدي، والله إني لأحب سرورك وما قلت لك إلا الجد، وبعد فإني تاجر أجمع الدرهم على الدرهم طلباً للربح، ولو أعطيتها بعشرة آلاف دينار لأخذتها، فقال عبد الله: عشرة آلاف؟ قال: نعم. ولم يكن في ذلك الزمان جارية تعرف بهذا الثمن. فقال له عبد الله: أنا أبيعكها بعشرة آلاف، قال: قد أخذتها، قال: هي لك، قال: قد وجب البيع. وانصرف العراقي، فلما أصبح عبد الله لم يشعر إلا بالمال قد وافى به، فقال لعبد الله: قد بعث العراقي بعشرة آلاف دينار؛ وقال: هذا ثمن عمارة، فردها وكتب إليه إنما كنت أمزح معك، وإنما أعلمك أن مثلي لا يبيع مثلها. فقال: جعلت فداك، إن الجد والهزل في البيع سواء، فقال له عبد الله: ويحك ما أعلم جارية تساوي ما بذلت، ولو كنت بايعها من أحد لآثرتك ولكني كنت مازحاً وما أبيعها بملك الدنيا لحرمتها بي وموضعها من قلبي، فقال العراقي: إن كنت مازحاً فإني كنت جاداً، وما أطلعت على ما في نفسك، وقد ملكت الجارية وبعثت إليك بثمنها، وليست تحل لك، وما لي من أخذها بد، فمانعه أياماً، فقال: ليست لي بينة ولكني أستحلفك عند قبر رسول الله ﷺ ومنبره. فلما رأى عبد الله الجد، قال: بئس الضيف أنت، ما طرقنا طارق

وما نزل بنا نازل أعظم بلية منك، أتحلفني فيقول الناس: اضطهد عبد الله ضيفه وقهره فألجأه إلى أن استحلفه، أما والله ليعلمن الله عز وجل أني سأبليه في هذا الأمر الصبر وحسن العزاء، ثم أمر قهرمانه بقبض المال منه وتجهيز الجارية. فجهزت بنحو من ثلاثة آلاف دينار، وقال: هذا لك ولك عوضاً مما ألطفتنا، والله المستعان. فقبض العراقي الجارية وخرج بها، فلما برز من المدينة قال لها: يا عمارة، إني والله ما ملكتك قط ولا أنت لي، ولا مثلي يشتري جارية بعشرة آلاف دينار، وما كنت لأقدم على ابن عم رسول الله ﷺ وأسلبه أحب الناس إليه لنفسي، ولكني دسيس من يزيد بن معاوية، وأنت له، وفي طلبك بعث بي، فاستتري مني، فإن داخلني الشيطان في أمرك أو تاقت نفسي إليك فامتنعي»[1].

«ثم مضى بها حتى ورد دمشق، فتلقاه الناس بجنازة يزيد وقد استخلف ابنه معاوية بن يزيد، فأقام أياماً ثم تلطف للدخول إليه فشرح له القصة. ويروى أنه لم يكن أحد من بني أمية يعدل بمعاوية بن يزيد في زمانه نبلاً ونسكاً، فلما أخبره قال: هي لك وكل ما دفعه لك من أمرها فهو لك، فارحل من يومك فلا أسمع بخبرك في شيء من بلاد الشام.

فرحل العراقي ثم قال للجارية: إني قد قلت لك ما قلت حين خرجت بك من المدينة، فأخبرتك أنك ليزيد وقد صرت لي، وأنا أشهد الله أنك لعبد الله بن جعفر، وإني قد رددتك عليه فاستتري مني. ثم خرج بها حتى قدم المدينة، فنزل قريباً من عبد الله، فدخل عليه بعض خدمه فقال له: هذا العراقي ضيفك الذي صنع ما صنع، وقد نزل العرصة لا حياه الله. فقال

(1) ابن الجوزي، المنتظم، 784.

عبد الله: مه، انزلوا الرجل وأكرموه، فلما استقر بعث إلى عبد الله: جعلت فداك إن رأيت أن تأذن لي أذنة خفيفة أشافهك بشيء فعلت، فأذن له، فلما دخل عليه قبل يده وقربه عبد الله، ثم قص عليه القصة حتى إذا فرغ قال: والله وهبتها لك قبل أن أراها أو أضع يدي عليها فهي لك ومردودة عليك، وقد علم الله تعالى أني ما رأيت لها وجهاً إلا عندك، وبعث إليها فجاءت، وجاء بما جهزها به موفراً. فلما نظرت إلى عبد الله خرت مغشية عليها، وأهوى إليها عبد الله فضمها إليه، وخرج العراقي، وتصايح أهل الدار: عمارة عمارة. فجعل عبد الله يقول ودموعه تجري: أحلم هذا، أحق هذا، أصدق هذا، قال العراقي: ردها عليك إيثارك الوفاء، وصبرك على الحق وانقيادك له. فقال عبد الله: الحمد لله، اللهم إنك تعلم أني قد تصبرت عنها وأثرت الوفاء، وأسلمت لأمرك فرددتها على يمنك، فلك الحمد. ثم قال: يا أخا العراق، ما على الأرض أعظم منة منك، وسيجازيك الله تعالى. وأقام العراقي أياماً وباع عبد الله غنماً بثلاثة عشر ألف دينار، وقال لقهرمانه: احملها إليه، وقل له: أعذر عبد الله، واعلم أني لو وصلتك بكل ما أملك لرأيتك أهلاً لأكثر منه، فرحل العراقي محموداً»[1].

«وحكى في الأغاني عن ابن أبي مليكة عن جده، قال كان في المدينة رجل ناسك كثير العبادة، فمر يوماً بجارية تغني شعر أعشى بني قيس... فهام حتى كاد أن يخرج عقله وذهب إليه عطاء وطاوس يلومانه في ذلك... وسمع ابن جعفر بذلك فاشترى الجارية بأربعين ألف درهم، ثم

(1) ابن الجوزي، المنتظم، 785؛ أنظر: ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 1650؛ المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، 223 - 224؛ داود الأنطاكي، تزيين الأسواق في أخبار العشاق، 107.

احضر الناسك وكان الصوت الذي سمعه من الجارية بتلحين عزة الميلاء فأحضرها وقال له تحب أن تسمع الصوت من صاحبته، قال نعم فأمرها فغنت فسقط مغشياً عليه»[1].

يقول نص: «كان عبيد بن شريح مولى بني ليث من كنانة، ويكنى أبا يحيى ويلقب وجه الباب لأنه كان مترّكاً وكان منقطعاً إلى عبد الله بن جعفر، وهو الذي تغنى:

تقدت بي الشهباء نحو ابن جعفر سواء عليها ليلها ونهارها

قال هشام: وكان موسى شهوات منقطعاً إلى ابن جعفر أيضاً، وإنما سمي شهوات لأنه قال في يزيد بن معاوية شعراً له:

يا مضيع الصلاة للشهوات

وقال غير هشام: كان يتشهى على عبد الله الشهوات فلقب شهوات... مر عبد الله بن جعفر ومعه عدة من أصحابه بمنزل رجل قد أعرس وإذا مغنيهم يقول:

قل لكرام ببابنا يلجوا من قبل ما أن تغلق الرتج

فقال عبد الله لأصحابه: لجوا قد أذن لنا القوم فنزل ونزلوا فدخلوا: فلما رآه ربُّ المنزل تلقاه وأجلسه على الفرش فاستمع طويلاً ثم قال للرجل: كم أنفقت في وليمتك؟ قال: مائتي دينار. قال وكم مهر امرأتك؟ قال: كذا. فأمر له بمائتي دينار وبمهر امرأته وبمائة دينار بعد ذلك معونة له، فاعتذر إليه ثم انصرف.

---

(1) داود الأنطاكي، تزيين الأسواق في أخبار العشاق، 108؛ راجع أيضاً: السرّاج القارئ، مصارع العشاق، 154.

قال بُديح: أتى ابن قيس الرقيات منزل عبد الله بن جعفر (عليهما السلام)؛ فقال؛ يا بُديح استأذن لي. قال: فوجدته نائماً فجئت فوضعت وجهي بين قدميه، ثم نبحت نباح الكلب الهرم، فقال: مالك ويلك؟ قلت: جعلني الله فداك ابن قيس بالباب وكرهت أن يرجع حتى يدخل إليك.

فقال: أحسنت أدخله فدخل... فقال: يا بديح أجر على الشهباء وصاحبها نزلاً واسعاً، وأمر لابن قيس بسبع مائة دينار ومطرف خزّ مملوء ثياباً من خز ووشي.

عشق عبد الرحمن بن أبي عمار فعذله عطاء وطاووس ومجاهد، فقال:

يلومني فيك أقوام أجالسهم فما أبالي أطَار اليوم أو وقعا

فابتاعها عبد الله بن جعفر، فلما لقيه قال: ما فعل حب فلانة؟ قال: مخالط اللحم والدم والمخّ والعصب. فوهبها له، وأمر له بمائة ألف درهم وقال: إنما أمرت لك بها لئلا تُتَّهم بها وتُتَّهم بك»[1].

حتى وقت متأخر نجد ابن جعفر ملاماً على علاقته بالغناء؛ «قال:عبد الملك بن مروان لعبد الله بن جعفر: يا أبا جعفر بلغني أنك تسمع الغناء على المعازف والعيدان؛ وأنت شيخ؟! قال: أجل يا أمير المؤمنين، وإنك لتفعل أقبح من ذلك، قال: وما هو؟: قال: يأتيك أعرابي أهلب العجان، منتن الريح فيقذف عندك المحصنة ويقول البهتان؛ ويطيع الشيطان، فتعطيه على ذلك المائة من الإبل وأكثر، وأنا أشتري الجارية بمالي حلالاً، ثم أتخير لها جيد الشعر فترجعه بأحسن النغم؛ فما بأس بذلك»[2]. «قال: لا بأس! ولكن

(1) البلاذري، أنساب الأشراف، 268.
(2) البلاذري، أنساب الأشراف، 267.

أخبرني عن هذه الأغاني ما تصنع؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، اشتريت جارية باثني عشر ألف درهم وكانت مطبوعة، وكان بديح وطويس يأتيانها، فيطرحان عليها أغانيهما، فعلقت منهما حتى غلبت عليهما؛ فوصفت ليزيد بن معاوية، فكتب إلي: أما أهديتها [إلي] وأما بعتها بحكمك، فكتبت إليه: أنها لا تخرج عن ملكي ببيع ولا هبة! فبذل لي فيها ما كنت احسب أن نفسه لا تسخو به، فأبيت عليه، فبينما هي عندي على تلك الحال، إذ ذكرت لنا عجوز من عجائزنا، أن فتى من أهل المدينة تسمع غناءها، فعلقها وشغف بها، وأنه يجيء كل ليلة مستتراً، فيقف بالباب حتى يسمع غناءها وينصرف، فراعيت مجيئه، فإذا الفتى قد اقبل مقنع الرأس، فأشرفت عليه وقد قعد مستخفياً، فلم أدع بها تلك الليلة، وأنا أتأمل موضعه، فبات مكانه الذي كان فيه، فلما انشق الفجر اطلعت عليه، فإذا هو في موضعه، فدعوت قيمة الجارية، فقلت: انطلقي الساعة فزيني هذه الجارية، وأصلحي من شأنها وعجلي بها إلي، فلما جاءت بها نزلت وفتحت الباب وحركت الفتى، فانتبه مذعوراً؛ فقلت له: لا بأس عليك! خذ بيد هذه الجارية فهي لك، وإن هممت ببيعها فردها إلي! فدهش وأخذه [الخبل] ولبط به؛ فدنوت منه! فقلت: ويحك! قد أظفرك الله ببغيتك، فقم فانطلق إلى منزلك، فإذا الفتى قد فارق الدنيا، فلم أر شيئاً قط أعجب من ذلك! ولولا إني رأيته ما حققت ذلك من أحد»[1]. «قال عبد الملك: وأنا والله لولا ما سمعت منك ما صدقت به فما صنعت بالجارية؟ قال: تركتها عندي، وكنت إذا ذكرت الفتى لم أجد لها في قلبي مكاناً، وكرهت أن أوجه بها إلى يزيد، فيبلغه حالها، فيحقد علي، ذلك فما زالت على حالها معي حتى ماتت»[2].

---

(1) ابن رأس غنمة الاشبيلي، مناقل الدرر ومنابت الزهر، 81.
(2) السابق، 82؛ أنظر: الأبشيهي، المستطرف من كل فن مستظرف، 405.

كان واضحاً أن «حرفة» عبد الله بن جعفر هي التكسّب من الغانيات؛ «قال عبد الله بن جعفر لرجل: لو غنتك فلانة جاريتي صوت كذا ما أدركت دكانك»[1].

وفي رواية، «كان عبد الله بن جعفر إذا غنته الجارية يقول: أحسنت إلي والله، وكان يتأثم أن يقول: أحسنت والله»[2].

وهكذا، كان الرجل عرضة لنقد شديد؛ «ومن مروج الذهب: وفد عبد الله بن جعفر على معاوية بدمشق، فعلم به عمرو بن العاص قبل دخوله دمشق بأيام، أخبره بذلك مولى له، كان قد سار مع ابن جعفر من الحجاز فتقدمه بمرحلتين إلى دمشق، فدخل عمرو على معاوية وعنده من قريش من بني هاشم وغيرهم: منهم عبد الله بن الحارث بن عبد المطلب، فقال عمرو: قد أتاكم رجل كثير الخلوات بالتمني، والطرقات بالتغني، آخذ للسلف، منقاد بالسرف، فغضب عبد الله بن الحارث، وقال لعمرو: كذبت وأهل ذلك أنت ليس عبد الله كما ذكرت، ولكنه لله ذكور، ولبلائه شكور وعن الخنا [نفور] مهذب ماجد كريم سيد حليم، أن ابتدأ أصاب، وان سئل أجاب، غير حصير ولا هياب ولا فحاش ولا سباب، كالهزبر الضرغام، الجريء المقدام، في السيف الصمصام، والحسيب القمقام، وليس كمن اختصم فيه من قريش شرارها، فغلب عليها جزّارها، فأصبح الأمها حسباً، وأدناها منصباً، يلوذ منها بذليل، ويأوي إلى قليل، ليت شعري بأي يد تتناول؟ أو بأي قدم تتعرض؟ غير انك تعلو بغير أركانك، وتتكلم بغير لسانك، ولقد كان أبر في الحكم، وأبين في الفضل، بان

(1) ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، 135.
(2) الآبي، نثر الدر، 95.

يكفك ابن أبي سفيان عن ولوعك بأعراض قريش، [وإن يكعمك] كعام الضبع في وجارها فلست بأعراضها بوفي، ولا لأحسابها بكفي، فقد أتيح لكم ضيغم شرس، للأقران مختلس، وللأرواح مفترس، فهمّ عمرو أن يتكلم، فمنعه معاوية من ذلك، وقال عبد الله بن الحارث: لا يبق المرء إلا على نفسه، والله إن لساني لحديد، وإن جوابي لعتيد، وإن قولي لسديد، وإن أنصاري لشهود، فقام معاوية وتفرق القوم»[1].

معاوية بن عبد الله بن جعفر:

«ولما ولد علي بن عبد الله ولد معه في تلك السنة لعبد الله بن جعفر غلام فسماه علياً، وكناه بأبي الحسن، فبلغ معاوية[2] فوجه إليهما أن انقلا اسم أبي تراب وكنيته عن ابنيكما، وسمّياهما باسمي، وكنياهما بكنيتي، ولك واحد منكما ألف ألف درهم. فلما قدم الرسول عليهما بهذه الرسالة سارع إلى ذلك عبد الله بن جعفر فسمى ابن معاوية، وأخذ ألف ألف درهم»[3]. وفي رواية أخرى: «ولد أبو محمد علي بن عبد الله سنة أربعين بعد قتل علي بن أبي طالب عليه السلام، فسماه عبد الله بن العباس علياً وكناه أبي الحسن، وولد معه في تلك السنة لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام غلامٌ

(1) ابن رأس غنمة الاشبيلي، مناقل الدرر ومنابت الزهر، 80.

(2) سمي عبد الله بن جعفر ابنه معاوية بن أبي سفيان. قال: وكان معاوية بن عبد الله بن جعفر صديقاً ليزيد بن معاوية خاصة، فسمى ابنه بيزيد بن معاوية . (أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، 1373)؛ ولد لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب ولد ذكر، فبشر به وهو عند معاوية بن أبي سفيان، فقال له معاوية، سمه باسمي ولك خمسمائة ألف درهم، فسماه معاوية، فدفعها إليه، وقال اشتر بها لسمي ضيعة. (ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،2064).

(3) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 2454.

فسمَّاه علياً وكنّاه بأبي الحسن. فبلغ ذلك معاوية فوجَّه إليهما أن انقلا اسم أبي تراب وكنيته عن ابنيكما وسمياهما باسمي وكنّياهما بكنيتي، ولكلٍّ واحدٍ منكما ألف ألف درهم. فلما قدم الرسول عليهما بهذه الرسالة سارع إلى ذلك عبد الله بن جعفر فسمَّى ابنه معاوية[1] وأخذ ألف ألف درهم، وأما عبد الله بن عباس فإنه أبى ذلك»[2]. و«عن ابن عباس قال: قلت لمولى لمعاوية بن عبد الله بن جعفر: ليس معاوية من أسمائكم فكيف سمى عبد الله بن جعفر ابنه معاوية؟ فقال: إن معاوية بن أبي سفيان كان محباً لعبد الله بن جعفر، فسمى معاوية بن عبد الله باسمه ليكرمه بذلك... سمى عبد الله بن جعفر ابنه معاوية تقرباً بذلك إلى معاوية بن أبي سفيان، فأمر له معاوية بمائة ألف درهم، وأمر لعبد الله بخمسمائة ألف درهم. ويقال أن عبد الله بن جعفر وفد على معاوية فجرى الحديث حتى أعلمه أن له حملاً، فقال: إن كان ذكراً فقد سميته معاوية، وإن كان أنثى فقد سميتها هنداً»[3].

البغيبغة:

«عن أبي جعفر قال: خطب معاوية بن أبي سفيان إلى عبد الله بن

---

(1) بالمقابل، ينقل لنا أن علياً في صفين «قال لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب: قُم. فقام فحمد الله وأثنَى عليه، وقال: أيها الناس، إنّ هذا الأمر كان النظر فيه إلى عليّ، والرّضا إلى غيره. فَجئتم إلى عبد الله بن قَيس مُبرنساً فقلتم: لا نَرضى إلا به. وايم الله، ما استفدنا به علماً، ولا انتظر نامنه غائبَاً، وما نَعرفه صاحباً. وما أفسدا بها فعلا أهلَ العراق، وما أصلحا أهل الشام، ولا وَضعا حق عليّ، ولا رفعا باطل معاوية، ولا يُذهب الحق رُقية راق، ولا نَفَحة شيطان، ونحن اليوم على ما كُنّا عليه أمس». (ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 618).

(2) المعافى بن زكريا، جليس الصالح والأنيس الناصح، 479.

(3) البلاذري، أنساب الأشراف، 263.

جعفر ابنته من زينب[1] ابنة علي وأمها فاطمة؛ وقال له معاوية: أقضي عنك دينك، فوعده، فقال عبد الله: إن علي أميراً لست أستطيع أن أزوجها حتى استأمره، فقال له معاوية: فاستأمره، وأتى حسين بن علي وقال: إن معاوية خطب إلي ابنتي ووعدني قضاء ديني، وإنما أنت والد، أنت خالها فما ترى؟ قال له: أحب أن تجعل أمرها بيدي، قال: هو بيدك، قال: فدخل حسين بن علي على الجارية فقال: إن أباك قد جعل أمرك بيدي فاجعلي أمرك بيدي، فقالت: هو بيدك، فخرج حسين فقال: اللهم أقدر لها خير من تعلم، فلقي شاباً منهم فقال: يا فلان اجعل أمرك بيدي، فقال: هو بيدك.

وكتب معاوية إلى مروان بن الحكم، وهو أمير المدينة: إنني خطبت إلى أبي جعفر ابنته فاشترط رضى حسين فادعه إليك حتى يسلم، فجمع مروان الناس وجاء بالدف والسكر، ودعا حسيناً فقال: إن أمير المؤمنين كتب إلي أنه خطب إلى عبد الله بن جعفر، واشترط رضاك، فسلم له، فحمد الله حسين وأثنى عليه ثم قال: أشهدكم أني قد زوجتها فلاناً يعني الشاب الذي لقيه، فقال مروان: أبيتم يا بني هاشم إلا غدرا، فقال له حسين: نشدتك بالله هل تعلم أن الحسن بن علي خطب ابنة عثمان بن عفان فاجتمع الناس مثل اجتماعهم الآن، وحضر الحسن لذلك، فجئت أنت فخطبت ثم زوجتها غيره؟ فقال: نعم، قال الحسين: فمن الغادر نحن أم أنتم، ثم أعطى حسين عبد الله بن جعفر أرضاً له يقال لها البغيبغة فباعها

---

(1) كانت زينب ابنة علي تحت عبد الله ابن جعفر بن أبي طالب؛ فولدت له علي بن عبد الله بن جعفر، وأم أبيها، فتزوج أم أبيها عبد الملك بن مروان وطلقها فتزوجها علي بن عبد الله بن عباس.

من معاوية بألفي ألف، وأعطى الشاب الذي زوج أرضاً له أخرى قومت ألفي ألف، وأعطى من صلب ماله قيمة أربعة آلاف ألف»[1].

البغيبغة: «ضيعة وعين كانت لعلي بن أبى طالب...وفي حديث الزبير ﵁ بين أن الحسين ﵁ نحل البغيبغة أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر ﵄ما حين رغبها في نكاح ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر وقد خطبها معاوية ﵁ على ابنه يزيد[2]»[3].

مع ذلك، يخبرنا أحد المراجع أنه «كانت لعبد الله بن جعفر ابنة يقال لها: أم أبيها تزوّجها عبد الملك بن مروان؛ أراد عبد الله بن جعفر أن يزوج الحجاج، فأرسل إلى عمر بن علي بن أبي طالب أن أحضر حتى تزوجه؟! فأرسل إليه عمر: أن أخر ذلك إلى الليل فإني أكره أن يراني الناس في مسجد رسول الله ﷺ أزوج الحجاج، فأرسل إليه أنه لم يبق أحد يستحيي منه، ولو كان أحد يستحيى منه لم نفعل هذا، قال: وكان عمر ذا عقل ونبل»[4].

الغالية... عطر زمن معاوية:

«أول من سمى الغالية غالية معاوية بن أبي سفيان، شمها من عبد الله ابن

(1) محمد بن إسحاق، السيرة النبوية، 89.
(2) قال: لما أهديت ابنة عبد الله بن جعفر إلى يزيد بن معاوية على بغلة. (الجاحظ، البغال، 24).
(3) محمد بن عبد المنعم الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، 116؛ راجع: أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم، 184؛ ابن رأس غنمة الاشبيلي، مناقل الدرر ومنابت الزهر، 63.
(4) البلاذري، أنساب الأشراف، 269.

جعفر فوصفها له فقال إنها غالية»[1]. «وهي مسك وعنبر يُعجنان بالبان»[2]؛ «هذا الضرب من الطيب غالِيَة، فيما حكى المفضَّل بن سلمة، أن معاوية بن أبي سفيان شمها من عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فاستطابها فسأله عنها فوصفها له، فقال له: هذه غالية، فسميت غالية، وهذه حكاية ضعيفة واهية، لما رُوِيَ عن عائشة: أنها كانتْ تُطَيِّبُ النّبي ﷺ بالغالية إذا أراد أن يُحرِم، وعنها أنها قالت: كنتُ أخلل لحية النّبي ﷺ بالغالية ثم يحرم، فدلّ على أن الغالية معروفة قبل ذلك»[3].

هل فقد معاوية قدرته الجنسية؟

سؤال طرحناه في الفصل المتعلّق بمعاوية؛ هنا نحاول الاستنتاج بأن ندرة الأحاديث حول علاقات معاوية الجنسية ليس مردها العفة، بل شيء آخر!

معروف أن ثمة خطة وضعت لقتل علي بن أبي طالب، عمرو بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان؛ «وروي أن البُرَك الصَّريميُّ وزادوايهِ فارقا ابن ملجم من الكوفة على ما تعاقدوا عليه. فذهب البركُ إلى الشام إلى معاوية للفتك به، فضربه على إليته، وهو في الصلاة. فأمر به، فحُبس، وأراد قتله. فقال له البَرْك: لا تعجل واحبسني فإن في هذه الليلة قُتل علي. فقال: ويلك، وما يُدريك؟ قال: إنا تواعدنا ثلاثة لقتل علي وقتلك وقتل

(1) القلقشندي، صبح الأعشى، الصفحة : 176؛ راجع: الأبشيهي، المستطرف من كل فن مستظرف، 405.

(2) ابن سيدة، المخصص، 936 .

(3) الصفدي، تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، 80.

عمرو بن العاصي. فإن وجدت الأمر على خلاف ما قلتُ فاضرب عنقي. فوصل الخبر إلى معاوية بقتل علي، كما ذكره البرك فأطلقه بعدما قطع يده ورجله. ثم قتله بعد ذلك زياد بن سُميَّة[1] بالكوفة.

ودعا معاوية بالطبيب فقال له: إنَّ الضَّربة مسمومة فاختر لي إحدى خَصلتين؛ إما أن تصبر على الكيِّ، وأما أن أسقيك شربة تقطع عنك الولد. فقال: لا صبر لي على النار، ولي يزيد وعبد الله كفاية. فسقاه الشربة، فلم يولد له بعدها»[2]. وفي نص: «وأما البَرك: فإنه انطلق ليلة ميعادهم، فقعد لمعاوية، فلما خرج لصلاة الصبح شد عليه سيفه، فأدبر معاوية، فضرب رانفة إليته ففلقها، ووقع السيف في لحم كثير، وأخذ؛ فقال لمعاوية: إن لك عندي لخبراً ساراً، قد قتل الليلة علي، وحدثه الحديث، وعولج معاوية فبرئ، وأمر بقتل البرك، وقيل: ضرب البرك معاوية وهو ساجد، فمذ ذاك جعل الحرس على رؤوس الخلفاء، واتخذ معاوية المقصورة»[3].

بيعة يزيد وموقف ابن جعفر:

رغم أنّ الشواهد الكثيرة المذكورة آنفاً تشير إلى علاقة جيدة بين عبد

---

(1) وكان أول من اتخذ ديوان الخاتم. قال: وكان سبب ذلك أن معاوية أمر لعمرو بن الزبير في معونته وقضاء دينه بمائة ألف درهم، وكتب بذلك إلى زياد بن سمية وهو على العراق، ففض عمرو الكتاب وصير المائة مائتين، فلما رفع زياد حسابه أنكرها معاوية، فأخذ عمراً بردها وحبسه، فأداها عنه أخوه عبد الله بن الزبير، فأحدث معاوية عند ذلك ديوان الخاتم وخزم الكتب، ولم تكن تخزم. (الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1224).

(2) البري، الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، 311؛ راجع: ابن الجوزي، المنتظم، 659، 782

(3) ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة، 88.

الله بن جعفر ويزيد بن معاوية، إلا أنّ بعض المراجع تتحدّث عن موقف سلبي لابن جعفر حين أراد معاوية أن ينصّب ابنه خليفة بعده؛ يُقال إن معاوية حين ذهب إلى المدينة قبيل وفاته، «استخار الله، وأعرض عن ذكر البيعة، حتى قدم المدينة سنة خمسين، فتلقاه الناس، فلما استقر في منزله أرسل إلى عبد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وإلى عبد الله بن عمر، وإلى عبد الله بن الزبير، وأمر حاجبه أن لا يأذن لأحد من الناس حتى يخرج هؤلاء النفر، فلما جلسوا تكلم معاوية، فقال: الحمد لله الذي أمرنا بحمده، ووعدنا عليه ثوابه، نحمده كثيراً، كما أنعم علينا كثيراً، وأشهد أن لا الله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله. أما بعد، فإني قد كبر سني، ووهن عظمي، وقرب أجلي، وأوشكت أن أدعى فأجيب، وقد رأيت أن أستخلف عليكم بعدي يزيد، ورأيته لكم رضا، وأنتم عبادلة قريش وخيارها، وأبناء خيارها، ولم يمنعني أن أحضر حسناً وحسيناً إلا أنهما أولاد أبيهما علي على حسن رأيي فيهما، وشديد محبتي لهما، فردوا على أمير المؤمنين خيراً رحمكم الله»[1].

«فقام عبد الله بن جعفر، فقال:... أما بعد، فإن هذه الخلافة إن أخذ فيها بالقرآن، فأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله، وإن أخذ فيها بسنة رسول الله، فأولو رسول الله، وإن أخذ فيها بسنة الشيخين أبي بكر وعمر فأي الناس أفضل وأكمل وأحق بهذا الأمر من آل الرسول؟ وأيم الله لو ولوه بعد نبيهم لوضعوا الأمر موضعه، لحقه وصدقه، ولأطيع الرحمن، وعصي الشيطان، وما اختلف في الأمة سيفان، فاتق الله يا معاوية، فإنك قد صرت راعياً، ونحن رعية، فانظر لرعيتك فإنك مسؤول عنها غداً، وأما ما

(1) ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة، 93.

ذكرت من ابني عمي، وتركك أن تحضرهما، فوالله ما أصبت الحق، ولا يجوز لك ذلك إلا بهما، وإنك لتعلم أنهما معدن العلم والكرم، فقل أو دع. وأستغفر لي الله ولكم»[1].

«ثم لم يلبث معاوية بعد وفاة الحسن رحمه الله إلا يسيراً حتى بايع ليزيد بالشام، وكتب بيعته إلى الآفاق، وكان عامله على المدينة مروان بن الحكم، فكتب إليه يذكر الذي قضى الله به على لسانه من بيعة يزيد، ويأمره أن يجمع من قبله من قريش وغيرهم من أهل المدينة، ثم يبايعوا ليزيد. فلما قرأ مروان كتاب معاوية أبى من ذلك.. فكتب إليه يأمره أن يعتزل عمله، ويخبره أنه قد ولى المدينة سعيد بن العاص، فلما بلغ مروان كتاب معاوية، أقبل مغاضباً في أهل بيته، وناس كثير من قومه، حتى نزل بأخواله بني كنانة، فشكا إليهم، وأخبرهم بالذي كان من رأيه في أمر معاوية، وفي عزله واستخلافه يزيد ابنه عن غير مشورة مبادرة له، فقالوا: نحن نبلك في يدك، وسيفك في قرابك فمن رميته بنا أصبناه، ومن ضربته بنا قطعناه، الرأي رأيك، ونحن طوع يمينك. ثم أقبل مروان في وفد منهم كثير، ممن كان معه من قومه وأهل بيته حتى نزل دمشق، فخرج فيهم حتى أتى سدة معاوية، وقد أذن للناس. فلما نظر الحاجب إلى كثرة من معه من قومه وأهل بيته، منعه من الدخول، فوثبوا إليه، فضربوا وجهه، حتى خلى عن الباب، ثم دخل مروان، ودخلوا معه، حتى إذا كان من معاوية بحيث تناله يده. [ومما قاله مروان لمعاوية]: فأقم الأمر يا بن سفيان واهدئ من تأميرك الصبيان، واعلم أن لك في قومك نظراً، وأن لهم على مناوأتك

(1) السابق، 94.

وزَراً»[1]. غضب معاوية من كلامه غضباً شديداً، ثم كظم غيظه بحلمه، وأخذ بيد مروان، ثم قال:... فأنت نظير أمير المؤمنين بعده، وفي كل شدة عضده، وإليك عهد عهده، فقد وليتك قومك، وأعظمنا في الخراج سهمك، وأنا مجيز وفدك، ومحسن رفدك، وعلى أمير المؤمنين غناك، والنزول عند رضاك. فكان أوّل ما رزق ألف دينار في كل هلال، وفرض له في أهل بيته مئة مئة.

وكتب إلى عبد الله بن جعفر: أما بعد، فقد عرفت أثرتي إياك على من سواك، وحسن رأيي فيك وفي أهل بيتك، وقد أتاني عنك ما أكره، فإن بايعت تشكر وإن تأب تجبر، والسلام»[2].

«فكتب إليه عبد الله بن جعفر: أما بعد، فقد جاءني كتابك، وفهمت ما ذكرتَ فيه من أثرتك إياي على من سواي، فإن تفعل فبحظك أصبت، وإن تأب فبنفسك قصّرت. وأما ما ذكرت من جبرك إياي على البيعة ليزيد، فلعمري لئن أجبرتني عليها لقد أجبرناك وأباك على الإسلام، حتى أدخلناكما كارهين غير طائعين، والسلام»[3].

أنظر أيضاً: ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 1643، 1645؛ المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، 359؛ ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، 3؛ داود الأنطاكي، تزيين الأسواق في أخبار العشاق، 107؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 215، 228؛ البلاذري، أنساب الأشراف، 268.

---

(1) السابق، 95.
(2) السابق، 96.
(3) السابق، 97.

ملحق

معاوية في النصوص القديمة غير العربية!

1. سيبيوس، مطران باغراتونيس (تاريخ كتابة النص هو العقد السابع من القرن السابع الميلادي):

هنالك جدل كبير حول مرجعية هذا الكتاب. فقد حاول أوّل مفسّر حديث له أن يطابق بينه وبين تاريخ هرقل المُشار إليه من قبل خمسة مؤرخين من العصور الوسطى، والذي يُعزا للأسقف سيبيوس، الذي هو على الأرجح اللورد سيبيوس، أسقف بيت باغراتونيس، الذي حضر مجمع دفين عام 645 وكان شاهداً على قوانينه. وكان هذا مقبولاً لزمن طويل عموماً حتى قام باحثو أبغاريان، بالإشارة إلى أن المقاطع الثلاثة الباقية من توليف سيبيوس غير موجودة في الحوليات مجهولة المؤلّف التي لدينا، أو حتى تتناقض معه. وهكذا لا بد من اعتبار العملين وثيقتين متمايزتين. وبعكس مسألة المرجعية، فالدراسات بشأن التاريخ والموثوقية غير واعدة، ولذلك فبضع تعليقات تبدو ضرورية. هنالك مؤشرات بأن سيبيوس [صاحب الحوليات المجهول] شهد العديد من الأحداث التي حكا عنها: إنه يؤكّد أن رواية الغزوات العربية مأخوذة عن أشخاص «الذين كانوا شهود عيان عليها»، وفي حديثه عن أحداث

عام 652، يقول إن الإيمان الأرمني ما زال سائداً «حتى الآن». ويعتبر غيرو أن ملاحظة سيبيوس القائلة إن قيام أسطول معاوية بمهاجمة القسطنطينية لا بدّ أن تكون إشارة إلى الحصار الكبير بين الأعوام 674 ـ 678. لكن النص يصف عدواناً منفرداً وليس حصاراً طويل الأمد، ومن الواضح أن الحدث لا بدّ من مطابقته مع ما ورد في مرجع سرياني من منتصف القرن الثامن للميلاد. فكلاهما يؤكّد أنه كان ثمة استعداد للقوة العظيمة للسفن، وأن الحملة حدثت في السنة الثالثة عشرة من حكم قسطنطين(654). ويختم سيبيوس باعتلاء معاوية العرش في الحرب الأهلية العربية الأولى (656 ـ 661)، والنقاط السابقة توحي أن المؤلّف كان يكتب بعد هذا الحدث مباشرة.

2 ـ جورجيوس الذي من ريش عانيا (مات عام 680 تقريباً):

بعد ذهاب مكسيموس إلى روما، سيطر العرب على جزر البحر ودخلوا قبرص وأرواد، محدثين فيها خراباً وآخذين أسرى. ثم سيطروا على أفريقيا وأخضعوا كل جزر البحر تقريباً؛ لأنه، في أعقاب مكسيموس الشرير، عاقب غضب الربّ كل مكان قبل بخطئه (جورجيوس الذي من ريش عانيا، حياة مكسيموس السريانية، 32: 312 ـ 313.)

عندما رأى مكسيموس أن روما قبلت الوحل الكريه لتجديفاته، ذهب أيضاً إلى القسطنطينية حين كان معاوية يعقد سلاماً مع الإمبراطور قسطنطين، لأنه كان قد شن حرباً على أبو تراب [هكذا وردت في النص، وهو علي بن أبي طالب]، أمير الحيرة، وهزمه (جورجيوس الذي من ريش عانيا، حياة مكسيموس السريانية، 25: 312 ـ 313.)

3 . **يوحنا باربنقايي (مكتوب عام 687).:**

إن الوضعية اللاهوتية للعمل دفعت بأول من راجعه من الغربيين إلى اعتباره «دون أهمية كمرجع تاريخي». هذا الحكم هو بالتأكيد متسرّع جداً، خاصة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار ملاحظاته المتعلقة بالأزمنة الإسلامية. ففي المقام الأول، يلاحظ أن يوحنا لم يكن عدائياً حيال الحكم العربي. وعلى الرغم من ظهور قليل لعبارات مسيئة مثل «شعب بربري» و»الكراهية والغضب قوتَهم»، يلاحظ يوحنا تساهل العرب حيال السكان المسيحيين. فقد كانت الديانة المسيحية وأعضاؤها محترمين: «قبل أن يدعوهم، حضّرهم (الله) سلفاً لأن يحكموا المسيحيين بشرف؛ وهكذا فقد كانت لديهم أيضاً وصيّة خاصة من الله تتعلق بمحطتنا الرهبانية، أن عليهم حكمها بشرف». لم يقم العرب بمحاولات من أجل فرض الإسلام قسراً. وعصابات السرقة التي لهم كانت تذهب سنوياً إلى مناطق بعيدة وإلى الجزر، لتحضر أسرى من كل الشعوب تحت السماء. ومن كلّ شخص كانوا يطلبون فقط جزية (ماداتا)، تسمح له أن يبقى على الدين الذي كان يريد. وعن حكم معاوية يقول يوحنا: لقد ازدهرت العدالة في زمنه وكان هنالك سلم عظيم في المناطق التي تحت سيطرته؛ فقد سمح لكل واحد بالعيش كما كان يرغب؛ ولاحقاً يضيف أن المحاصيل كانت وفيرة والتجارة تضاعفت. والواقع أن نقده الوحيد كان افتقاد الاضطهاد؛ يقول يوحنا: لم يكن ثمة تمييز بين الوثني والمسيحي، كما يندب، ولم يكن المؤمن يُعرف من اليهودي.

4 . **تاريخ ماروني (القرن الثامن للميلاد):**

عام 969 (وفق التقويم الغريغوري، 648 للميلاد): قتل معاوية ابن أخته

حذيفة. واغتيل علي حين كان يصلّي في الحيرة وتحالف [معاوية] مع كلّ القوى العربية هناك.

عام 970 (وفق التقويم الغريغوري): كان ثمة هزة أرضية في فلسطين. عقدت جلسة نقاش بين اليعاقبة والموارنة بحضور معاوية. وحين هُزم اليعاقبة، أمرهم معاوية بدفع 20000 دينار. وهكذا صارت عادة بالنسبة للأساقفة اليعاقبة أن يعطوا كلّ عام مبلغاً من الذهب لمعاوية فلا يرفع يده عنهم. وكان هنالك هزة أرضيّة أخرى. أمر الإمبراطور قسطنطين بقتل أخيه ثيودور، ثم ذهب لقتال الشعوب الشمالية من أجل تجنب الاحتجاجات التي سببتها فعلته.

عام 971 (وفق التقويم الغريغوري): اجتمع كثير من العرب في أورشليم ونصبوا معاوية ملكاً فسار وجلس في الجلجثة وصلّى هناك. ثم ذهب إلى الجسمانية لينزل إلى قبر مريم المباركة ويصلّي فيه. في تلك الأيام اجتمع العرب هناك مع معاوية، وكان ثمة هزة أرضية، فسقط كثير من أريحا، إضافة إلى كثير من الكنائس والأديرة القريبة.

في تموز من السنة ذاتها اجتمع الأمراء العرب وكثير من العرب أيضاً وأعلنوا تحالفهم مع معاوية. وعندئذ صدر أمر أنه يجب أن يعلن ملكاً في كلّ القرى والمدن التي في منطقة سيطرته وأن عليهم أن يشيدوا به ويدعوا له. وصك أيضاً عملة فضيّة وذهبية، لكنها لم تحظ بالقبول لأن علامة الصليب كانت موضوعة عليها. كذلك فإن معاوية لم يرتد تاجاً مثل ملوك العالم الآخرين. ووضع عرشه في دمشق رافضاً الذهاب إلى مقر محمد.

عام 972 (وفق التقويم الغريغوري): برد شديد. ما أن وضع معاوية

يده على السلطات، حتى نكث عهد السلم مع الروم فلم يعد يقبل السلم منهم. وهكذا قال: إذا كان الروم يبغون السلم دعوهم يسلمون أسلحتهم ويدفعون الجزية.

عام 974 (وفق التقويم الغريغوري): غارة يزيد بن معاوية على القسطنطينية.

عام 075 (وفق التقويم الغريغوري): غارة عبد الرحمن بن خالد [بن الوليد]، أمير عرب حمص، داخل الإقليم البيزنطي.

يقف نص الوثيقة هنا، لكن على الأرجح أنه كان يمتد أكثر من ذلك في الوثيقة الأصلية. لقد كان المؤلف مارونياً. وقد اختلفوا في هوية المؤلف بين قيس الماروني (القرن العاشر الميلادي) وثيوفيليوس الرهاوي (مات عام 785). إن رفض تاريخ قديم (القرن السابع الميلادي) للوثيقة إنما يقوم على الإشارة إلى صك العملة على يد المسلمين، والذي لم يوثق على نحو معتمد قبل عبد الملك في العقد الأخير من القرن السابع للميلاد.

الفهرس

د. نبيل فياض

زمن معاوية

مما لا شكّ فيه أن كمشة بدو، كما توحي به التسمية، عمل همّه الأوحد إلقاء بعض الضوء العقلاني-التشكيكي على التسليميات الإسلامية العوامية. قد يكون الباحثون هدفاً لهذا الكتاب، لكن الحقيقة أن صاحب هذا النص لا يأخذهم بعين اعتباره هدفياً؛ إن ما يهمنا هو عامة الشعب، لأنهم الخزان الحقيقي للتطّرف ومن ثم الإرهاب.

في هذا العمل توخينا ملاحقة كلّ ما يمكن الوصول إليه من مراجع ومصادر بهدف إعطاء أعلى مدى من الصدقية لمشروعنا طويل الأمد هذا.

في هذا البحث لم نتناول شخصية معاوية من منظور بانورامي أوكرونولوجي؛ مع إضافات موثقة حول معاوية كشخص، ودور عبد الله بن جعفر الطيار في حياة هذا الخليفة-الملك على وجه التخصيص. قد تبدو النصوص متناقضة أحياناً، لكن ذلك التناقض هو جزء من الصراع السياسي الذي أشرنا إليه في ذلك الحين.



